دعوة الحق

مجلة شهرية تعنى بالدراسات الإسلامية وبشؤون الثقافة والفكر

العدد الثالث – السنة العاشرة – رمضان 1386 – يناير 1967

في هذا العدد :

تصدرها وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية بالمملكة المغربية

ثمن العدد درهم واحد

مجلة تصدرها وزارة
عموم الأوقاف والشؤون
الإسلامية بالمملكة المغربية

دعوة الحق

العدد الثالث
السنة العاشرة
رمضان 1386
جانفي 1967
ثمن العدد
درهم واحد

مجلة شهرية تعنى بالدراسات الإسلامية وبشؤون الثقافة والفكر

بيانات إدارية

تبعث المقالات بالعنوان التالي :
مجلة « **دعوة الحق** » – قسم التحرير – وزارة عموم الاوقاف
الرباط – المغرب . الهاتف 10 – 308

الاشتراك العادي عن سنة 10 دراهم ، والشرفي 30 درهما فأكثر .

السنة عشرة اعداد . لا يقبل الاشتراك الا عن سنة كاملة .

تدفع قيمة الاشتراك في حساب :
مجلة « **دعوة الحق** » رقم الحساب البريدي 55 – 485 – الرباط

Daouat El Hak compte chèque postal 485 - 55 à Rabat

او تبعث رأسا في حوالة بالعنوان التالي :
مجلة « **دعوة الحق** » – قسم التوزيع – وزارة عموم الاوقاف – الرباط – المغرب .

ترسل المجلة مجانا للمكتبات العامة ، والنوادي والهيئات الوطنية والثقافية والاجتماعية ، وذلك بناء على طلب خاص .

لا تلتزم المجلة برد المقالات التي لم تنشر

المجلة مستعدة لنشر الاعلانات الثقافية .
في كل ما يتعلق بالاعلان يكتب الى :
« **دعوة الحق** » – قسم التوزيع – وزارة عموم الاوقاف – الرباط
تليفون 308.10 – 327.03 – الرباط

٤٧١

كلمة العدد

قرارات تاريخية

تفضل صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني فدشن عهدا جديدا مشرق النور ، وضيء المحيا ، طلق القسمات ، صادق العزيمة بقراريــه الخطيرين اللذين اصدرهما في أثناء درسه التاريخي ، انعش بهما من الآمال ما اذواه الاهمال والتقصيــر .

فقد اوجب حفظه الله في قراره الاول العناية في الكليات والجامعات باللغة العربية وبالمعرفة العربية ، والزيادة في برامج الكلية مادة الحضـارة الاسلاميـة ، والعلـم الاسلامي ، والثقافة الاسلامية التي يجد فيها الطالب غـذاء عقليـا ، وبهجة قلبية ، وشفاء نفسيا ، وراحة للضمير ، ويدرك معها معنـى الاستقلال الكامل الذي تسمـو به النفوس ، وتنهض فيــه العزائـم وتطيب معه الحيـاة .

فاللغة من حيث صلتها بالفكر ، وخطرها في النهضـة ، واثرهـا في الوحـدة ، تعتبر العنصر الاساسي في تكوين الامة ، وتعبر عن وحدة افرادها ، وتضامنهم الروحي ، كما تشير الى اداة الترابط بينهم ، والتجاوب والتعاطف والوجدان ..

فالامة تفقد كيانها الخاص عندما تفقد لغتها ، ولا تزال بخير ما تمسكت بها ..

وقديما لجا المستعمرون الغالبون الى بـذل الجهود المضاعفـة لنشر لغاتهـم وتعميمها في المستعمرات التي رزحت تحت نيرهم لاحلالهـا محـل لغات الشعـوب المغلوبـة ، وبالتالي الى ادماج هذه الشعوب المهضومة الجانب في كيان دولهـم الاستعماريـة .

ولئن كان الدين قد قام منذ عهد بعيد بدور فعال في قضية توحيد بعض الاقوام ، واثر في العصر الحديث تاثيرا بالغا في بعض الحركات القومية الناشئة ، وكان درعها المتين في مقاومة المستعمر ، والتكتل ضده ، والصمود أمامه ، فقد ضعف أثره اليـوم كعامل مـن عوامل تكويـن القوميـة .

فهذا السيد جمال الدين الافغاني المصلح الكبير ، والداعية الاسلامي الخطير ، قد تنبه الى ما ذكرنا ، وأكد ان لا سعادة الا بالقومية ، وأن لا قومية الا باللغة حيث قال :

« ان الروابط التي تربط جماعات كثيرة من الناس اثنتان : وحدة اللغة ، ووحدة الدين .

وحدة اللغة هي الاساس الذي تقوم عليه القومية ، واللغة اشد ثباتا ، واكثر دواما من الدين ، لاننا نعرف أمما غيرت دينها خلال الف عام مرتين ، بل ثلاث مرات دون ان يطرأ خلل على وحدتها اللغوية والقومية ، فنستطيع ان نقول كذلك ان تأثير رابطة اللغة فى هذه الدنيا أقوى من تأثير رابطة الدين » .

ولقد تعرضت لغتنا العربية الى انواع شتى من النكبات والهزات ، واوشكت ان تعصف بها عاديات الدهر ، وتتفكك ، وتتحول الى لغات ، ولهجات عديدة يستحيل معها التفاهم ، وكادت تنقطع الصلة ، وتضعف العقيدة ، لولا كتاب الله الذي حال دون تحقيق ذلك ، وحفظها من طغيان اللهجات ، وكيد الكائدين ممن فى قلوبهم زيغ وحقد ومرض أم ارتابوا ...

كما أمر صاحب الجلالة الملك المعظم فى قراره الثاني الذي يهدف الى عزة الاسلام والمسلمين ، ويرمي الى تكوين اجيال صالحة طاهرة فى مجتمع سالم نقي ، بان تقام الصلوات رسميا فى جميع المدارس الموجودة فى المملكة المغربية ابتدائية كانت أم ثانوية ام عالية ، وسوف يكون المسؤول على تنفيذ هذا القرار وزير التعليم أولا ، والمديرون ثانيا .

ذلكم هو النطق الملكي الكريم الذي هز القلوب الوانية ، وايقظ الضمائر الغافية ، وأنعش الامال فى النفوس .

فيا له من كلام يسير ، وأجر كبير ..

فالصلاة فى الديانة الاسلامية لم تعرف لدين ولا لمذهب من قبل ، انها الصلة اليومية للمسلم بربه ، وهي نقاء للروح ، وطهارة للجسد ، وزكاة للنفس ، وتربية للخلق ، وتنمية للوازع ..

كما أنها بما شرع فيها من جمعة وجماعة توحيد وتماسك اجتماعي وثيق ، ومدرسة يتلقى المسلم المومن فيها بطريقة عملية النظام والاخاء والمساواة ، وهي بما اشترط لها من استقبال قبلة واحدة تعلم المسلمين فى انحاء الارض وحدة الغاية والفكرة والاتجاه ..

ومن تدبر الذكر الحكيم ، واستعرض آياته الكريمة التي تحض على اقامة الصلاة حتى فى ساحة الوغى ، ومواطن الجلاد ، يدرك انها مثل أعلى لسمو هذا الدين ، وسبب من الاسباب الاولية لسرعة رقي الاسلام والمسلمين فى الصدر الاول ، وفجر الاسلام .

كان الصحابة الاولون ومن تبعهم باحسان اذا اقاموا صلاتهم ، اسلموا وجوههم الى الله ، مجردين ارواحهم وقلوبهم له ، لا متعصبين لشىء ، ولا جامدين على وراثة ، ولا واقفين مع هوى ، بل مستسلمين له ، لا يعصون الله ما امرهم ، ويفعلون ما يومرون .

فاذا قرعتهم الاحداث ، وارمضتهم الآلام ، وعرتهم الخطوب ، وعميت عليهم وجوه الرشد ، فزعوا الى الصلاة ، وتوجهوا بقلوبهم الى الله توجها خالصا ،

لا تشوبه رياء ، استدرارا للامداد الالاهي ، واكتسابا لحياة جديدة تشعـر الانسان معنـى العزة والمنعـة والسلطان .

فلا غرابة اذا كانت الصلاة أقوى باعث بعث المسلمين على الانطلاق والظهور ، وتحرير الفكر من الاباطيل والشرور ، حتى ان موجاتهـم اكتسحت أطراف الدنيـا ، « وتدفقت سيولهم من منابعها ، وخرجت سنابلهم من قنابعها » ، وفتحوا نصف المعمور في ربع قـرن اعلاء لكلمة الله ، وان الله على نصرهم لقديـر .

ولامر ما فرض الله صلاة الخوف في الحـرب على المجاهدين في قوله تعالى :

« واذا كنت فيهم فاقمت لهم الصلاة ، فلتقـم طائفـة منهم معك ولياخـذوا اسلحتهم ، فاذا سجدوا فليكونوا من ورائكم ، ولتأت طائفة اخرى لم يصلوا فليصلوا معك وليأخذوا حذرهم واسلحتهم ، ود الذين كفروا لو تغفلون عن اسلحتكم وامتعتكم فيميلون عليكم ميلة واحدة ، ولا جناح عليكم ان كان بكم اذى من مطر او كنتـم مرضى ان تضعوا اسلحتكم ، وخذوا حذركم ، ان الله اعد للكافرين عذابا مهينا ، فاذا قضيتم الصلاة فاذكروا الله قياما وقعودا وعلى جنوبكم فـاذا اطماننتم فاقيموا الصلاة ، ان الصلاة كانـت على المومنين كتابـا موقوتـا » .

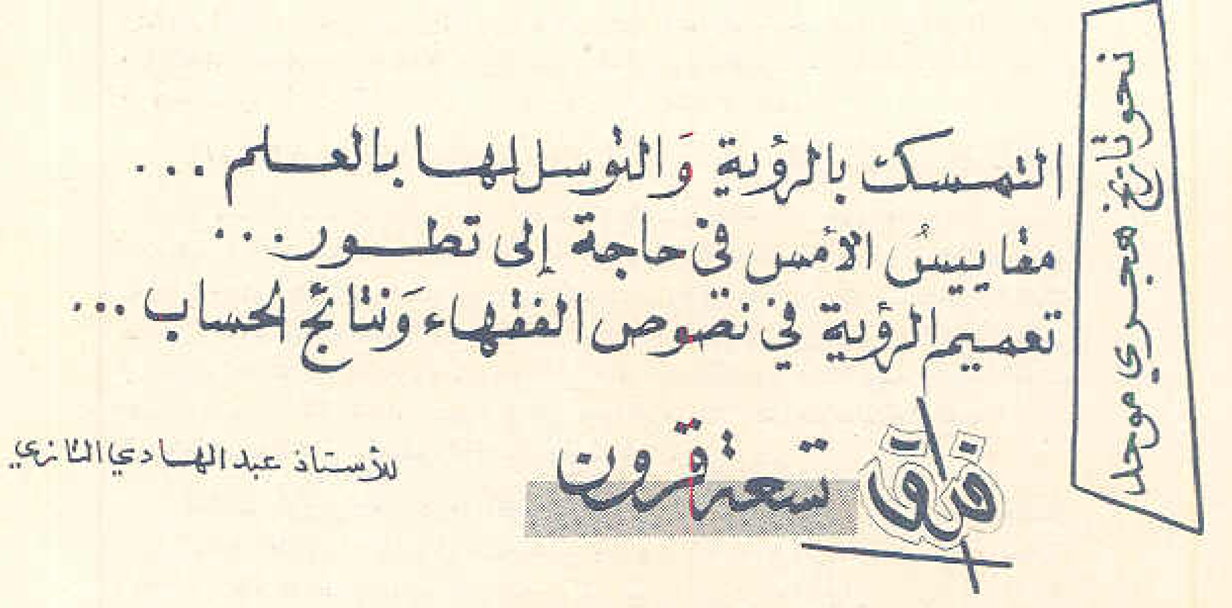
فالمسلم المومن يقوم لاداء الصلاة وهو في حومة الوغى ، وساحات القتـال وبين قعقعة السلاح ، وصليل السيوف ، وصهيل الجياد ، ونواهل الرماح ، لتتصل روحه في هذه الحالة بربهـا ، وتتلقـى من فيض نوره ، واشراق وجهه ، وآثـار هدايته ، ما يجعله يستقبل صنوف المكاره باسما راضيـا ، والتي سرعان ما تتكسر علـى صفـاة يقينـه باللـه ، وايمانـه بربـه .

هذان هما القراران التاريخيان اللذان اصدرهما صاحب الجلالة اميـر المؤمنين في اعتزاز بالله ، وسلامة فهم ، وقوة تمييز ، وصحة حكم ، ووعي صادق للرسالة المحمديـة ، وكتاب الله المبين الذي يهدي به الله من اتبع رضوانه سبيل السلام ..

ومن يسلم وجهه الى الله ، وهو محسن ، فقد استمسك بالعروة الوثقى ، والى اللـه عاقبـة الامـور .

دعوض الحق

دراسات اسلامية



للأستاذ عبد الهادي التازي

منذ تسعمائة سنة رحل الامام ابن العربي من المغرب الى بغداد ليبلغ رسالة ... فكان لابد له لكي يصل من بضعة شهور قضاها فى طريق مليء بالمصاعب والمتاعب .. ونحن هنا فى بغداد اليوم مساء الاحد ثالث رمضان 1385 نسمع صوتا من اقصى المغرب، سمعته يقول : « العلم ان نشغل شيئا ما من تفكيرنا وان لانقتصر على قال فلان وروى فلان .. لانقبل ان نستدل لنا بالنازلة الفلانية التي حدثت فى عهد فلان .. اني اقول ان تلك النازلة كانت لها ظروفها .. لم يكن هناك هاتف ولا برق .. ان الحال اليوم ليس هو الحال الذي كنا عليه تلك الايام ... »

سمعت هذا النطق الملكي فى نفس اللحظة التي نفذ فيها ، وفي نفس النبرة واللهجة التي اعتدت ان اسمعها عن كثب حتى تصاعد النفس . فكانت اول خاطرة عنت لي هي : هل يمكن حقيقة ان يتجاهل الفقهاء فرق تسعة قرون خلت ؟ هل ان ايام وصول الخبر بعد شهور وشهور هي نفس ايام اشاعته في نفس اللحظة ؟

وكنا بالصدفة فى هذه الاثناء مانزال نعيش بأسماعنا مع الراديو وبأبصارنا كذلك مع التلفزيون حول اللقاء المثير بين التوامتين الفضائيتين فى اطول نزهة فضائية عرفها الانسان تمهيدا للنزول برفق على سطح القمر ... لقد كنت الاحظ فى هذه الايام أن كل تلك الحزازات التي تصدم عادة دولة بأخرى او نظاما بنظام، كل ذلك اختفى واستحال الامر الى هدنة اشتغل فيها العالم جميعه اثناءها بارهاف سمعه الى اخبار الفكر المحلق ... اخبار الارقام المتحكمة ... كان ذلك الصمت عندي بمثابة استسلام تلقائي من الجميع بما فى ذلك علماء الدين هنا وهناك ، امام كل فتح فى ميدان العلم ... لنفرض ان حدثا من هذا القبيل ترددت اصداؤه فى القرن السادس مثلا أسيمر ذلك دون ان يخلف وراءه تفاعلات وتساؤلات ... سيقول بعض الناس عن هذا الاستطراد : « انه خروج عن الموضوع » لكني مقتنع بانه من الجدير بنا ان نلتفت الى ما يجري حوالينا حتى تكتب على الدوام . لهم ابناء ولنا ابناء ، هم بحكم ظروفهم يلزمون المدارس والكليات حيث يعيشون مع حقائق العلم ولذائذه ، فهل سنسمح بأن نفصل بين تدينهم وبين تعلمهم ؟ هل سنتمكن من اقناعهم بما يتضارب وما لقنوه ..؟ لابد ان نكون حكماء .. ذلك واجبنا كهداة مرشدين واولياء وآباء .. لنحاول ما امكن ان نقرب اليهم الامور .. ان نزيل من حيرتهم .. ان نساعدهم على الاخذ بمعالم الطريق .

من مظاهر اضطراب التاريخ ..

وان الظاهرة التي اثارت انتباه السلطان علي بن يوسف فجمع علماء وقته وشككت والد الامام الحطاب فاعاد وقفة عرفة ..

اقول تلك الظاهرة ما فتئت محل ملاحظة من سائر الناس فى سائر الازمان ، وقد لاحظت ان المشغلة الاولى للحجاج هي قضية الهلال لانهم ـ وقد قطعوا المسافات البعيدة ـ يخشون ان يضيع عليهم يوم عرفة ..

كنت ضمن « الركب « الى البقاع المقدسة .. غادرنا الرباط صباح الجمعة 27 من ذي القعدة 1378 (5 ـ 6 ـ 59) وصلنا نفس اليوم ، الفرق ثلاث ساعات ، هذا امر معروف لكن الذي ظل غير معروف عندي ان تاريخ (27) امسى هنا 29 ! ثلاث ساعات تقتضي فرق يومين (1) ؟ ولم يتأكد لدينا ان الهلال لم يشاهد عشية 29 قعدة الا يوم خامس حجة .. خمسة ايام كاملة مرت فى تساؤل : هل ثبت الهلال ام لم يثبت؟ ان الناس يريدون الاحتياط ليوم عرفة ! ! هل يوم عرفة الحقيقي هو هذا الذي نعيشه فى هذا اليوم المصادف لـ 15 يونيه ؟ ام هو الذي يكون غدا وهو يوم عيد يحرم صيامه ؟

ومثل هذا سجلته فى مرة لاحقة فقد وجدني رمضان 1383 بالقاهرة ، صمنا يوم الخميس المصادف لـ 16 يناير 1964 ، ورجعت الى بغداد فوجدت المؤمنين صاموا فقط منذ يوم الجمعة ... ثم تلقيت بعد ايام برقية من معتمرين بمكة ، تقول : « انتظرونا مع طائرة يوم 15 رمضان « . اي 15 رمضان هذا ؟ هل الذي استقبلته بمصر ؟ او الذي وجدته فى بغداد؟ ولشد ما كان استغرابي لما علمت ان القصد الى 15 رمضان ثالث !

لقد اتضح انه لاتوجد طائرة لا غدا ولا بعد غد، وان الطائرة المتوقع وصولها هي التي تحط يومه الثلاثاء ! !

ايهما امسى بسيطا ؟ الاتكال على **الرؤية المجردة؟** ام الاعتماد على الوسيلة العلمية ؟

ويتردد على السنة طائفة من الناس حديث اصله مما نقل عن بعض المشايخ من الذين تناولوا ـ على الخصوص ـ حديث الرسول عليه الصلاة والسلام : « انا امة امية لانكتب ولا نحسب » وملخصه ان الاسلام الحنيف آثر ان يربط هذه العبارة بأبسط وسيلة واقربها تناولا لدى جميع الناس .. لاتكلفك اكثر من ان ترفع ببصرك الى السماء فان تراءى لك فذاك والا فلليوم الموالي .. سواء اكنت فى مدينة او قرية .. حيث توجد فوقك سماء ، ولا حرج ان تصوم جماعة فى مدينة وتفطر جماعة اخرى فى مدينة مجاورة ... دعونا من الانشغال بالمادة وكل ما يتصل بالمادة ! دعونا لانفكر بعقلية الذين وضعوا جداول اللوغارتمات .. اتركوها قضية بسيطة من بدايتها لنهايتها ، ذلك هو سرها فى الاول والاخير .. اتركونا نعيش فى عصر الرسول .. دعونا « امة امية » على الاقل فى هذا الشهر ... وفي المشفقين من هؤلاء من يخشى امرا آخر .. ذلك اننا اذا فتحنا باب المناقشة يوما فيما توارثناه ابا عن جد قد يصير بنا الامر يوما ما الى التساهل فى موضوعات تعتبر من اساسيات الاسلام.. وقد يصعب آنذاك التحكم فى التيار ونندم ولات ساعة مندم ...

يتردد هذا الكلام وما يشابهه ، وتضرب الامثال لتعزيزه ... واعترف ان فى تلك الامثلة كثيرا من الروعة وكثيرا من الجمال بيد ان تلك الروعة وذلك الجمال يفوقهما بكثير جمال الاعتماد على العلم كوسيلة .. والعلم حينما تقوى دلائله وتتعزز اسسه تكون العبادة به امكن والتقرب به آمن ، ان تصور البساطة فى افتراش الارض للصلاة صحيح اما فى ضبط تاريخ الدولة فان تصورها ربما كان غير مقبول. نحن نميز جدا بين بساطة علينا ان ناخذ بها وبين بساطة علينا ان نراجع موقفنا منها .. واعني بالاولى عدم الاعتماد على النظرية البحتة لاهل الهيئة والتي تعتقد بأن الشهر محسوب منذ اجتماع القمرين وافتراقهما لان التعاليم بالنسبة الينا تعني شيئا زائدا على ذلك ، انها تعني امكان الرؤية .. واعني بالثانية الاستعانة بالحساب والاعتماد على المراصد ، عندما يقطع العلم بأن الرؤية ممكنة .. **نحن نميز بين نافذة نتقصد من فتحها تقبل نسمات ندية ، وبين باب تلحقنا من فتحها ريح سموم تلفح الوجوه وتشوه القسمات.** فحديث البساطة حديث شيق ولكنه امسى غير بسيط ! ولا عجب ، فان اليسر بالنسبة لزمن مضى

---

1) مما ورد فى مذكراتي عن رحلتي الى مكة هذه الكلمات : « اعذروني اذا ما حرصت على أن اجعل التاريخ الميلادي فى اعقاب التاريخ الهجري بالرغم من اننا فى جزيرة العرب فلقد تركت تاريخا فى المغرب ووجدت هنا تاريخا ثانيا وحكى لي حجاج آخرون انهم يحتفظون بتاريخ ثالث ..! »

1) الاستقصا طبعة المغرب 9 ـ 47

قد يمسي تعقدا في زمن آخر .. لان الوسائل التي بسطت الامور سابقا عوضتها وسائل اخرى .. لا اقول ان الناس امسوا لايبصرون ! ولكني اقول : ان الحياة تعقدت على مر الاعوام ، وزاد في تعقدها وتركيبها كثرة وسائل الاتصال وشعور الناس بقربهم بعضهم بعضاً ، وايمانهم العميق بصدق الرقم والرصد ، انهم امسوا يعتقدون ان البساطة تكمن في استعمال الآلة والحساب وان العسر يوجد في وكول الامر الى من تسمح لهم الظروف وتسنح لهم الفرصة برؤيته ... نحن مع الامام الزرقاني اذ يقول : « ان الشرع انما يكلف الناس بما يعرفه **جماهيرهم** » هذا صحيح جدا لكن ما تعرفه الجماهير اليوم وتطمئن اليه هو غيره بالامس

ان الامر باعتماد رؤية الهلال وحدها جاء معللا بعلة منصوصة وهي ان **الامة امية لاتكتب ولا تحسب** ، والعلة تدور مع المعلول وجودا وعدما كما يقولون فاذا ارتفعت الامية فعلى الناس ان يستعينوا بالحساب لضبط الرؤية وهكذا سنجمع بين مضمون الحديثين الشريفين : الحديث الذي يكل **الامر الى الرؤية** ، والحديث الذي يشعر بأن عدم الاعتماد على الحساب انما كان لاننا لم نتوفر على جماهير حاسبة ... يقول الاصوليون على ان جل الاحكام الشرعية سواء في الكتاب او السنة معللة (1) .. قد تجد هذه العلة في آخر الحكم ، ولكنها قد ترد قبله .. لنتلو قول الله تعالى : « يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر » بعد قوله : فمن كان منكم مريضا او على سفر الآية . نحن هنا في الحديث الشريف نجد ان العلة ذكرت متقدمة فكانه قيل : « الشهر هكذا او هكذا لاننا امة امية » ومثل هذا الحديث في تقديم العلة على المعلول الآية الشريفة : « .. قل هو اذى فاعتزلوا النساء في المحيض » فكانه قيل : اعتزلوهن في اثناء المحيض لانه اذى .

فالذي نتلخصه مما سبق انه اذا كان لذلك التساهل في الماضي ما قد يبرره فان لتقدم العلم اليوم وخاصة في الكواكب ، وخاصة في القمر ، اقول ان لذاك التقدم ما يعزز ثقتنا فيه كرائد لايكذب اهله وامين يساعد على ضبط الاهلة ومواقيت الناس ..

وقد قرانا عن النادرة التي وقعت ايام السلطان المولى الحسن الاول حيث شهدت جماعة من اللفيف امام قاضي الرباط بانهم شهدوا هلال شوال غروب يوم 28 رمضان ! ! وان القاضي اخبر السلطان بذلك واصبح اهل العدوتين في عيد ، ثم ان اهل العلم من الفلكيين حققوا استحالة رؤية الهلال .. وفعلا توجه الناس مساء يوم العيد الى الرصد فلم يظهر الهلال ، مع ان الحال كان صحوا ! وهكذا امر سيدنا برجوع الناس الى الصوم .. ثم عيدوا للمرة الثانية في الغد الموالي (2) .. وما زلنا نسمع من شيوخنا عن النازلة التي حدثت لقوم فوجئوا برؤية هلال العيد يوم 27 رمضان ، واتضح بعد ان هؤلاء القوم « غم عليهم » في رجب وشعبان ، فكملوا ثلاثين فيهما واستمروا يعدون حتى صحا الجو عشية يوم 27 رمضان فاتضحت الحقائق !

ذكرت هذين الحادثتين بالذات عندما سمعنا عن الحيرة التي ساورت من انفراد برؤيته في جهة من المفروض أن تكون لاحقة ، واجماع على عدم رؤيته في جهة كان الاولى ان تكون سابقة .

حوادث من هذا القبيل كافية وحدها لاعادة النظر في الاتكال على الرؤية وحدها دون الاخذ بجانب العلم .. ولعمري لقد احسن السلطان المقدس مولانا الحسن في رد الناس الى جادة العلم .. لقد كانت سابقة تاريخية بالتعييد مرتين ولكنها ذات دلالة على ان كلمة الحق ينبغي أن تظل فوق كل اعتبار ..

التوحيد بين الفقه والعلم

كلاهما الفقه والعلم يؤيد جانب شمول الرؤية وتعميمها في كل البلاد التي يبلغها الخبر الصحيح بذلك على النحو الذي سنقرره .. ونفضل ان نمهد الى هذه النتيجة بمعالجة بعض النقاط التي نرى انها ضرورية .. فأولا نريد ان نستعرض أمامنا آراء الذين قالوا بقصور الرؤية على البلاد التي تمت بها .. ثم نريد كذلك ان نعرف وجهة نظر الاخرين الذين كانوا يرون ان شمولها سائر البلاد هو ذات الصواب .. وبعد هذا نقف مع طائفة ثالثة حاولت أن تكون وسطا بين الناس فجعلت ضابطا للبعد الذي قد يحول دون الشمول .. واخيرا ورابعا نتخلص الى تقديم نظرنا في الموضوع من خلال كل ذلك

1) انظر الشنجيطي : « نيل السول على مرتقى الوصول » ص 113 ــ 114 طبعة فاس 1337

2) الاستقصا 9 طبعة الدار البيضاء

اصحاب كريب ...

روي عن كريب قال : قدمت الشام فرايت الهلال ليلة الجمعة ثم قدمت المدينة فى آخر الشهر فسالني عبد الله ابن عباس ثم ذكر الهلال فقال : متى رايتم الهلال ؟ فقلت : رايته ليلة الجمعة . فقال انت رايته ؟ فقلت : نعم ورآه الناس وصاموا وصام معاوية . قال: لكنا رايناه ليلة السبت فلا نزال نصوم حتى نكمل ثلاثين يوما او نراه . فقلت : الا تكتفي برؤية معاوية ؟ فقال لا ؛ هكذا امرنا النبي صلى الله عليه وسلم ... وقد ذكر الفساني والحربي زيادة فى حديث سيدنا عبد الله بن عباس : ان اهل نجد اخبروا رسول الله (ص) ان رؤيتهم تقدمت رؤية المدينة بيوم وكانوا فى شرق المدينة فقال لهم : « لاهل كل بلد رؤيتهم » فهذا الاثر واضح فى ان لاهل الشام رمضانهم ولاهل المدينة رمضانهم ولاهل نجد رمضانهم ... وفي الداعين الى هذا الراي من يضرب المثل بالاختلاف فى مواقيت الصلاة ، فكما « لكل قوم زوالهم » فكذلك « لكل قوم هلالهم » ، ولا ضير ان يختلف الشهر باختلاف الآفاق ولابد نتيجة لذلك ان تكون « لكل قوم رؤيتهم »

وقد ظل فريق من الفقهاء متشبثا بهذا الراي ، فى كل زمان ، وفي كل مكان ، لابد ان نجد من كانوا ومن لايزالون يدعون اليه ، وفي المغرب بالذات بلغ الامر فى بعض فترات التاريخ ان كان رباط تيط (1) لايصوم برؤية ازمور وبينهما بضعة عشر ميلا ! وكان وادي نون لايصوم برؤية مراكش ، واغمات لاتصوم برؤية سجلماسة

الذين يقولون بالشمول ..

اما هؤلاء فهم يعتمدون على الحديث الشريف: « صوموا لرؤيته وافطروا لرؤيته » . لقد اعتبر هؤلاء الخطاب الموجه لجماعة المسلمين لايتضمن اية اشارة لتحديد المسافة التي يمكن ان تشملها الرؤية فى بلدة ما ، ومعنى هذا انه اذا رآه بعض المسلمين في جزء من اجزاء وطنهم انصب حكم الرؤية على جميع المسلمين . وقد صرح ابن شاس (تـ 616) فى جواهره بمقتضى هذا الاطلاق واقتصر عليه ، وكذلك صرح ابن الحاجب (تـ 646) فى مختصره بنحو ذلك: « لزم سائر البلاد » كما نقل القرطبي (تـ 656) فى المفهم عن مشايخ المذهب اطلاق القول بعموم الرؤية وعدم التفرقة بين البعد المفرط وغيره .. وكما حكى الغزالي والنووي ان هذا مذهب الشافعي نقل القرافي **ان المالكية جعلوا رؤية الهلال فى بلد سببا لوجوب الصوم على جميع اقطار الارض** (2) ووافقهم الحنابلة وكذا صرح ابن عبد السلام (تـ 749) بأنه « لاتختص بالرؤية جهة دون اخرى » ، ومثل هذا لابن عرفة (تـ 803) وابن ناجي (تـ 837) ذاكرين ان « نقل ثبوت الرؤية لبلدة يعتبر بمنزلة ثبوتها بها . » وقد علق الحطاب (تـ 954) على الحديث الشريف بأن الخطاب لجميع الامة ، فاذا رآه اهل بلد عم سائر البلاد التي يصلها الخبر ... وقد جاء فى شرح الدردير (تـ 1201) لمختصر خليل (تـ 867) : « وعم الصوم سائر البلاد قريبا او بعيدا ولا يراعى فى ذلك مسافة قصر ولا اتفاق مطالع ... فيجب الصوم على كل منقول اليه متى نقل ثبوت الهلال بالعدلين او بالرؤية المستفيضة » وذكر الامام الشوكاني (تـ 1250) ان الذي ينبغي اعتماده هو ما ذهب اليه المالكية وجماعة من الزيدية ... قال : ولا يلتفت الى قول ابن عبد البر (تـ 463) من ان « هذا القول **خلاف الاجماع »** فان الاجماع لايمكن ان تقوم له قائمة ، والمخالفون من امثال المالكية واقطاب الزيدية وشيوخ القرطبي ... ولا يصعب على هؤلاء تفريغ الحجة بقياس اختلاف الرمضانات على اختلاف الصلوات بأن هذا غير لازم فان الواقع ان الرمضانات كثيرا ما تتحد شرقا وغربا بينما مواقيت الصلاة تظل باستمرار مختلفة حتى بين البلدة والبلدة الاخرى القريبة منها ... بين فاس ومكناس مثلا ...

خراسان من الاندلس

ولما ذكر بعض الفقهاء ان حكم الرؤية لايثبت فى **حق من بعد عن مكانها** حاولت طائفة منهم ان يجتهدوا فى « **البعد** » الذي يمكن معه نقل الرؤية والذي غدا من قبيل المشكك : كل يفهمه حسب تقديره ... في ذلك الاجتهاد امكننا ان نقف على كثير من وجهات النظر ... واول ملاحظة ينبغي ان تذكر ان كل واحد من هؤلاء المجتهدين كان ينظر الى زاوية معينة غير التي ينظر منها الآخر ..

---

1) مكان يوجد قرب مدينة الجديدة ، العبدي الكانوني : اسفي وما اليه ص 44 — 45 . عبد الهادي التازي: تاريخ ابن صاحب الصلاة ص 445 . ابن البنا : الرسالة الهلالية ... الناصري طبعة المغرب 8ر69

2) الفروق : الفرق الثاني والمائة

وفي المتكلمين من عالج « البعد » من الوجهة العلمية البحتة ... لهذا فان **الاجتهادات** متكاثرة واحيانا متضاربة .

ذكر اما الحرمين أن البعد يقدر بمسافة (1) القصر التي يعبر عنها احيانا بكلمة (2) مرحلتين (84 كيلو مترا) وبعضهم كالشيخ ابن البنا اعتبر أن القول بثلاث مراحل هو احسنها واصحها ... وفي الفقهاء من استرشد **بفتوى الامام مالك** بلزوم رؤية البصرة لاهل المدينة والعكس استرشد بها لجعل « البعد » ما زاد على هذا الحد (3) ... وفي الناس من حكم العادة وحدها في تقدير البعد: ما اعتبرته بعيدا فهو بعيد وما اعتبرته قريبا فهو قريب ... ومن الفقهاء من وصف البعد المانع **بالبعد المفرط** او **البعد جدا** . وفي صدر هؤلاء ابن عبد البر (ت 463) وابن رشد الحفيد (ت 595) وابن جزي (ت 741) وابن عرفة (ت 803) والبرزلي (ت 844) والحطاب (ت 954) ...

وفي الاجتهاد للوصول الى تقدير «البعد المفرط» ايضا اختلفوا ! فيهم من يرى أنه مسافة ستين يوما.. بينما يذكر آخرون انها المسافة التي تفوق اربعة اشهر .. وفيهم من قدم مثالا للعيان يظهر أنه تأثر فيه بالتقسيم السياسي للعالم الاسلامي وقتئذ : ذكروا كمقدار للبعد المسافة التي توجد بين خراسان والاندلس ... وآخرون مثلوا بالفرق الذي يوجد بين مكة والقيروان ... وهناك فيهم من ذكر اختلاف **الاقاليم** فقط كدلالة على البعد ... يعنون التقسيمات السبع القديمة للارض ...

اختلاف المطالع ...

واخيرا فان هناك من الفقهاء وعلماء الفلك من حاول تقديم ضوابط فنية علمية للبعد بمعنى انهم عالجوا الموضوع متاثرين بالنتائج التي اعتقدوا ان حساب النيرين يقتضيها ... ولعل من غير الممل ان نردد هنا ايضا صدى المناظرة التي جرت بالمغرب والاندلس عند ما وضع السلطان علي بن يوسف بن تاشفين العلماء امام المسالة .. لقد كان يتلقى رسائل من بغداد تحمل تاريخا غير التاريخ الجاري بالمغرب.. واخيرا كان جمع في الاندلس – كما سبق ان قلت – وعندما قال ابن الجد : « نجد تاريخ بغداد يسبق تاريخنا بيوم ويومين (4) » فما الراي ؟

وتصدى العلامة الاشبيلي ابو عبد الله مالك بن وهيب للجواب قائلا : « ذلك امر لابد منه **لبعد المطالع** » . وقد شاء مالك بن وهيب هذا ان يزيد الموضوع بيانا فذكر ان الشهر اذا كان ناقصا في بغداد سبق المشارقة **بيومين** واذا اتفق ان كان الشهر عندهم كاملا سبقونا بيوم واحد .. وقد استرسل مالك بن وهيب في حديثه يقول : **« وقد يسبق المطلع المطلع بثلاثة ايام وباكثر على حسب قربه من المشرق »** ولما سكت مالك انتظر السلطان من الحاضرين تعقيبا على عالم اشبيلية لكن احدا لم يعترض بل انهم صوبوا ما قيل ووافقوا عليه ... لست ادري هل نوقش هذا الراي قبل تصويبه من الحاضرين ولكن الحقيقة التاريخية الثابتة انه لولا ان الامير عليا بن يوسف كان يرجع **جميع** الاحكام الى الفقهاء وحدهم دون غيرهم لكنا سمعنا في هذه المناظرة افكارا اخرى وخاصة في بلاد الاندلس التي عرفت في هذه الفترة بالذات اقطابا مشهورين في العلوم الرياضية ...

ولم تمر هذه المناظرة دون أن تخلف اصداء وآثارا ... فقد الف احد العلماء الفلكيين المشهورين بدقة النظر وجودة الاستنباط كتابا في التعديل عالج فيه **البعد** كما يراه العلم ، ونعني به الفقيه المتقن العالم بالاصول والفروع ابا الحسن علي الطرطوشي (ت 567) في كتابه صفوة اليواقيت في صفة المواقيت **لقد أفاد أن البلدين اذا اتفقا في درجة العرض واختلفا في درجة الطول ورؤي الهلال بالبلد المشرقي منهما فان المغربي لايلزمه الصوم** ... ومعنى هذا ان رؤية المشرق لايسري حكمها في المغرب ... وقبل ابي الحسن الطرطوشي هذا نقل عن عالم الاندلس وفقيهها

---

1) السبكي : الفتاوي ص 219 .
2) تقدر رسالة ملكية للسلطان الحسن الاول المرحلتين بثلاث عشرة ساعة . الاستقصا 9, 181
3) رسالة الشيخ ابن البنا حول الهلال ، وجواب الفقيه العلمي عنها (مخطوطان بخزانة الاستاذ الباشا السيد محمد الصبيحي بمدينة سلا) D. Renaud : Sur les lunes du Ramadan, Hespéris 1945, p. 56.
4) يوجد هامش على رسالة ابن البنا التي تحتفظ بها الخزانة العامة تحت رقم 692 يستصوب التعبير على النحو التالي : « نجد تاريخ بغداد يسبقه تاريخنا بيوم ويومين (4) » فما الراي ؟

عبد الملك بن حبيب (ت 238) انه سئل عن صوم غرب الاندلس برؤية شرقها فقال : « **لا وانما يصوم** شرقها برؤية غربها ... »

وقد سارت على هذه الطريق ثلة من العلماء في القديم بل ان فيهم من بالغ فمنع عمل البلد الغربي برؤية البلد الشرقي **ولو تقارب ما بينهما** (1) وفي صدر هؤلاء الشيخ ابن البنا عالم فاس ومراكش (ت 721)

وفي مقابلة هذا الراي نجد المدققين من رجال التعديل ينفون نفيا قاطعا وقويا امكان تقدم المشارقة على المغاربة **بيومين وبالاحرى بثلاثة ايام او اكثر** ولو ان مناظرة اشبيلية انتهت الى تصويب وتوفيق ! ولو ان الشيخ ابن البنا ايد هذا وعززه ! ويعتمد هؤلاء على الملاحظة الدقيقة التي ابرزها الشهاب القرافي في كتابه الفروق : الفرق الثاني بعد المائة في معرض حديثه عن ان الهلال قد يظهر في الجهات المغربية قبل الجهات المشرقية ، وذلك ـ يقول الامام القرافي ـ **ان الهلال في البلاد المشرقية اذا كان مايزال تحت الشعاع وبقيت الشمس تتحرك مع القمر الى الجهة الغربية فما تصل الشمس الى افق المغرب الا وقد خرج الهلال من شعاع وهكذا فيظهر بالمغرب ولا يظهر بالمشرق ...**

وتوضيحا لكلام القرافي نذكر انه قد يكون مر على اجتماع النيرين عند الغروب ببغداد مثلا خمس عشرة ساعة فقط ففي هذه الحالة لن يصل وقت الغروب ببلادنا المغرب الا وقد مر على اجتماع النيرين **ثمان عشرة ساعة** وهو القدر المطلوب لرؤية الهلال (2)

وهكذا نرى انه قد يظهر بالمغرب ولا يرى بالمشرق ... وعلى قياس هذا نقول :

اذا كان مر على اجتماع النيرين وقت الغروب ببغداد ثمان عشرة ساعة فان الغروب لن يحين وقته ببلادنا المغربية الا وقد مر على الاجتماع احدى وعشرون ساعة وهكذا تكون رؤيته هنا محققة ...

وعلى منحى القرافي هذا درج عدد من العلماء عبر التاريخ كان في آخرهم الشيخ مرتضى الزبيدي (ت 1205) لقد قال في شرح احياء العلوم : « ومتى **اختلف المطلع** لزم من رؤيته في الشرقي رؤيته في الغربي ولا ينعكس اي لايلزم برؤيته في الغربي رؤيته في الشرقي ... » وفي رسالة للشيخ طنطاوي في الموضوع يؤكد انه بعد ان قام باستشارات لاهل الفن المحدثين ، وصل للنتيجة التالية :

كلما كانت البلاد اشد بعدا في جهة المغرب كان الهلال اظهر ... وكل بلد ثبت الهلال فيه بالرؤية الصادقة فان كل بلدة غربيها **يرى فيها الهلال** قطعا ويكونا تم ظهورا واضوا نورا ... نعم لايلزم من رؤية اهل البلد الغربي ان يراه اهل البلد الشرقي ...

هذه آراء قدمناها ونريد ان نضيف اليها ان فريقا من الناس ناصروا راي مالك بن وهيب ، وفريقا من الناس لم تتضح عنده الا فكرة القرافي . **ومن الصدف ان تساعد الاحوال احيانا** على رؤيته في الشام او نجد دون رؤيته في المدينة ... او في مجاط ووادي نون دون رؤيته في آيت باعمران او في فاس دون مراكش وتلمسان ...

فيتمسك بعض بهذه الحالة ويستشهد بها على التعميم في سائر الحالات بينما يعتمد آخرون على

---

1) من النوازل التي شغلت بال الناس ردحا من الزمان ماكان افتى به الفقيه كنون من عدم لزوم رؤية فاس لاهل مراكش وما كان رد به سيدي احمد بن الخياط ... فمن قول الاول :

ورؤية الهلال تلزمنا ان	رؤى بمراكش فاعلم يا فطن
وان تكن رؤيته بفاس	لم تلزم مراكش عند الناس
فقها وهيئة كما قد ذكره	كله نجل البنا ع مانقله

ومن قول الثاني :

لكنه ليس عليه عمل	وليس مشهورا فلا يعول!
عليه ، والمشهور في العموم	بعد شديد البعد ياحميمي
فكل من مراكش وفاس	يعم منهما جميع الناس

2) نقول 18 ساعة لان رصد العلماء المتاخرين اكتفى بها ولو ان البتاني على ما تقدم يتطلب زهاء الاربع وعشرين ساعة ...

جزئيات اخرى ... وهكذا يتكاثر عدد المؤيدين لاولئك وهؤلاء والحالة ان **الفرصة فقط** ساعدت هذه المرة على رصده بينما اخلفت في المرة الاخـرى ...

الـراي في الموضـوع

لكننا اليوم امام وسائل تجعل من السهل تمحيص الآراء والتاكد من تطبيقها ... وأحب اولا ان أشيد باجتهادات السابقين فقد اثروا المكتبة الاسلامية ببحوث في هذا الباب تدل على غيرة جديرة بالاكبار... كلهم كان محقا في تقديره ... والذين قالوا بقصـور الرؤية اجتهدوا ... والذين عمموها اجتهـدوا ... والذين وضعوا الحدود للبعـد ايضا اجتهـدوا ... والذين حاولوا ان يجدوا تفسيرات علمية لشمـول الرؤية او عدمها كذلك اجتهدوا . والشيء الذي لـم تخل منه فترة من فترات التاريخ هو ان اي اجتهاد من هذه الاجتهادات لم يقع عليه اجماع شامل بين الفقهاء والعلماء بالرغم مما نلاحظه من ان هذا الفريق او ذاك يسعى احيانا لتقوية رايه بحكاية **الاجمـاع** عليـه ... حكى ابن عبد البر اجماعـه ... وحكى الطرطوشـي اجماعه ... وحكى ابن سابق اجماعه ... ومع ذلك قرانا تعقيبات على كل اجتهاد ... لقد قيل عن حديث الشام ، وحديث نجد المتقدمين ان لهما **محملا خاصا** بينما حديث « صوموا لرؤيته » قـوي الدلالـة على التعميـم ... وقيل ان سيدنا عبد الله بن عبـاس لم يكتف برؤية معاوية لامـر كان يعتقده هو في الموضوع فهو اجتهاد يخصـه . وقيل عن تعميـم الصـوم كذلك انه بعيد عن القواعد ، وقيل عن الذين ابتكروا حـدود البعد انهم كانوا يقومون بعمل لم ينـزل الله بـه مـن سلطان ... فلا الذين قالوا باختلاف الاقاليم ... ولا الـذين قـالـوا باختـلاف المطالـع ، ولا الـذيـن قـدروا البعـد بالشهـور ... او قـدروه فيما بين خراسان والاندلس ... كل ذلك كان مجرد تقدير... ويكفي دليلا على ذلك الواقع المحسوس المتكرر فـان الهلال قد يشاهد في العشية الواحـدة في الاقاليم المتباعدة والبلاد المختلفة العروض والاطوال .. ولقـد قيل عن التفسيرات العلمية **للبعـد** انها كانت مبنية على مناهج وقواعد عتيقة وان العلم المتجدد اثبت ان تقديرات الاولين كانت تقريبية ... بل قيل ان الشيخ ابن البنا كان في معالجته لامر الاهلة اقل اعتنـاء منـه في المسائل الرياضية الاخـرى ...

لقد شعرت بمثل ما ستشعرون به انتم وانا اقرا عن الشيخ ابن البنا رحمه الله يقول عند تزكية احـد الذين ابدوا رايهم في قضية قصور رؤية شرق الاندلس على الشرقيين يقول عند تزكيته انه كـان ، وكـان ، **وكان له معـرف من الجـن بحقائـق اغـوار الارض وانجادهــا !**

نحن في هذا العالم اليوم نتطلع على اخبـار الكرة الارضية كلها في نفس اللحظة الواحدة . لقد استقبلنا الهلال على شاطىء الخليج ثم سمعنا بعد ثلاث ساعات فقط بطريق الراديو عـن رؤيـة الناس لـه ايضا على شاطىء المحيط ... فاي بعد بعد هذا يمكن ان نجعله مقياسا لنقل الرؤية ... **اختلاف المطالـع ؟ اختلاف الاقاليم ؟ اختلاف الاطوال ؟ خراسان والاندلس ؟...** حقيقة ينبغي ان ننشد مقاييس اخرى غير التي قدمها الينا العلمـاء بالامس ... مقاييس يرضاهـا حساب سير القمر ، ولا تصطدم بتعاليم الاسلام ...

ان حديث المتقدمين عن الاقاليم ، وعن **المطالـع** وعن خراسان ثم التجزيئات السياسية التي منيت بها البلاد الاسلامية ثم الاستعمار الـذي زاد في تصورنـا لتلك البلاد على انها نائية عنا بعيدة ، كل ذلك يجعلنـا نتصور ظهور الهلال هنا وهناك كانه امر غريب مع انـه هو الامر الوحيد الذي ليس بغريب !

عندما تقوم بعملية حساب مدققة لهذه الاصقـاع المتباعـدة نجـد ان الفـرق بيـن مغرب الهلال فيهـا **يكاد يكون تافها ...** ولاجل ان نتصور هذا بوضـوح تام سننتقل قليلا من المنطقة التي يتكتل فيها المسلمون والتي ـ كما سبق ان قلت ـ غـدت في تصورنا ذات اجزاء متباعدة وذات حدود محصنة وذات لهجـات مختلفـة .. اقول ننتقل منها الى قارة اخرى ، الـى الولايات المتحدة مثلا لنجري فيها تجاربنا : البعد بين خراسان والاندلس تقريبـا هـو البعـد بين نيويورك وسان فرانسيسكو . تقع الولايات المتحدة بين خـط **العرض** الثلاثين وبين خط **العـرض** الخامس والاربعين كما تقع بين خط الطول 68 والخط 125 ، ودرجـات العرض التي تتجمع فيـه اغلبيـة المسلميـن زهـاء **خمس عشرة درجة** على نحو **ستين درجة طولا** وهـي على سبيل التقريب « الولايات المتحدة » فلنلق نظـرة هناك : الفرق بين مغرب الهلال اليوم 21 يناير 1966 ـ المصادف ليوم 29 رمضان عندنا ـ في الخط الثلاثين وبين مغربه في الخط الخامس والاربعين لايعدو عشـر دقائق ! ! فعلى خط 30 يغـرب الهـلال بعد الشمس بدقيقتين اثنتين ، وعلى خط خمس وثلاثين يغـرب معها في نفس الوقت وعلى خط الاربعين يغرب قبلهـا

بثلاث دقائق ، وعلى خط العرض الخامس والاربعين يقرب قبلها بثمان دقائق ... ولا فرق في هذا بين خطوط الطول من شرق امريكا الى غربها ... فاذا ادركنا هذا الفرق البسيط امكن اذن ان تصور مدى الفرق الذي يكون بين درجات العرض في العالم الاسلامي ... ولهذا نعتقد انه ليس من حقنا ان نشترط لسريان الرؤية حدودا او مقاييس عرفنا سلفا اضطراب الاقوال فيها ... وان ما اثبتته التقويمات العالمية المدققة من ضئالة الفرق بين المغارب القمرية في اليوم الواحد ليس من شانه ان يوصل الفرق بين البلد والبلد الآخر الى يوم وليلة ... اريد ان اقول ان فرق دقائق معدودة بين خط وخط لايبرر الفرق باربع وعشرين ساعة كاملة ..

كيف نطبق التوحيد

وبعد ان تاكد لدينا الفرق الذي يمكن ان يوجد مع اختلاف درجات العرض نرجع الى **الطريقة التي نعتبرها** في نظرنا كفيلة بتعزيز **مبدا اعتبار الرؤية** وكفيلة ايضا باحترام النتائج العلمية ... والاحظ من الآن انني حينما ساتكلم عن الشرق والغرب فانما اعني شرق مركز ثبوت الرؤية كما اعني بالغرب غرب مركز ثبوت الرؤية .

لقد احتفلت ليبيا بعيد الفطر 1385 يوم السبت الموافق لليوم 22 يناير 1966 ... شاهدت الهلال هناك وشاهدته الكويت شرقها والمغرب في غربها ... بيد ان المسلمين في باكستان شرقا ومسلمي امريكا غربا لم يحتفلوا بالعيد الا في اليوم الموالي وهو يوم الاحد 23 يناير ... **ولم تكن كلتا النازلتين بغريبة عن العلم ابدا** ودونكم هذه الايضاحات:

شاهد المغرب هلال العيد حوالي السادسة من عشية الجمعة ، وكانت هذه الساعة السادسة في الباكستان هي العاشرة ونصف **ليلا** فهل نفرض عليهم هذا الهلال ؟ وكانت هذه الساعة السادسة ايضا في امريكا هي الواحدة ونصف من **زوال** الجمعة فهل نفرض عليهم عيدنا ؟ ان الطريقة التي نراها بالنسبة للباكستان اي لكل البلاد الشرقية عن **مركز** ثبوت الرؤية هي انها اي تلك الاقطار عليها ان تكون مستعدة **لاستقبال البشرى بالصوم** او بالعيد اثناء الليل فانه في هذا العالم الذي تقاربت اطرافه وتواصلت ارجاؤه جدير بنا ان نعتبر انفسنا كاننا في **مصر واحد كبير** ... وقد توقع الفقهاء وجود بلاد تترامى اجزاؤها وتتعدد زواياها فوضعوا لها حكما تغاضوا فيه عن بعض القواعد العامة ، فمثلا اذا اتسع الاقليم (لنتصور اندونيسيا : 1.904.345 كيلو ميتر مربع ، زهاء 90 مليون مسلم) ورؤي الهلال في جزء منه فقط بينما **امتنعت** الرؤية **في الجانب الآخر** فان الفقه يبيح على الذين لم يروه من الاقليم ان يقتدوا بالذين راوه ... وبناء على ذلك فاننا نعتبر ان عالمنا الاسلامي وطن واحد يكمل الجزء منه الجزء الآخر ... فاذا ما عاملنا القسم الشرقي معاملة بقية المصر الكبير سيصبح اذن تابعا لنا في مهلاتنا (1) **فلنعد الى القسم الغربي عن مركز الثبوت** ... هنا لابد ان نتخذ شعارا لنا راي الشهاب القرافي المستلزم لرؤية الهلال في المغرب اذا ما كانت رؤيته بالمشرق قد ثبتت ...

وهناك حالة قد ترد في هذا القسم الغربي عن مركز الثبوت وهي ان تصادف رؤيتنا له ـ اوقات النهار هناك في الجهة الغربية كالحال في عيد الفطر لعام 1385 الذي ثبت عندنا في السادسة مساء : وكانت هذه السادسة تصادف **الواحدة** ونصف **زوال** اليوم 29 رمضان عند مسلمي امريكا ... الهلال في امريكا موجود (2) كما هو الحال عندنا ولولا وجودهم في النهار لامكن لهم رؤيته ولذلك فهم في حكم من **راى الهلال نهارا** ... ولفقهائنا في هذه الحالة حلول معروفة ... فهم ينصون على ان الهلال اذا ثبت عند قوم اثناء النهار فانهم يستمرون صائمين ان كانوا في آخر رمضان ، ويستمرون مفطرين ان كانوا في آخر شعبان على نحو ما يقول الشيخ خليل : « **ورؤيته نهارا**

---

1) بعد ان كتبت هذا قرات في توصيات مجمع البحوث الاسلامية الاخيرة : « انه عبرة باختلاف المطالع وان تباعدت الاقاليم متى كانت مشتركة في جزء من ليلة الرؤية وان قل ، ويكون اختلاف المطلع معتبرا بين الاقاليم التي لاتشترك في جزء من هذه الليلة . »

2) يذكر الفقهاء انه اذا ثبت الهلال عند قوم في اثناء النهار فانهم يستمرون صائمين ان كانوا في آخر رمضان ويستمرون مفطرين ان كانوا في آخر شعبان على نحو ما يقوله الشيخ خليل « **ورؤيته نهارا للقابلة** » . هناك راي مقابل يذكر ان رؤيته نهارا **لليلة الماضية** . على ان هناك رايا بالتفصيل بين ان يرى قبل الزوال فيكون للماضية او بعده فيكون للقابلة .

للقابلة » .. وهكذا فسيظل هؤلاء في حالة صوم ... الى غروب ذلك اليوم حيث يثبت عندهم الامساك أو الافطار ...

وبهذا ايضا سنجد لانفسنا خطا دوليا عاما تصلح عنده تواريخ الايام ... وستحمل يوميتنا عند ذاك تاريخا واحدا فى كل جهات الدنيا ... ونقراها فى كل تقويم يصدر بأي لغة كانت ، عن اي امة كانت ...

لقد سبق ان قلت : ان على البلاد التي تقع شرقي مركز الثبوت ان تكون فى **بداية ليلها** على استعداد لاستقبال الهلال ... وسبق ان قلت ايضا : ان على البلاد التي تقع غربي مركز الثبوت ان تكون فى **بداية نهارها** على استعداد لتكميل اليوم ... ومن شان انتظار كهذا لاخبار قد ترد من تلك الجهة أو هذه ، من شان ذلك **ان لايخرج بيوميتنا** من قلقها واضطرابها ... سنظل كل شهر منتظرين لما سيظهر وبذلك لانخرج مما نحن فيه ... ولتلافي ذلك نزيد فكرتنا ايضاحا : ان الذي نقصده من اننا نعتمد الرؤية مبدا اننا نبني حساباتنا **على الرؤية** لا على مجرد اجتماع النيرين بمعنى اننا عندما نعد تقويمنا العربي ، تاريخنا الهجري ، حسابنا القمري ، يجب ان يبنيه علماء الفلك منا على الرؤية .. فى استطاعة العلم ـ كما سبق ان قلت ـ ان يعد ولمئات السنين يومية لمداخل الشهور القمرية .. انما عوض ان يبني العلماء حسابهم القمري على النظرية العلمية **البحتة** يجب ان يجعلوا فى حسابهم شيئا اساسيا وهو اضافة الساعات الضرورية لتحقيق ظهور الهلال للنظارة ، وهكذا ستكون لنا يومية مضبوطة سلفا على اساس الرؤية ... ونحن على يقين كل اليقين ان أحدهما لن يخذل الآخر ، أي ان الحساب على ذلك الاساس لن يخالف الرؤية بحال وان الرؤية لن تخالف الحساب ، نعم المهم ان نتفق لزاما وسلفا على توحيد الخطة والمنهاج ... فلا اكتفاء باجتماع النيرين .. ولا اعتماد على حساب الجداول وانما الاعتماد على الحساب الذي يؤمن بالرؤية ويركن اليها .. وعلى المقاييس التي يتفق عليها علماء الفلك فى العالم الاسلامي كله ...

وبهذا سنعمل على احترام المبادىء الثلاثة : مبدا احترام الرؤية ، ومبدا الاستعانة بالعلم ، ومبدا تعميمها فى العالم الاسلامي ...

محاولات ومحاولات ..

ولقد كانت احدى الدول الاسلامية اقترحت عقد مؤتمر يضم علماء الاسلام من مختلف البلاد لبحث توحيد ايام الصوم والاعياد ، وكان مجلس الجامعة العربية وافق على ذلك فى دورته الرابعة والعشرين .. وقد راوا ان من المفيد ان يتقدم ذلك تبادل فى وجهات النظر بين علماء المسلمين فى مختلف بقاع الارض حتى يكون ذلك تمهيدا لاخذ قرار جماعي تسير على مقتضاه الدول الاسلامية الاخرى .. لقد قرات عدة تقارير في الموضوع ، فيها ما كان يتسم بروح المناظرة البناءة والاعتدال الهادف لكن فيها ما كان ترديدا فقط لما عرف منذ زمان من اقوال وحواشي وهوامش على ان فيها ما كان سطحيا يستهدف الجدة اكثر مما يقصد الى الفائدة (1) ...

وبعد هذا انعقدت مؤتمرات اسلامية هنا وهناك .. قدمت فيها تقارير يستخلص منها القول باعتماد كل بلد اسلامي لرؤية البلد الآخر لا سيما مع توفر وسائل الاتصال وتطور الاحوال .. وآخر المؤتمرات التي انعقدت هذا العام دعت الى عدم اعتبار اختلاف المطالع وان تباعدت الاقاليم

وفي جملة ما قراته من اقتراحات في موضوع التوحيد فكرة ترمي الى ان تجعل من البلد الحرام مركزا رئيسيا لرؤية الهلال ، متى تحقق فيه ظهور الهلال ، عم سائر البلاد ومتى تحقق العيد هناك تحقق فى باقي البلاد ، ويبرر اصحاب هذه الفكرة هذه المركزية ببعض الآثار الشريفة : ان الله فى كتابه يقول: « يسالونك عن الاهلة قل هي مواقيت للناس والحج » فان القرآن فى تخصيصه الحج بالذكر فى هذا المقام بعد العموم انما يشير اشارة دقيقة الى اعتبار اصل التوقيت الزماني متصلا بمكان واحد فى مكان الحج وهو مكة المكرمة . على ان السنة لاتخلو ـ يقول هؤلاء ـ مما يشير الى هذه «المركزية» فقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال : « عرفة يوم يعرف الامام والاضحى يوم يضحي الامام والفطر يوم يفطر الامام » وفي معرض تحليل هذه الفكرة من الناحية التطبيقية نجد انهم يقولون : انها تشمل جميع من يوجد من

1) دعوة الحق رمضان 1379 (مارس 1960)

المسلمين شرقي مكة الى جزيرة فرموزة (1) ، ومن يوجد من المسلمين غربيها الى داكار . ومجموع هذه المنطقة يبلغ تقريبا تسع ساعات : خمس في الجهة الشرقية من مكة واربع ساعات غربها ...

هكذا قرات ، لكن الفكرة الاعدل منها والاقوم ان لانتخذ قطرا معينا لاعتبار الهلال ، بل يكفي في نظرنا ان يظهر في اي جزء من اجزاء العالم الاسلامي ليسري مفعوله على باقي اطراف الارض ، وهكذا نكون قد اخذنا براي التوحيد من جهة واحترمنا مبدا الرؤية من جهة ثانية ، ثم اننا من ناحية ثالثة نظرنا بعيدا الى الاسرة الاسلامية على انها كالحلقة المفرغة ليس لها اطراف ولا حدود ، وحقا فان الاسلام لا وطن له الا حيث توجد العقيدة الاسلامية ... هبنا رايناه في الباكستان او في داكار فان علينا ان نصوم ... ان لمهبط الوحي اعتبارات مكانية لاينكرها احد ، بيد ان الامر لايقتضي ان تجعل منه **جرينتش** لعالمنا الاسلامي نحن نريد ان نتصور حدود هذا العالم في روحنا وعقيدتنا وليس في شيء آخر (2)

وبهذه المناسبة ارجو ان يسمح لي بان التمس من ملوك ورؤساء الدول الاسلامية ان يكونوا هم انفسهم عونا على تحقيق هذا الرجاء اذا ما اقتنعوا به ، التمس ذلك وحسن النية يحدوني ، ان الحدود لاينبغي ان تخلق بعدا جديدا الى جانب اختلاف المطالع .. واختلاف الاقاليم .. واختلاف خراسان عن الاندلس!

ان التفاتة من الملوك والرؤساء كافية لان تقوم مقام كثير من المؤتمرات وكثير من المناظرات وكثير من المؤلفات بشرط ان يقتنعوا حفظهم الله بوجاهة هذا الراي وسداده ... ويؤمنوا بما فيه من جدوى وفائدة لضبط تاريخنا ولم شتاتنا

وبعد فاعتقد ان الوقت قد حان اكثر من اي وقت مضى للاستفادة من معطيات العلم ولمسايرة ركب الحياة في كل ما لايصطدم باهداف الاسلام ومبادئه السمحة لاسيما ونحن امام اجيال حائرة ، امام شباب فتح عيونه على الارقام كوسيلة للاقناع لاتخطيء .. يجب علينا ان ناخذ بيد هؤلاء الحائرين قبل أن يصبحوا في عداد الضائعين ... ان العلماء يقولون: **« خاطبوا الناس على قدر ما يفهمون » وليس معنى هذا فقط ان ننزل الى مستوى الضعفاء الذين لايدركون ، ولكن ايضا أن نحلق مع الذين لهم من العلم مسكة ومن الفهم نصيب ...**

وماذا يكون معنى قول الناس : « اختلاف العلماء رحمة » اذا لم نتخير من الآراء مايناسب الاحوال رفقا بالناس واشفاقا عليهم ... وليس يشعر بهذا الموضوع اكثر ممن احتكوا – بحكم عملهم – بتلك الاجيال وخبروها واستمعوا لهواجسها ... مع المئين من طلابي وطوالبي سواء بجامعة القرويين او كلية الحقوق او الآداب او المدرسة الادارية او الذين اخذوا بصفة حرة ... كنت كثيرا ما استمع الى اسئلة تبدو لاول مرة غريبة أو متعنتة ... ولكنها كانت تنم عن رغبة حقيقية في الفهم ... انهم يتوقون لمن يخاطبهم بمقتضى ما به يقتنعون ، وما به عن طريق اوليائهم يؤمنون ، فلكي نبرهن على أن رسالة الاسلام حية الى الابد يجب أن نكون نحن احياء .. يجب على الاقل ان نساير الزمن ان لم يمكن ان نسبقه ... لا ينبغي ان يخرج الطالب من حصة استاذ العلوم بافكار لايتجاوب فيها مع استاذ الفقه في الغرفة المجاورة ... ليس للاسلام صراع بين الدين والعلم ابدا كما كان بالنسبة لبعض الديانات الاخرى ... بل ان الاسلام آخى بين العقل والدين كما لايخفى علينا لضمان جيل مسلم متنور ان نصمم لخلقه تماما كما نصمم لمشاريعنا الاقتصادية والعمرانية ... علينا ان نعد للامر عدته بروح مرنة غير متطرفة ولكنها غير متساهلة ، ان الاحداث التي يطالعنا بها العالم يوما عن يوم يجب أن تجد لها تفسيرا مناسبا لدى ابنائنا حتى يظلوا في قبضتنا ... انهم يستهدفون لغزو القرن العشرين ... ومن ابرز مظاهر هذا الغزو انه ليس في استطاعتنا ان نتجنبه ! لانه وحش مخيف او كائن لطيف ينفذ عن طريق الكتاب ، وعن طريق المدرسة ، عن طريق التلفزيون ... عن كل طريق لانملك السيطرة عليها بل من المستحيل ان نحاول تلك السيطرة ... لذا فليكن رد الفعل من جنس ذلك الغزو .. لقنوهم عن ذلك الطريق نفسه وبالتي هي احسن ...

---

1) من تقرير الاستاذ شكري التاجي الفاروقي من علماء الاردن تقدم به الى شيخ الازهر لعرضه على انظار العالم الاسلامي .

2) التازي : المالكية زعماء توحيد الصيام في سائر الاقطار « دعوة الحق » ، السادس رمضان 1379 مارس 1960

لتحرص على ان تفهم لتصل الى الحقيقة مع ابنائنا لنلتمس العذر لهم حينما يترددون ، فما حسن ان نقيس واقعنا بواقعهم وظروفنا بظروفهم ... ولن يكون في اجتهادنا من اجل انقاذهم ما يسيء الى اجتهاد الذين سبقونا بالايمان ، فما نرضى ذلك ولن نرضاه.. فبهداهم نقتدي ونحن نحرر هذه الكلمات ، وغاية ما نصبو اليه ان لاتحدث فجوة بين العقيدة والحقيقة ... فقد ظلت احداهما تلازم الاخرى ، ويجب لكي نضمن بقاء تلك وهذه ان نعمل على تشجيع التعاون بينهما لخير كل من الحقيقة والعقيدة .

الى مجلس امير المؤمنين

مولاي صاحب الجلالة

لقد حررت هذه الفتوى متأثرا بعاملين مزدوجين : المبادىء المقدسة التي تتملك منا كل المشاعر، ثم ما يعترض حياتنا المتطورة من مختلف المظاهر ، فلا بد اذن ان تعكس تلك وهذه ظلالها على ما كتب ، ولا بد ان نجد الاسهاب حينا والاستطراد حينا آخر لكن لي من حسن ظنكم ما يجعلني اتوق لتجاوز منكم مقبول ، ورضى منكم مأمول .

واذا كان من « جود الله الدعاء » فاننا نضرع اليه في ان يسبغ بشآبيب رحمته ورضوانه على ضريح والدكم المقدس بالله الذي كان له فضل الاعتصام بهذه « السنة الحسنة » في ظروف عز فيها النصير والظهير فكان له بذلك اجر الذي « يبث العلم في الصدور » وكان له بذلك اجر الذي وصل هذا العهد بعهد جده الرسول الاعظم الذي استنزل الرحمات على امكنة ومجالس تتدارس كتاب الله وسنة رسول الله .

وليحفظم الله لتبليغ رسالة ذلك الجد وهذا الوالد فما شيء هناك اكرم عند الله من ان نبلغ درجة الكمال في ديننا ودنيانا معا ، وما شيء هناك ادعى للامتنان من ان تردد ارجاء الدنيا اصداء تقدمنا وتشبثنا معا .. تلك امنية غالية ودرجة عالية لايحظى بها الا الذين حفت بهم الالطاف وسبقت لهم من الله بداية العنايات وعناية النهايات .

الرباط — عبد الهادي التازي

تصـــويـــب

جاءنا من فضيلة الاستاذ عبد الله الجراري تصحيح لما جاء في مقاله المعنون بـ « جامعة القرويين من خلال التاريخ » المنشور بالعددين التاسع والعاشر من السنة التاسعة :

« ذلك ان مظاهر الحركة العلمية بالقرويين لعهودها الاولى — العناية بسرد بعض كتب التفسير الذي عنيت به هيأة العلماء — هو تفسير احمد بن محمد الثعلبي النيسابوري المسمى : « الكشف والبيان ، في تفسير القرآن » .

والمفسر الثعلبي هذا كان يعيش اوائل القرن الخامس ، اذ توفي سنة (427 هـ 1035 م) .

توجد منه نسخ بمكتبة القرويين كما توجد منه نسخ ببعض الخزائن الخاصة ، ورغم كونه من التفاسير القديمة لم يعن بطبعه وتعميمه بل بقي مخطوطا .

والمفسر الثلعبي ترجمه جماعة كابن خلكان ، وانباه الرواة بلفظ الثعالبي ، وايراده بهذا اللفظ زاد في التباسه بالمفسر الثعالبي الجزائري حتى انساب القلم في الاقتصار على هذا ؛ والميل الى نفي ان يكون في العصر المتحدث فيه عن الجامعة تفسير يسرد .

على ان الثعلبي هذا قيل بهذا بلفظ « الثعالبي » .

فمعــذرة .



للأستاذ: أحمد التيجاني

في العدد التاسع والعاشر من هذه المجلة طرقت موضوعا هو في حد ذاته كسائر الموضوعات التي تتبارى فيها القرائح وتتبادل فيها الاراء بالتأييد والمعارضة، الا ان ما تراكم حوله من التقاليد المتولدة مع الايام عن التاويلات والتعاليق صيرته لا يكاد يقدم على الكتابة فيه الا بمزيد التحفظ، والقاء الف حساب لما عسى ان يقال لما املاه علينا الزمان من ان التقاليد اذا طال عليها الامد ونبت عليها الربيع، اصطبغت بصبغة الدين، وصارت تحترم بحرمته، والذي حتم علي فتح هذا الباب هو تبرئة الذمة من مسؤولية التقصير في خدمة ديني، ويرحم الله حكيم الشرق جمال الدين الافغاني عن كلمته الخالدة لرفيقه مفتي الديار المصرية محمد عبده: « ما من احد بأصغر من ان يعين، ولا باكبر من ان يعان » . ما يعتبره الناس نهاية اعتبره انت بداية، لانه لا حد للكمال » . وفي معناه ما يوثر عن التابعي الجليل سعيد بن المسيب، ومن خبره انه كان فقد احدى عينيه في الجهاد . ثم بعد زمن سمع النفير بالدعوة الى الخروج لغزوة اخرى، فكان طليعة من هبوا اليها، فاعترضه احد معارفه، وقال له: « يا سعيد سقطت عنك فريضة الجهاد، لانك من اولي الضرر، والله يقول: «لا يستوي القاعدون من المومنين غير اولي الضرر والمجاهدون في سبيل الله» . فكان الجواب: « ان الله استنفرنا خفافا وثقالا، اذا لم يمكني قتال، اكثر السواد واحفظ المتاع . » جواب واي جواب يترقرق في افقه قوله عليه الصلاة والسلام: « رحم الله رجلا ممسكا بعنان فرسه كلما سمع هيعة طار اليها . »

وزاد العزيمة مني اندفاعا لفتح باب الكلام في الموضوع ما انتهى اليه طويل مطالعتي عشرات السنين لمعظم التفاسير المتداولة ومختلف المطبوعات، من ان المسالة على كثرة ما تيودل فيها من الاراء لا زالت لم تدخل في حيز اليقينيات، وتلك حقيقة ثبتت عندي ثبوتا تعانق فيه اليقين مع الايمان. نزولا على حكم هذا اليقين، اقول لفضيلة السيد الكتاني صاحب الرد المنشور في العدد الاخير من نفس المجلة، اجيبك تحت شعار: طالب الحق ضيف الله.

وحيث كنا معا نرمي الى غرض
فحبذا ناضل منا ومنضول

ان التمهيد الذي صدرتم به مقالكم يعفيني من مؤونة التطويل والاكثار من جلب البراهين، لقد انطقكم الله الذي انطق كل شيء بما فيه الانتصار لنظريتي بدلا من المقاومة لها

على حد ما قيل من ناهض الحقيقة انتهى به الامر الى تقوية جانبها لانه بالمقاومة لها ومعاناة التماس الادلة لتأييد رايه يثير ادلة جديدة من جهة المتصرين لها لان الحقيقة لا تتبدل فيكون الحق هو الغالب في العاقبة . جاء في المثل ان الانسان اذا اشار بالسبابة لآخر ينعته بنعت من النعوت انثنت الاصابع الثلاثة التي الى جانبها بقلب الاشارة على صاحبها . وبيان ذلك انكم بنيتم احتجاجكم لاثبات النسخ على ان النسخ جاء على سنة التطور في البشر فمضيتم تقولون: « ان ظاهرة التغير والتطور الانسانيين ظاهرة حتمية لم يشذ عنها

مجتمع من المجتمعات البشرية . وزدتم تقولون ان الشرائع النقلية والوضعية انما تجيء في نسقها التطوري لتؤيد تلك الحقيقة الاجتماعية الخ »

* * *

كنت نزلت ضيفا على المؤتمر الاسلامي في القاهرة بدعوة من كاتبه العام السيد انور السادات . وبطبيعة الحال اجتمعت بمدير جامعة الازهار اذ ذاك الشيخ محمود شلتوت صاحب المؤلفات العديدة في علوم القرءان فكان اول ما فاتحته فيه الكلام مسألة النسخ في القرءان فاجابني بما ساعيده يوم تشهد الارض على كل احد بما عمل على ظهرها :

«ان مدة التشريع في المدينة لم تتجاوز العشر سنين وفترة كهذه ليس من شانها ان يحدث فيها من التطور الاجتماعي ما يستدعي نسخ حكم من الاحكام وزاد يقول : ما قلت لتلامذي في يوم من الايام ان النسخ موجود في القرءان . وانني اذ تسلك ان تروي هذا الجواب عني في المغرب والجزائر ، كما اني مستعد لاجابة من يكاتبني في هذا الشان » جواب واي جواب ردد صداه التاريخ على لسان احد زعماء الاصلاح في العصر الحاضر . اذ ما معنى سنة التطور التي يرتكز عليها مقالكم اذا قابلناها بالعشر سنين التي هي مدة التشريع والكتاب العزيز لا تزال تتصعد منه حرارة انفاس جبريل ذلك الكتاب الذي شهدت حمرة شفق الانجيل باتصال نسبه بنسب ما بين يديه من زبر الاولين ذلك الكتاب الذي خاطب عليه سبحانه ـ ولله المثل الاعلى ـ بقوله جلت عظمته : « لكن الله يشهد بما انزل اليك انزله بعلمه والملائكة يشهدون » نعم ثم نعم اكررها احدى وثلاثين مرة (سورة الرحمان) وان كون النسخ انما هو فيما بين الكتب السماوية بعد مرور فترات من الزمن يجرب فيها من الحوادث والاحداث ما يعطي معنى للتطور الاجتماعي الذي اتخذتموه اساسا لنظريتكم ويستبعد كل البعد ان يراد به (اعني النسخ) كتاب هو اخر كلمة من السماء الى الارض بمنزلة رسول حي من يوم نزوله الى ان يغمض هذا الوجود الجفن في دار الخلود فيكون رقمه القياسي على هذه النسبة لا على نسبة العشر سنين ولا الثلاث والعشرين سنة كما قلتم في مقالكم (الفقرة الاولى ص 11) . كتاب هذه وظيفته جدير وحقيق بان يكون محكم القتل لا تنفصم عروة من عراه ولا تفتح قلعة من قلاعه لذلك استحق ما جاء فيه من الاوصاف والنعوت : « ولو ان قرءانا سيرت به الجبال او قطعت به الارض . او كلم به الموتى . بل . لله الامر جميعا » « لو انزلنا هذا القرءان على جبل لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله »

تقولون في الفقرة الثانية من نفس ص 11 : وكذلك يجب ان يكون دستور البشرية متفاعلا مع الاحداث ناميا مع الانسان متدرجا به نحو الاسمى والاصلح الخ على هذا يجب ان تطرد سنة هذا التطور جيلا بعد جيل والاحقاب بعد الاحقاب . والحق معكم فقد وقع بالفعل . فتحت ثقبة النسخ ثم اخذت تتسع سنه الماء اذا القيت من حجر اظهرت دائرة على وجه ثم اخذت تتداخ دوائر دوائر مما ادى الى استبدال العزائم بالرخص والانسان بحكم الجبلة ميال في مواجهة اعماله الى اختيار اقلها كلفة ومؤنة . الامر الذي يحدو به الى تاويل النصوص ، وجب اليه ناسيا ان جميع الشرائع كما تخول المنتسبين اليها حقوقا تفرض عليهم في مقابلها واجبات فاذا بالكثير من هؤلاء اخذوا يتنصلون من عناء الواجبات يتبعون الرخص للتمتع براحة الرخص والتاويل للنصوص وما نشأ عنه من خلاف في وجوه الترجيح ادى الى تقسيم العلم الى قسمين : علم الظاهر ، وعلم الباطن . بدعوى ان هنالك شريعة وحقيقة كما يقول اصحاب هذه النحلة . وفاتهم ان علم الظاهر وعلم الباطن والشريعة والحقيقة ما دام مصدرهما واحدا اتحدت وجهتهما والتقيا في النهاية في نقطة الوفاق ضرورة ان الحقيقة لا تتبدل . « فما ذا بعد الحق الا الضلال »

* * *

كان المنتظر ممن يتصدى لابداء ما يراه من الملاحظة على مقالي ان ياتي بتطبيق ايجابي لمدلول النسخ بان يسرد بعض الايات المعدودة في قسم المنسوخ ويبين وجه كونها منسوخة مع بيان مقتضى التطور الاجتماعي الذي دعا الى النسخ . ولكن ويا للاسف . الرد الذي قوبل به مقالي اقتصر فيه على نظريات فلسفية واجتماعية . والفلسفة كما هو معلوم لا تخلو من سفسطة (تسمية للاشياء باسمائها) وهذه ثلمة في الرد لا باس ان يطالب صاحبه بسدها وبيان ذلك

عد صاحب الاتقان في علوم القرءان الايات التي من هذا القبيل وانها 21 اية او 19 فقط ضمنها الشيخ طنطاوي جوهري في جدول قابل فيه بين الايات الناسخة في ضلع والايات المنسوخة في ضلع

الاية الاولى : « كتب عليكم اذا حضر احدكم الموت ان ترك خيرا الوصية للوالدين والاقربين بالمعروف حقا على المتقين ، فمن بدله بعد ما سمعه فانما اثمه على الذين يبدلونه . ان الله سميع عليم » . قيل نسخت هذه الاية ، باية المواريث . لا اطيل بالقارىء فاقتصر فيها على ما قاله البيضاوي في تفسيره : وان اية المواريث فضلا عن كونها لم تنسخها فانها تؤيدها وتاكدها لانها بعد ذكر ما يستحقه كل واحد من الورثة اصحاب الفروض تعقبه بقوله تعالى « من بعد وصية يوصي بها (الموصي) او دين . وهكذا اطرد ذكر هذا الاستثناء بعد ذكر كل سهم ، فاين هنا مقتضيات التطور الاجتماعي الذي يدعو الى نسخها ؟ بل الاية لا تحتاج لا للبيضاوي ولا لطنطاوي ولا لغيرهما ، فان سناء وضوحها يكاد يذهب بالابصار نعم ثم من يقول بان الاية نسخت بحديث : « ان الله اعطى كل ذي حق حقه الا لا وصية لوارث » يقال ما يقال بان الحجة باقية » . قال البيضاوي وغيره من المفسرين : اتفق الحفاظ ان هذا الحديث حديث احاد ، والقرءان متواتر والمتواتر لا ينسخ بالاحاد هذا على قول من يقول بنسخ القرءان بالحديث والمسألة كما هو معلوم خلافية يزاد عليه ان الوصية لو كانت مظنة للنسخ ما سجل عليها سبحانه بقوله « حقا على المتقين » اعلاما بان حكمها باق ما دام على وجه الارض متق ، وبقوله سبحانه « فمن بدله بعد ما سمعه اعني الايصاء فانما اثمه على الذين يبدلونه ، ان الله سميع عليم » الاية كما يرى القارىء مثقلة بالتهديد مثل هذا التسجيل على الاية لا يكون عرضة للنسخ .

الاية الثانية : « يا ايها الذين ءامنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم » ، وان الناسخ لها هو قوله تعالى بعدها : « احل لكم ليلة الصيام الرفث الى نسائكم » ، يعللون النسخ بان الكاف في قوله تعالى كما هي لتشبه الصيام الذي كتب علينا معشر المسلمين بالصيام الذي كتب على اليهود من النجم الى النجم اربعا وعشرين ساعة لا يقربون فيها النساء ، ثم نسخ هذا بقوله : « احل لكم ليلة الصيام » . نعم لا نزاع في كون الكاف للتشبيه لكنه تشبيه في مطلق الفرضية وان الصيام على ما يكلفكم معشر المومنين من مشقة فلستم اول من يصوم ، فقد كان كتب على من قبلكم فما شأن احالتنا على اليهود وتشبيه صيامنا بصيامهم ، ما شأن « البكاء في دار العرس » كما يقول المثل العامي ، ولما ذا هذه الوثبة السحيقة في فضاء التاريخ والوصول بنا الى اليهود وبيننا وبينهم ما يزيد على الخمسة آلاف عام هل لاقتصر اصحاب هذا القول بالتشبيه بالنصارى اقرب اهل الكتاب الينا زمنا ، عفوك اللهم الى اين تصل الغفلة باهلها مثل هذا التهافت وهذا الهذيان . ذكرني قول احد العارفين يشكو الى ربه « يا رب اصبحت غريبا في عبادك واغرب مني كتابك » .

الاية الثالثة : « يسالونك عن الشهر الحرام قتال فيه ، قل قتال فيه كبير » . نسخه في زعمهم . « وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة » . ما الذي وصل بالقوم الى القول بالنسخ ، والرب تقدست اسماؤه بين احكام الشهر الحرام وحرمته كما بين حرمة المسجد الحرام : « الشهر الحرام بالشهر الحرام والحرمات قصاص » ــ حرمته لازمة لكم كما هي لازمة لهم فان اخترقوا حرمته واستباحوكم فاستبيحوهم ، ان القتال في الاصل شرع للدفاع ومقابلة المثل بالمثل : «فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم» ــ «اذن للذين يقاتلون بانهم ظلموا وان الله على نصرهم لقدير » ــ « وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا ، ان الله لا يحب المعتدين » ــ « ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه ، فان قاتلوكم فاقتلوهم » ــ « والمسجد الحرام الذي جعلناه للناس سواء العاكف فيه والباد ، ومن يرد فيه بالحاد بظلم نذقه من عذاب اليم » ــ التهديد يجري حكمه بمجرد الهم بالالحاد والظلم في البيت الحرام .

الاية الرابعة : « والذين يتوفون منكم ويذرون ازواجا وصية لازواجهم متاعا الى الحول » نسخها على قولهم ، الاية قبلها : « والذين يتوفون منكم ويذرون ازواجا يتربصن بانفسهن اربعة اشهر وعشرا » وهي عدة المتوفى عنها » . فلا يحق لي ان اقول : خرجنا من كتاب التهافت ودخلنا في كتاب تهافت التهافت . اول ما

يتوقف نظر الباحث ان الاية الاولى المدعى نسخها من سورة البقرة هي الاية عدد 24 والناسخة لها هي ذات عدد 234 معناه ان المتقدمة نسخت التي بعدها ، ولما كان المولعون بالتاويل لا يعوزهم وجود المخرج عللوا ذلك بكون القرءان لم يرتب في المصحف على حسب النزول

يكفيني هنا ما قاله صاحب تفسير روح المعاني حيث قال : « مثل هذا مما يتحاشى منه مطلق كلام البشر فكيف بكتاب الله . (نقلا عن تفسير المنار) نعرض عن هذا الانتقاد الشكلي وننظر في الايتين من جهة مدلولهما ومن جهة المقصود منهما

الاية 234 : «والذين يتوفون منكم ويذرون ازواجا يتربصن بانفسهن اربعة اشهر وعشرا » عدة المتوفى عنها والمقصود من العدة سواء في ذلك عدة المطلقة وعدة المتوفى عنها اثبات براءة الرحم بدليل ان المطلقة قبل الدخول لا عدة عليها . بخلاف الاية رقم 240 المتأخرة في التلاوة : « والذين يتوفون منكم ويذرون ازواجا وصية لازواجهم متاعا الى الحول غير اخراج » فانها تدل بمنطوقها ومفهومها على وجوب تمتع المتوفى عنها بالسكنى حولا كاملا على القيد الذي بينته الاية حي الله الاسلام الذي جعل الى جانب الشريعة التي جاءت بها شريعة اخرى هي شريعة المروءة والرحمة ، وما نزعت الرحمة الا من قلب شقي . نعم ، منع الوارث في هذه الاية من اخراج المتوفى عنها من بيت زوجها الهالك تهوينا عليها بعض التهوين مما نزل بها ، اذ كيف يليق بكرامة العائلة وسمعتها ان تغادر المرأة بيت زوجها على اثر وفاته تجابه من حينها عوادي الدهر وتكاليف الحياة ، كانها مطرودة .

والخلاصة فان لكلتي الايتين منطوقها ومدلولها الخاص بها . هذه في عدة الوفاة وتلك في فريضة التمتع للمتوفى عنها . امام هاتين الايتين الواضحتين يتدفق سيل العرم بالروايات والتاويلات ، وان آية التمتع نزلت في رجل من الطائف يقال له حكيم بن الحارث رحم الله القائل : انا اريه المشاهدة ، والعيان وهو يقول لي روى فلان ، واخبرنا فلان ، وحدثنا فلان . ابمثل تلك المعاملة تعامل امرأة مثل التي يقول فيها عليه الصلاة والسلام : « ايما زوجة ماتت وزوجها عنها راض دخلت الجنة » .

الاية الخامسة : « وان تبدو ما في انفسكم او تخفوه يحاسبكم به الله » نسخ عند القائلين بالنسخ بقوله تعالى: « لا يكلف الله نفسا الا وسعها » . عللوا ذلك بانه لما نزلت الاية الاولى شق امرها على اصحاب رسول الله ، فقالوا : يا رسول الله كيف نحاسب حتى على ما نخفيه ، فجاءت الاية الثانية بنسخها هنا ، احيل القارىء على تفسير المنار فان فيه ما يشفي ويكفي فانه بين بانه ليس المراد بقوله تعالى او تخفوه مجموع الواردات والخواطر التي تتوارد على النفس انما المراد ما يصحبه التدبير والتبييت وان لم يبلغ بصاحبه الى بلوغ مراده فهذا من قبيل اللمم : الا اللمم ، ان ربك واسع المغفرة – وكقوله تعالى « لا يواخذكم الله باللغو في ايمانكم ولكن يواخذكم بما عقدتم الايمان» – يزاد عليه ان القول بالنسخ هنا يجر ذيله على ما كان من هذا القبيل . كقوله تعالى : « والمسجد الحرام الذي جعلناه للناس سواء العاكف فيه والباد ، ومن يرد فيه بالحاد نذقه من عذاب اليم » . والارادة محلها القلب من قبيل ما يخفيه الانسان .

واما ما ذهبتم اليه في تاويل المثلية في قوله تعالى: « ما ننسخ من آية او ننسها نات بخير منها او مثلها فيلاحظ عليه ان كلامي لم يفهم على حقيقته لذلك جركم تيار الكتابة الى استنتاجات ، قل من يسلمها ويطمئن اليها . الذي اقوله هو ان الاية في مجموعها جاءت في سياق الاحتجاج على اهل الكتاب بالاصالة والمشركين بالتبعية لهم فهي بمنزلة الخبر بالنسبة للاية التي قبلها التي هي المبتدأ وهي : « ما يود الذين كفروا من اهل الكتاب ولا المشركين ان ينزل عليكم من خير من ربكم والله يختص برحمته من يشاء» . من كانت مشيئته وقدرته من قبيل ما لا حد له ولا نهاية يخرج الحي من الميت والميت من الحي . ينسخ الموجود ويبعث المفقود الذي طواه الزمان فيما طوى على توالي الاجيال وتعاقب الرسل ، ثم ذكرت على وجه التمثيل لما غبر واندثر من الصحف الاولى صحف ابراهيم ، لا ادري ما الذي صدفكم عن ذكر صحف ابراهيم عند ما قلتم في جوابكم بان التاريخ احتفظ بالكتب التي توسيت وطواها الزمان ومضيتم تقولون بان الاخذين بها والقائمين على حفظها كانوا احياء يجادلون الرسول في مكة والمدينة الى ان قلتم فاي نسيان مع هذا ؟

قلتم هذا اقتصار منكم على كتب اهل الكتاب اليهود والنصارى مع ان فحوى كلامي ان كلمة ما تنوسي وطواه الزمان المقصود بها جميع ما تلقته الارض من السماء من الزبر فانها كلها باستثناء التوراة والانجيل اندثرت وتنوسيت وحتى الانجيل فانه لا يمكن الجزم بوجوده بشهادة مشاهير المؤرخين من النصارى انفسهم جاء في كتاب تاريخ الديانات العام لصاحبه (بيار رهم) (Pierre Rehm) ما نصه : « واما ما نسميه اليوم اناجيل فانها ليست صدى كلام المسيح وانما هي مجموعة روايات وتقاليد جمعت في آخر القرن الاول الميلادي جمعها المولعون بالتقاليد والسمعيات وبعبارة اخرى ان ما بقي من الاناجيل اشبه شيء بحمرة الشفق بعد غروب الشمس ، كذلك القول في شمس الانجيل فانها غربت

كلامكم في محاولة بيان معنى المثلية ، انتهى بكم الى القول بان المثلية هي في الثواب !

لا اخفي عنكم ان مثل هذا الاستنتاج لا يقبله الا من رضي لنفسه الاستسلام للتقاليد عملا بالقول الذائع الشائع : من قلد عالما لقي الله سالما .

اما اخوك فانه اختار ما بين النجوم التي يهتدى بها امثال هذه النيرات : ابن دقيق العيد قاضي القضاة في وقته الذي يقول : « ما حكمت حكما حتى هيأت جوابي عليه يوم الوقوف بين يدي الله . » وقول احد العارفين وكان سفارا للكتب وصى اهله ان ينقشوا على قبره هذه الكلمات : « جسمي اصبح تحت التراب فريسة للديدان شبه كتاب افرغ من مضمونه » انطمس تذهيبه واندست حروفه ، لكن الكتاب لم يضع سيعاد طبعه في صورة ابهى من الاولى بعد المراجعة والتصحيح من المؤلف ه .

وفوق ذلك القرءان الكريم الذي يقول : « ولقد جئناهم بكتاب فصلناه على علم هدى ورحمة لقوم يومنون هل ينظرون الا تاويله ، يوم ياتي تاويله يقول الذين نسوه من قبل الخ . »

« فاستمسك بالذي اوحي اليك انك على صراط مستقيم ، وانه لذكر لك ولقومك ، وسوف تسألون » (تسألون عنه ما ذا فعلتم به)

« وقال الرسول يا رب ان قومي اتخذوا هذا القرآن مهجورا » . يقول « يوم تاتي كل نفس تجادل عن نفسها» « ها انتم هؤلاء جادلتم عنهم في الحياة الدنيا فمن يجادل الله عنهم يوم القيامة ام من يكون عليهم وكيلا » « قل كل يعمل على شاكلته ، فربكم اعلم بمن هو اهدى سبيلا » .

الرباط : احمد التيجاني

نظرة في منجد الآداب والعلوم

للأستاذ عبد الله كنون

(14)

حرف العين :

345) في ص 329 . ع ني تعريف بسورة العديات وقع فيه ضبط الياء من هذا الاسم بشدة فوقها فتحة وذلك يوهم انها ياء نسب وليست كذلك فحقها الضبط بفتحة فقط لانها ياء المنقوص التي تحذف تخفيفا في المفرد عند تكبيره .

346 في هذا العمود كذلك ترجمة شيخ الاسلام عارف حكمت جاء فيها انه انشأ في استنبول مكتبة جمعت 5540 مجلدا ، والمعروف ان هذه المكتبة في المدينة المنورة لا في استنبول ، وهي المشهورة بين العلماء بالنسبة اليه حتى لو كانت له مكتبة اخرى في استنبول لا نعرفها .

347) وفيه ايضا تعريف بابن عاشر صاحب نظم المرشد المعين قال فيه : معلم ميارة ، وهو تعريف غريب لا يفهمه الطالب ولا العالم اذا لم يكن متخصصا ، والشيخ ميارة شارح نظم المرشد هو حقا تلميذ لابن عاشر ولكنه تلميذ كذلك لغيره من العلماء ، فلا يقال ان ابن عاشر هو معلمه بالقصر كما ان ابن عاشر لا يعرف بتلميذ من تلاميذه يضاف اليه . فلو انه قال فيه عالم مغربي فقيه مقرىء له عدة تآليف ، منها : نظم المرشد الخ . لكان عرف به حقيقة . ثم انه قال في نظم المرشد انه منظومة على مذهب مالك ، والصواب ان يقول منظومة رجزية تعليمية في علم التوحيد وفقه العبادات والتصوف كما قال صاحبها في اولها :

في عقد الاشعري وفقه مالك
وفي طريقة الجنيد السالك

348) في ص 330 . ع ل . ترجمة لكل من القاضي ابي بكر محمد بن عاصم صاحب نظم التحفة المعروف بالعاصمية في فقه الاحكام ، وابنه ابي يحيى محمد بن محمد بن عاصم الوزير الكاتب الذي يطلق عليه ابن الخطيب الثاني ، ومع ان ابا يحيى ولي قضاء غرناطة كوالده الا ان شهرته بالوزارة والكتابة اكثر والمنجد لم يشر الى ذلك فلم يذكر اي وصف يميز الابن من الاب ولا حتى الاشارة الى هذه العلاقة بين الشخصين ، ولولا اختلاف التاريخ لظنهما القارىء العادي شخصا واحدا .

349) في ص 331 . ع ل . تعريف بالسيدة عائشة ام المومنين قال انها دفنت في البقيع وضبطه بضم الباء وهو بفتحها ، ولعلنا كنا نبهنا على ذلك في حرف الباء .

350) في ع ني . من هذه الصفحة ترجمة السيدة عائشة بنت طلحة ، قال انها عاشت نحو 650 وما تفيده عبارته من انها عاشت هذه المدة كلها لا يصح بحال بقي انه يريد تاريخ وفاتها فكان عليه ان يقول عاشت الى نحو 650 او ان يقول توفيت حوالي سنة 650 .

351) في العمود نفسه بعنوان العباد او بومدين قال : قرية فيها قبر ابى مدين الصوفي ، باللام ، ولم ندر ما هذه النسبة ولعلها ان تكون محرفة من الصوفي بالفاء ، وزاد قائلا يشتغل نساؤها الاقمشة المطرزة . وفعل اشتغل لا يتعدى للمفعول بنفسه بل بالباء . فالصواب ان يقول بالأقمشة .

352) ايضا ترجمة لعباد بن زياد ، قال فيها انه ابن اخت معاوية وهو خطأ ، فانه على ثبوت اخوة زياد

ابن ابيه لمعاوية يكون عباد هذا ابن اخيه لا ابن اخته . ثم قال : وعميله على سجستان ، وهو يريد عامله ، فعبر بعميل ومعناها لا يصلح هنا . وقد تكرر هذا التعبير عنده في مواضع اخرى

353) وفيه كذلك ترجمة لابن عباد الوزير المعروف بالصاحب . وهذه هي المرة الثانية التي يترجم له في المنجد ، فلعله يشتبه عليه ويظنه شخصين مختلفين . وقد ضبط نسبته الطالقاني بكسر اللام ، وهي بفتحها كما نبهنا عليها فيما مر .

354) في ص 332 . ع ل . بعنوان « بنو العباس » ذكر الخلفاء العباسيين فقال جدهم الاعلى ابو العباس عم النبي ، وهو العباس بن عبد المطلب ابو الفضل لا ابو العباس . والعجيب انه ترجم له في العمود الثاني من هذه الصفحة فسماه باسمه عباس ، مما يدل على ان الاسماء تختلط على مؤلف المنجد وانها بحاجة كثيرة الى التحرير

355) في ص 334 . ع ل . تعريف بعباس بن فرناس الشهير اول من حاول الطيران من بني الانسان ضبط فرناس فيها بفتح الفاء والمعروف فيه كسرها .

356) في ع نى . من هذه الصفحة ترجمة بعنوان عبد الله بن احمد قال فيها هو المنصور بن محمد شيخ المهدي الملقب بالواثق . وظاهر انه يريد السلطان ابا فارس عبد الله بن احمد المنصور الذهبي بن محمد الشيخ المهدي السعدي،ولكنه لعدم تمييزه بين هذه الاسماء ومسمياتها جعل عبد الله هو المنصور ، وقال في والد المنصور محمد شيخ المهدي فحذف اداة التعريف على عادته من لفظ الشيخ وبذلك تحول من الوصف الى الاضافة وفيه ما فيه

357) وفيه ايضا ترجمة لعبد الله بن جحش الصحابي الجليل اخي ام المومنين زينب بنت جحش حرف فيها اسم جحش الى جهش بالهاء ، وذلك من مساوي الاعتماد على الترجمة ، وقد نبهنا على ذلك في ترجمة زينب اخته .

358) في ص 335 . ع ل . ترجمة لعبد الله بن رواحة صاحب رسول الله (ص) وشاعره ضبط فيها اسم رواحة بضم الراء وهو بفتحها وقد نبهنا عليه فيما سبق لانه ترجمه في حرف الراء ، وها هو يعيد ترجمته هنا .

358) في العمود نفسه تعريف بعبد الله بن سعد ابن ابي سرح الصحابي الفاتح المعروف ، قال مهد فتح بلاد قيروان . ولو قال بلاد افريقية لاصاب الصواب، فان القيروان بأل ، وان حذفها المنجد على عادته ، لم تبن الا بعد ابن ابي سرح ، بناها عقبة بن نافع سنة 55 ثم قال : انتصر على الاسطول البيزنطي في وقعة ذات السواري ، وهي الصواري بالصاد لا بالسين

359) وفيه ايضا ترجمة لعبد الله بن سلام الصحابي قال فيها : « عنه روى الطبري في تاريخه اخبار الثورات » ومع ما في قوله عنه روى الطبري من المسامحة فان قوله اخبار الثورات لا شك انه تصحيف ، اما من المطبعة واما من المؤلف ، والمراد التوراة الكتاب المنزل على سيدنا موسى عليه السلام . والا فان عبد الله ابن سلام لم يكن رواية اخبار غيرها ولم يشهد ثورات يروي اخبارهـــا .

- 360) وفيه كذلك ترجمة لعبد الله بن عامر ، قال فيها : محدث ابن عم الخليفة عثمان . اما كونه محدثا فلا ندري من اين اتى بها ولم يرو عنه الا حديث واحد هو قوله (ص) : «من قتل دون ما له فهو شهيد الخ» كما في التاريخ لابن كثير . واما كونه ابن عم عثمان فهو وهم ، بل هو ابن خاله

361) في الصفحة نفسها ع نى . تعريف بعبد الله بن اباض ، جاء فيه : اليه ينتسب الوهابية المعارضون للتحكيم . وظاهر ان المراد الاباضيون لا الوهابية ، فهل المنجد لا يفرق بين الطائفتين ؟

362) في ص 336 . ع ل . تعريف بالحافظ يوسف بن عبد البر ضبط البر فيه بكسر الباء ، وهو بفتحها اسم من اسماء الله عز وجل . واما البر بالكسر فهم اسم جامع لكل خير ، ولكن العبودية لا تكون الا لله فلا يجوز ان يكون الاسم عبد البر . وقال فيه : له كتاب « الاستيعاب في معرفة الاصحاب » . مخطوط في برلين . والاستيعاب مطبوع بهامش كتاب « الاصابة » طبعه السلطان مولاي عبد الحفيظ رحمه الله

363) في ع ني - من هذه الصفحة بعنوان عبد الحفيظ قال : اسم اثنين من سلاطين المغرب . وهو خطأ فالاسم لمسمى واحد ، والتاريخ الصحيح لولايته السلطنة هو الثاني (1908 _ 1912) . واما الاول فابتداؤه وهو عام 1894 انما يؤرخ ولاية السلطان مولاي عبد العزيز في حين ان نهايته وهي عام 1904 . لا دلالة تاريخية لها في ولاية ولا تنازل لكل منهما اعني للسلطانين عبد العزيز واخيه عبد الحفيظ .

364) وفيه ايضا ترجمة لعبد الحق المريني ابي الملوك من هذه الدولة جاء فيها كانت زوجاته من شرفاء بني علي بن ادريس ، وفيه عليه درك بان زوجة واحدة من زوجاته هي التي كانت شريفة علوية ادريسية وهي ام اولاده : عبد الله وادريس ورحو . واما بقية ازواجه فمن اصل مغربي غير عربي .

365) في ص 337 . ع ل تعريف بابن عبد ربه اديب الاندلس صاحب كتاب «العقد الفريد» ، نسب اليه فيه ايضا كتب « الظرائف واللطائف » واحال على هذه المادة . وقد سبق له ان قال ان ابن عبد ربه جمع بين كتابي « الظرائف واللطائف » هذا وكتاب « اليواقيت في بعض المواقيت » ، كلاهما من تاليف ابي منصور الثعالبي ورددنا ذلك عليه ، فالان يقول ان كتاب « الظرائف واللطائف » من تاليف ابن عبد ربه ، وهذه غاية الاضطراب .

366) في ع ني من هذه الصفحة تحت عنوان عبد الرحمن بن ابي عبيدة قال : هو عقبة بن نافع الفهري الخ . ولا ادري ما اقول في هذا الخلط ، وانما عبد الرحمن هذا هو ابن حبيب بن ابي عبيدة بن عقبة ابن نافع ، فهو حفيد نازل فكيف يكون جدا ؟

367) وفيه ايضا ترجمة لعبد الرحمن بن عوف الصحابي الجليل (ض) صحف عوف فيها الى عون بالنـــون .

368) في ص 338 . ع ل ترجمة للسلطان مولاي عبد الرحمن بن هشام العلوي بحاجة الى التحقيق ، جاء فيها انه وسع حدود بلاده عند سقوط الدولة العثمانية في الجزائر (1830) وكان الا نصاف ان يقول عرضت عليه تلمسان وما حولها الدخول في طاعته احتماء به من الفرنسيين . وقال بعد ذلك : ناصر عبد القادر الجزائري مع فرنسا ومع الدول الاوربية لضمان حدود المغرب ، ولا ندري ما يريد بقوله هذا ؟ ، فان كان يريد ان مولاي عبد الرحمن نصر الامير عبد القادر الجزائري في حربه مع فرنسا . فالصواب ان يقول ناصر عبد القادر على فرنسا لا معها ، وان كان يريد انه سالم فرنسا اخيرا لضمان حدود بلاده فان عبارته لا تفيد ذلك ، وعلى كل حال فموقف مولاي عبد الرحمن من الامير عبد القادر معروف اولا واخيرا ولكل ذلك اسباب معقولة .

369) في هذا العمود ترجمة لعبد السلام بن مشيش الشيخ الشهير ، قال فيها تلميذ ابي ميدان شعيب . وظاهر ان المراد ابو مدين فهو تصحيف شنيع .

370) وفيه كذلك ترجمة للعز بن عبد السلام الملقب بسلطان العلماء ، ذكر فيها من شيوخه سيف الدين الاموي وهو الامدي بمد الهمزة وبدال بعد الميـــم .

371) في ص 339 . ع ل تعريف بالسلطان عبد العزيز بن الحسن الاول ملك المغرب ارخ فيه ولايته كما يلي (1894 _ 1906) وهو ان اصاب في ابتداء الولاية فانه اخطأ في نهايتها لانها كانت سنة 1908 كما المعنا لذلـــك انفـــا .

372) في ع ني من هذه الصفحة نبذة عن عبد القيس جد القبيلة العربية المعروفة ، قال فيها ان النسبة اليه هي صيغة عبدي او عبقسي واهمل الصيغة الاشهر والاكثر استعمالا وهي قيسي .

373) في ص 340 . ع ل ترجمة لعبد المطلب جد النبي (ص) قال فيها : جد النبي وكفيله بعد موت ابيه ، وهو يريد كافله اي القائم بامره ، اما الكفيل فهو الضامن . ومثل هذه الكلمات المتعملة في غير معناها بهذا الحرف كثيرة ، ولكنها نهملها لسعة حرف العين ، فلو تتبعناها لطال الامر ، وان كنا لا نقرها بحال في معجم لغوي ، وقد نبهنا فيما مضى على نظائر كثيرة منهـــا .

374) في ع ني من هذه الصفحة تعريف بعبد الملك بن قطن من ولاة الاندلس في عهدها الاول سماه ابن قطان بالالف بعد الطاء وهو غلط .

375) وفيه ايضا ترجمة لعبد الملك بن مروان ذكر فيها الكثير من اعماله ، ومن جملتها ما اشار لـه بقوله : « وبنى الصخرة في المسجد الاقصى » وهو يريد قبة الصخرة العديمة النظير ، ولكن التعبير لا يدل على المراد ، ويوقع الطالب المحاول للاستفادة في حيرة من بناء الصخرة !

376) وفيه كذلك ترجمة لعبد المومن بن علي الموحدي ، جاء فيها : لما سقط سور مدينة فاس سألوه ترميمه فقال : « سيوفنا وحقوقنا سور لهـا » ، والمحفوظ من قول عبد المومن في هذا الصدد : « سيوفنا وعدلنا » ، وهو المناسب ، واما حقوقنا فلا معنى لها هنا ، واخشى ان تكون من خطأ الترجمة .

377) في ص 341 . ع ل تحت عنوان « بنو عبد الواد » بعد ان نسبهم الى قبيلة زناتة ، قال : « ومنهـم ملوك المغرب » وكان عليه ان يزيد الاوسط او يقول ملوك الجزائر الى ءاخر ما عنده ، لان بني عبد الـواد لم يكونـوا قط ملوكـا للمغـرب الكبير ولا للمغـرب الاقصـــــى .

378) في ع ن من هذه الصفحة بعنوان «عبدري» ترجمة للرحالـة المغربي الشهيـر محمد بن مسعـود العبدري الحاحي .. قال فيها : اسمه الحقيقي محمد بن سعود او مسعود ، والصحيح مسعود . واما سعود فانما وقع تصحيفا في كتاب الجذوة فاتبعه من اعتمدها في ترجمته . وعلى كل فهو اسم جده الاعلى ، واما ابوه فهو محمد بن علي بن احمد بن مسعود . ثم قال المنجد : « اصلـه من بلنسية » ، وكثيـر من الكتـاب الشرقين والمستشرقيـن ينسبونه الى بلنسية ، وهو مغربي قح من قبيلة حاحة كما لا يزال يردد ذلك هو نفسه في رحلته .

379) وفيه ايضا ترجمة للشاعر عبد المجيـد بن عبدون الفهري ضبط الفهري فيها بفتح الفاء وهو بكسرها ولعلنا نبهنا على ذلك في نظيره .

380) وفيه كذلك بعنوان (العبر وديوان المبتدا والخبر في ايام العرب والعجم والبربر) ، قال : وهو المعروف بالمقدمة في التاريخ لابن خلدون . ولا يخفى ما فيه ، فان هذا الاسم الطويل انما هو علم على كتاب التاريخ لابن خلدون بأكمله لا على مقدمته فحســب ، والمقدمة انما تعرف بمقدمة ابن خلدون لا بهذا الاسم .

381) في ص 342 . ع ل تعريـف بقبيلـة عبس الشهيرة ، ضبط فيه اسمها هذا بضم العين وهو بفتحها .

382) في المكان نفسه ترجمة لعبيد بن الابرص الشاعر الجاهلي ، ضبط فيها اسمه بصيغة المصغر ، وهو مكبر بفتح العين .

383) وفيه ايضا ترجمة للقاسم بن سلام العالـم الشهير ، جاء فيها من اهم تصانيفه قاموس كبير « غريب المصنف » وهو « الغريب المصنف » في غريب الحديث اول ما صنف في هذا الفن ، وعبارة المنجد ، فضلا عن تحريفها لاسم الكتاب . توهم انه معجم لغوي صرف ، وليس كذلك .

384) في ص 343 . ع ل ترجمـة لعثمـان بن مظعون (ض) من اهل السابقة الاولى من الصحابة وممن هاجر الهجرتين ، وهو اشهر من ان يعرف . سماه المنجد عثمان بن فرعون ، ولا ندري من اين اتى بهذا الاسم ، الا ان يكون اخترعه اختراعا .

385) في ص 346 . ع ل بعنوان (بنو عـذري) ذكر قبيلة عذرة المشهورة بالعشق والعفة .. واسمها كما ذكرناه ينتهي بتاء مربوطة ، واما الصيغـة التي ذكرهـا المنجد في صفة النسبة الى هذه القبيلـة ولا يصـح ان تجعل اسما لها .

386) في ع ن من هذه الصفحة ترجمة للحافظ عبد الرحيم العراقي ، نسبه الى الكرد ، وذلك صحيح لان اصله منهم ، الا انه قال فيه الكردي بكسـر الكاف والصواب ضمها . ثم انه بخسه حقه فلـم يذكر لـه من مؤلفاته العلمية الكثير الا رسالة في ان اكـل الدجاج يوم عاشوراء مباح ؟ فأين الفيته في اصطلاح الحديـث التي شرقت وغربت ؟ والفيته في السيرة ؟ وكتابه المغني عن حمل الاسفار ؟ وغيرها . وبالجملـة فان ترجمـة المنجد له تجعله كأنه غيره ولا يستفيد منها الطالـب شيئـــا .

387) في ص 347 . ع ل ترجمة لقمـاخ ابـي بكر بن العربي ، قال فيها : له عدة مؤلفات مفقودة ،

وهذا ان كان صحيحا في بعضها ، فبعضها الاخر موجود . اما مطبوعا او مخطوطا : كأحكام القرءان وهو من اهمها وكتابه العواصم من القواصم ، وشرحه على الترمذي المسمى بعارضة الاحوذي . وكلها مطبوعة ، والقبسي في شرح موطأ مالك بن انس وهو مخطوط وغيرها .

388) في ع ني من هذه الصفحة ترجمة لابن عرضون الفقيه المعروف ، وصف فيها بالزجالي العمري الحسوبي ، وهذه الاوصاف كلها غلط وصوابها الزجلي الغماري الحيسوبي من الحساب وهو وصف كان ينبغي ان يضاف لموءهلاته لا لاصله فيقال مثلا : فقيه حيسوبي. ثم قال : له ءاداب الزواج وتربية الولدان وهو يعني كتابه في ادب النكاح ومعاشرة الازواج ورياضة الولدان بكسر الواو لا بضمها كما ثبت في المنجد ، وفاته ان ينص على انه مطبوع مثل كتابه « اللائق في علم الوثائق » الذي ذكره بعد هذا .

389) في ص 349 . ع ل تعريف « بعرقوب » الذي يضرب به المثل في اخلاف الوعد ، ضبط اسمه بفتح العين كما ينطق به العامة وهو بضمها .

390) في ع ني من هذه الصفحة تعريف ببلدة « العريش » من مصر ، قال فيه ، منها ابن العباد ملك اشبيلية ، ويعني بني عباد ملوك اشبيلية ، وهو يشير بذلك الى جدهم القادم على الاندلس ، فانه كان من جند الشام وربما سكن بالعريش التي كانت تعد من اقليم حمص ءانذاك ، والذين ينكرون نسب بني عباد في لخم وملوك الحيرة كدوزي يقولون ان اصلهم من العريش ولا علاقة لهم بالحيرة ، وربما كان صاحب المنجد يلمح الى ذلك بقوله منها ابن العباد .

391) وفيه ترجمة لعزة صاحبة كثير الشاعر قال فيها : بنت حميد بن وقاص ، وقبيلة حمزة . وفيه خطأن : الاول قوله بنت حميد ، فهي في قول بعضهم بنت جميل ، وفي قول شارح القاموس بنت حميل بالحاء مصغرا ولم يقل احد في ابيها حميد بالدال . والثاني قوله من قبيلة حمزة والصواب ضمرة بالضاد والراء بينهما ميم ولا تعرف قبيلة يقال لها حمزة . هذا وقد ذكر بعدها عزة الميلاء المغنية المشهورة فضبطها بكسر العين وهي بالفتح مثل سابقتها ، ولم نشأ ان نجعلها رقما مستقلا للاختصار .

392) ص 350 . ع ل . بعنوان « العزي في التصوف : هو مختصر متداول ، الفه الزنجاني الخ وهذا المختصر هو في علم التصريف لا في التصوف ، وعلى انه متداول كما قال خفيت عليه هذه الحقيقة

393) وفيه كذلك تعريف بالعزيزي شارح الجامع الصغير ، جاء فيه له السراج المنير هكذا بدون زيادة ، وكان عليه لتمام الفائدة ان يقول في شرح الجامع الصغير في الحديث للسيوطي في ثلاثة اجزاء ويشير الى انه مطبوع

394) وفيه ايضا ترجمة لابن عساكر صاحب تاريخ دمشق ، قال فيها الف تاريخ دمشق في 8 مجلدات فقد اكثرها . وهذا بخس كبير لهذا الامام العظيم ، فان تاريخه يقع في (80) ثمانين مجلدا لا في ثمانية ، وقد شرع المجمع العلمي العربي بدمشق في طبعه واخرج منه بضع مجلدات

395) في ص 352 . ع ل كلمة على وقعة العقاب التي جرت بين الموحدين والاسبان ضبطها بضم العين وهي بالكسر كما سبق ان نبهنا على ذلك ، وقال ان الفنش هزم فيها جيش الموحدين وقضى على سلطان المغرب .. ومهما يقال في نتيجة هذه الوقعة ، لا يصح ان يقال انها قضت على سلطان المغرب اذ ربما فهم من ذلك قتل السلطان وتقويض السلطنة ، وكل ذلك لم يقع

396) في ع ني من هذه الصفحة بعنوان (عقيق) كلام على وادي العقيق المشهور بالمدينة ، وقد جرده من ال على عادته وهو لم يرد الا بها .

397) في ص 354 . ع ل ترجمة للعكبري صاحب اعراب القرءان ذكر فيها ان كتابه التبيان مخطوط في باريس وهو مطبوع متداول . واسم كتابه التبيان في اعراب القرءان . والمنجد جعله التبيان في ايضاح القرءان

398) في المكان نفسه ترجمة لعكرمة بن ابي جهل ، ضبط اسمه فيها بفتح العين والراء ، وهو بكسرهما معا

399) في ع ني من هذه الصفحة ترجمة للعلاء بن مغيث قائد المنصور العباسي الذي قاوم عبد الرحمان

الداخل لما اعلن نفسه اميرا على الاندلس . جاء فيها ان العلاء قتل الخليفة عبد الرحمن ، وليلا يقع اي توهم في تعيين الفاعل ضبط وصف الخليفة بفتحة على التاء . والواقع خلاف ذلك فان عبد الرحمن هو الذي قتل العلاء ، ولم يكن عبد الرحمن الداخل يلقب بالخليفة وانما الذي لقب بالخليفة من امويي الاندلس عبد الرحمان الناصر ، فعلى المنجد درك في ذلك .

400) وفيه ايضا تعريف بابيعمرو بن العلاء احد القراء السبعة ضبط رسمه زبان بضم الزاي وهو بفتحها مع تشديد الباء .

401) في ص 355 . ع ل ترجمة لعلي بن ابي طالب كرم الله وجهه جاء فيها قوله : طالب بالخلافة بعد مقتل عثمان بن عفان فانقسم المسلمون . وعلي لم يطالب بالخلافة بل بويع بها بمحضر السواد الاعظم من المسلمين وسعيهم اليه ، وانما خرج عليه بعد ذلك من خرج منافسة له كما هو معلوم .

402) في ص 356 . ع ل ترجمة لعلي بن ميمون الادريسي الفقيه الرحالة المعروف ، ذكر فيها كتابه غربة الاسلام بين صنفي المتفقهة والمتفقرة من اهل مصر والشام ، فيجعل المتفقرة متفكرة بالكاف وذلك من غوائل الاعتماد على الترجمة .

403) في المكان نفسه بعنوان (على الهي) كلام على الجماعة المسماة بهذا الاسم من غلاة الباطنية قال : انهم يسمون انفسهم باهل الحق ، وقد قلنا فيما سبق انهم انما يسمون اهل حق بدون تعريف ، ثم انه قال : « لا يدخلون المساجد ولا يمارسون الوضاء والطهارة المفروضة » ، والوضاء كلمة لا توجد في العربية ومقصودة على كل حال الوضوء .

404) في ص 357 . ع ل ترجمة للشيخ علي يوسف الصحفي المصري الشهير ، قال فيها له ديوان شعر « نسيم الحر » وهو كما في اعلام الزركلي نسمة السحر .

405) في ص 348 . ع ل ترجمة لعمرو بن سعيد الاشدق سماه فيها عمر بضم العين وفتح الميم وهو عمرو بواو زائدة بعد الراء فرقا بينه وبين عمر .

406) في ع ني من نفس الصفحة بعض التراجم لنساء اسمهن عمرة بفتح العين وسكون الميم وهو قد ضبطه بضم العين فوجب التنبيه على الصواب في ذلك .

407) في ص 359 . ع ل ترجمة لعمرو مزيقيا قال فيها هو ابو حقنة بالحاء وهي جفنة بالجيم ويحتمل ان يكون ذلك من خطأ الطبع .

408) فيالعمود نفسه ترجمة لعمرو بن معدي كرب قال فيها : من بني زبيدة وهم بنو زبيد بدون تاء ، ثم قال ارتد بعد موت النبي ، ولم يذكر انه رجع الى الاعلام وشهد القادسية مسلما لا كما يفهم من المنجد انه بقي على ارتداده .

409) وفيه ايضا اعاد ترجمة ابي عمرو العلاء ببعض زيادة على ما سبق له وضبط اسمه زبان ايضا بضم الزاي وهو خطأ كما مر ءانفا ، ولا ادري لم ذكره ثانيا ألمزيد البيان حيث كان ذكره اولا بعنوان ابي العلاء ، وهنا بعنوان ابي عمرو ام لانه ربما ظنهما شخصين اثنين ؟

410) في ص 361 . ع ل تعريف بقبيلة عنزة العربية الشهيرة كتب اسمها عنزى بالالف المقصورة وهي بالتاء بدليل النسبة اليها فانها العنزي لا العنزوي كما يقتضيه الاسم الذي اعطاها اياه .

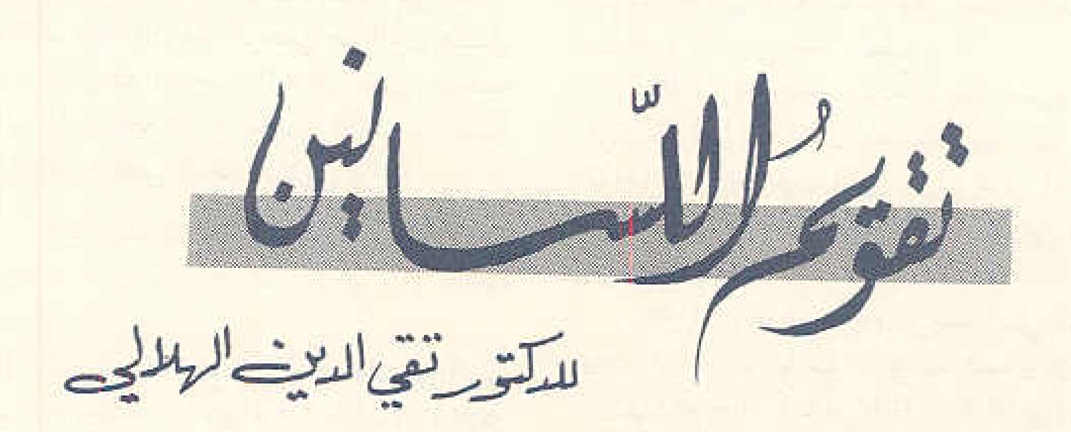
411) في المكان نفسه ذكر كتاب ابن عربي المسمى عنقاء مغرب بفتح الميم وهي هنا بالضم وصف لعنقاء .

412) في ع ني من هذه الصفحة تعريف بعوج بن عوق ذكره على الشائع فيه عند الناس وهو عوج بن عنق ، وفي القاموس انه عوج بن عوق بضم العين فيهما ومن قال ابن عنق فقد اخطأ . وزاد المنجد فيه لغتين اخريين وهما عاج وعناق ولم نر من ذكرهما .

413) في ص 362 . ع ني ذكر كتاب العين للخليل بن احمد الفراهيدي وهو اشهر من ان يعرف ، ولكنه سماه احمد بن خليل .

414) في ص 364 . ع ني ترجمة للشيخ عبد الله العياشي الرحالة الشهير وصفه فيها بالمغربي ولكنه ضبط هذا الوصف بضم الميم وفتح الراء وقال : « تعلم في مصر » ، والواقع انه ما رحل حتى كان عالما ، قد استكمل مراحل الدراسة في المغرب ، ولا ينكر انه اخذ عن بعض مشايخ المشرق ولكن على طريقة العلماء في الرواية او التدبج لا على سبيل التعلم .

طنجة ــ عبد الله كنون



المراد باللسانين – اللسان والقلم ، فان العرب تقول : القلم احد اللسانين . والمقصود هنا اصلاح الاخطاء التي تفاقم أمرها فى هذا الزمان حتى أصبحت مالوفة عند اكثر الخاصة بله العوام ، فشوهت وجه اللسان العربي المبين ، ورنقت صفو زلاله المعين ، مما يسوء كل طالب علم يحرص على حفظ لغة القرآن وصيانتها من الافساد والتشويه ، والعبارات الجافية التي تشين جمالها ، وتذهب ببهائها .

ولم يزل علماء اللغة معتنين بهذا الموضوع ، باذلين جهدهم فى تنظيف الانشاء العربي من الالفاظ الدخيلة ، والتعابير الثقيلة . وقد الف فى ذلك الامام ابو محمد القاسم بن علي الحريري كتابا نفيسا سماه (درة الغواص فى اوهام الخواص) وهو مطبوع متداول . والف الشهاب الخفاجي كتاب (شفاء العليل فى العامي والمولد والدخيل) والف الشيخ ابراهيم اليازجي الناقد البصير كتابا سماه (لغة الجرائد) والف الاديب اسعد داغر فى ذلك كتابا سماه (تذكرة الكاتب)

وقد بدا لي ان اكتب مقالات فى هذا الموضوع اداء لواجب لغة الضاد ، وصونا لجمالها من الفساد ، راجيا ان ينفع الله بما اكتبه تلاميذتي فى الشرق والمغرب وفي اوربا ، وانا على يقين انهم يتلقون ما اكتبه بشوق وارتياح . وكذلك رفقائي الكتاب المحافظون سيستحسنون ذلك . اما الكتاب الذين يكرهون التحقيق ويرخون العنان لاقلامهم بدون تبصر ولا تمييز ، بين غث وسمين ، وكدر ومعين ، فانهم سيستثقلون هذا الانتقاد وقد يعدونه تكلفا وتنطعا ، وتقييدا للحرية – بزعمهم – فلهؤلاء اقول : اني لم اكتب لكم ، فما عليكم الا ان تمروا على ما اكتب مرور الكرام وتدعوه لغيركم الذين يقدرونه حق قدره . وهذا اوان الشروع فى المقصود ، وبالله استعين ، فهو نعم النصير ونعم المعين .

1 – الكاف الدخيلة الاستعمارية

اما تسميتها دخيلة ، فلا اشكال فيه ، لانها لا توجد في الانشاء العربي الذي قبل هذا الزمان . واما تسميتها استعمارية ، فانها دخلت في الانشاء العربي مع دخول الاستعمار البلدان العربية ، فان جهلة المترجمين تحيروا في ترجمة كلمة تجيء في اللغات الاوربية قبل الحال ، وهي في الانكليزية (AS) وفي الفرنسية Comme وفي الالمانية (ALS) مثال ذلك : فلان كوزير لا ينبغي له ان يتعاطى التجارة . وفلان يشتغل في الجامعة كمحاضر ، وفلان مشهور ككاتب .

وهذا الاستعمال دخيل لا تعرفه العرب ، ولا يستسيغه ذوق سليم ، وليس له في قواعد اللغة العربية موضع ودونك البيان . قال ابن مالك :

شبه بكاف وبها التعليل قد
يعني وزائدا لتوكيد ورد

(واستعمل اسما)

تاتي الكاف في كلام العرب لأربعة امور :

1 – التشبيه كقول المتنبي في ممدوحه :

كالبحر يقذف للقريب جواهرا
جودا ويبعث للبعيد سحائبا

كالشمس في كبد السماء وضوؤها
يغشى البلاد مشارقا ومغاربا

واركان التشبيه اربعة ـ المشبه ـ والمشبه بـه ـ واداة التشبيـه ـ ووجـه الشبه . فالمشبـه في البيتيـن المذكورين هو الممدوح ، والمشبه به ، الشمس والبحر ، واداة التشبيه ، الكاف ، ووجه الشبـه ، حصول النفـع للقريب والبعيد . فالشمس على فرط بعدها من الارض ينتفع اهل الارض بضوئها ودفئها وانضاجها للثمار الى غير ذلك ، فكذلك الممدوح يصل احسانه الى من كان بعيدا منه ، ولا يقتصر على من كان قريبا منه

والمشبه في البيت الاول هو الممدوح ، والمشبه به هو البحر ، واداة التشبيه هي الكاف ، ووجه الشبـه ، وصول الاحسان الى القريب والبعيد ، فالقريب يستخرج الجواهر من البحر ، والبعيد ينتفع بمطر السحائـب الناشئة من البحر ، فكذلـك الممـدوح يعطـي من كان حاضرا عنده الجوائز والصلات ويبعث بها الى من كان بعيدا عنـــه .

وبهذا تعلم ان الكف الاستعماريـة لا يجـوز ان تكون للتشبيه البتة لعدم وجود اركانه .

2 ــ **هو التعليل** ، تجيء الكاف للتعليل كقولـه تعالى في سورة البقرة (198 ليس عليكم جناح ان تبتغوا فضلا من ربكم ، فاذا افضتم من عرفات فاذكروا الله عند المشعر الحرام ، واذكروه كما هداكم ، وان كنتـم من قبله لمن الضالين) . اي واذكروا الله لانه هداكم .

3 ــ **ان تكون زائدة** اذا دخلـت علـى كلمـة بمعناها ، وجعل منه قوله تعالى في سـورة الشـورى 11 « ليس كمثله شيء ، وهو السميع البصير) فان قلت : ان كانت زائدة لا فائـدة في ذكرهـا ، فلما ذا جـاءت في القرآن ؟ فالجواب ، ان فائدتها التوكيد ، وانما سميت زائدة ، لان الكلام يتم بدونها ، كما تزاد (من) للتوكيد كقوله تعالى في سورة المائدة (19 ان تقولوا ما جاءنا من بشير ولا نذير) فمن هنا زيدت لتوكيد النفي ، ولو حذفت لكان الكلام تاما .

4 ــ **ان تكون اسما بمعنى مثل** كقول الشـاعر :
اتنتهـون ولن ينهـى ذوي شطـط
كالطعن يذهب فيه الزيت والفتـل

الاستفهام هنا انكاري . يقول الشاعر لأعدائـه : كيف تنتهون عن ظلمكم وبغيكم ولن ينهى ذوي الظلم شيء مثل الطعن المبيد المهلك الذي لا يترك لهم شيئا . لا انفسا ولا اموالا ، فان ذهاب الزيت والفتيلة كناية عن الهلاك التام ، وهذا ينبغي ان يقال للمستعمرين اذا كانت الرماح التي يطعن بها حاضرة ، وهي في هـذا الزمان القنابل المحرقة التي لا تبقي ولا تذر . فهذه معانـــي الكاف عند العرب ، وما سواها شاذ لم يجيء في الكلام البليـــغ

وانما وقع جهلة المترجمين في هـذا الاستعمـال الفاسد لضعفهم في اللغتين او احداهما فـلا يستطيعـون ادراك معنى الجملة مجتمعة ليصوغوا في اللغة الاخرى جملة تؤدي المعنى المطلوب بالفاظ جيدة الاستعمال، واقعة في مواضعها التي يقتضيها النظم الفصيـح . وهذا العجز هو الذي يلجئهم الى ان يبدلوا كـل مفـرد في احدى اللغتين بمفرد اخر في اللغة الاخـرى فيجـيء التركيب فاسدا معوجا لا تستـغـه اذواق الفصحـاء في اللغة التي ينقل اليها المعنى . وسأتي في هذه المقالات ان شاء الله امثله عديدة توضح ذلك .

وليس المترجمـون العـرب وحدهم هـم الذين يقعون في اخطاء الترجمة ، بل يقع فيها كبـار العلمـاء الاوربيين . وقد احصيت الاخطاء الموجودة في ترجمة (جورج سيل) للقرآن الكريـم بالانجليزيـة فوجدت في الجزء الاول وحده ، وهو حزبان بتجزئة المغاربة ستين خطأ . و (جورج سيل) مستـشرق انكليزي كبير ، وقد تبعه من بعده من المترجمين في اخطائـه ، حتـى الاستاذ (محمد مار ماديوك بكثال) المسلم الانكليـزي رحمه الله تبعه في اول خطأ كبير ارتكبه ، وقد ناظرته في ذلك مناظرة طويلة حتى اقتنع ورجـع عن خطئه ، وكان ذلك في ترجمة قوله في سورة البقرة 13 (الا انهم هم السفهاء ، ولكن لا يعلمـون) فانهما ترجماهـا بما معناه (اليسوا سفهاء) وسبب وقوعهمـا في هـذا الخطأ عدم التميز بين (الا) الاستفتاحية البسيطـة ، و (الا) المركبة من همزة الاستفهام ولا النافية ، فان (الا) في قوله تعالى : (الا انهم هم السفهاء) استفتاحية خالية من النفي يجب ان تترجم بلفظ انكليزي يدل على التوكيد . ومثال المركبة الذي اوردتـه على الاستاذ الانكليـزي المذكور فاقتنع بوجـود الفـرق بين الكلمتين قولـه تعالى في سورة الملـك 14 (الا يعلـم من خلق وهـو اللطيف الخبير)

وليس كل الكتاب البلغاء في العصر الحاضر يتورطون في استعمال الكاف الاستعمارية فان فيهم طائفة من عليهم لا تشين انشاءها بذلك الاستعمال .

2 ـ فتــــرة

شاع استعمال الفترة في هذا الزمان في وقت العمل فيقولون : فترة الصبح ، وفترة الظهيرة ، وفترة المساء ، يريدون بذلك زمان العمل . قال البيضاوي في قولـه تعالى في سورة المائدة (19 يا اهل الكتاب قد جاءكـم رسولنا يبين لكم على فترة من الرسل) اي جاءكـم على حين فتور من الارسال وانقطاع من الوحي . اهـ

قال ابن منظور في لسان العرب : والفترة : ما بين كل نبيين . وفي الصحاح : ما بين كل رسولين من رسل الله عز وجل من الزمان الذي انقطعت فيه الرسالـة . وفي الحديث : فترة ما بين عيسى ومحمد عليهما الصلاة والســـلام . اهـ

ومن ذلك تعلم ان الفترة ليست وقت العمل ، بل هي ما بين عملين . فالوقت الذي لا يكون فيه عمل هو الذي يجب ان يسمى فترة ، وقد عكسه عامـة الكتـاب والمذيعين . ومن سوء الحظ ان اكثـر الناس في هـذا الزمان لا يتعلمون الانشاء في مدارس اللغة العربية ولا في كتب اللغة العربيـة ، وانما يتلقونـه من الاذاعـات والصحف ، فكل خطأ يشيع في هذين المصدرين تنطلق به الالسنة والاقلام بـدون تفكيـر ولا تمييـز . وربما استعمله بعض كبار الاساتذة الذين يرجى منهم المحافظة على صحة الاستعمال وجمال اللغة العربية وتنقيتهـا من المولد والدخيل الذي لا حاجة اليه .

3 ـ الخلـــق

كثر استعمال الخلق في هذا الزمان بمعنى الانشاء او الايجاد . يقال مثلا : يجب علينا ان نسعى لخلق نهضـة ثقافية . **وهو استعمال فاسد جاء من جهلـة المترجمين لكلمة في اللغات الاوربية مشتركة تستعمل في انشاء الله تعالى المخلوقات وايجادها على غير مثال سابق** وتستعمل في تلك اللغات ايضا في معنى الانشاء المطلق .

اما في اللغة العربية فان الخلق بمعنـى الايجاد والانشاء خاص بالله تعالى . ومن اسمائه سبحانـه : الخالق والخلاق . قال تعالى في سورة النحل (17 افمن يخلق كمن لا يخلق افلا تذكـرون) وقال تعالـى في السورة نفسها (19ـ20 والله يعلم ما تسرون وما تعلنون . [illegible] يخلقــــون)

وقال تعالى في سورة الرعد : (16 ام جعلـوا لله شركاء خلقوا كخلقه ، فتشابه الخلق عليهم ، قـل الله خالق كل شيء ، وهو الواحد القهار)

اما في هذا الزمـان الذي اختلـت فيه الموازين والمقاييس ، وعمت الفوضى في الانشاء العربي فلـم يبق الخلق خاصا بالله تعالـى بـل صار الناس كلهـم خالقين وخلاقين .

قال في لسان العرب : خلق : الله تعالى وتقدس الخالق والخلاق . وفي التنزيل : « هو الله الخالـق الباريء المصور » . وفيه : « بلى ، وهو الخلاق العليم » . وانما قدم اول وهلة ، لانه من اسماء الله تعالى .

الازهـري : ومن صفـات الله تعالـى الخالـق والخلاق . ولا تجوز هذه الصفة بالالف واللام لغير الله عز وجل ، وهو الذي اوجد الاشياء جميعها بعد ان لـم تكن موجودة . واصل الخلق التقديـر ، فهو باعتبـار تقدير ما منه وجودها ، وبالاعتبار للايجاد على وفـق التقدير خالق .

والخلق في كلام العرب : ابتداع الشيء على مثال لم يسبق اليه . وكل شيء خلقه الله فهو مبتدئه على غير مثال سبق اليه : « الا له الخلق والامـر ، تبـارك الله رب العالمين » . اهـ

ويطلق الخلق ايضا على التقدير قال في اللسان : وخلق الاديم يخلقه خلقا ، قدره لما يريد قبل القطـع وقاسه ليقطع منه مزادة او قربة او خفا . قال زهير يمدح رجـــلا :

ولانت تفري ما خلقت وبعض القوم يخلق ثم لا يفري

يقول : انت اذا قـدرت امـرا قطعته وامضيتـه ، وغيرك يقدر ما لا يقطعه ، لانـه ليس بماضي العـزم ، وانت مضاء ما عزمت عليه . اهـ

اقول : وقـد رأيـت اهـل البادية في الصحـراء يدبغون جلد البعير ويقطعونـه نعـالا ، فكلما احتـاج احدهم الى نعلين يضع قدمه اليمنى على قطعة كبيرة من الجلد المذكور ، فياتي الشخص الذي يقطع النعلين ويخط الى جانب القدم دائرا بها ، وذلك هو الخلق ، ثم يقطع النعل على ذلك التخطيط ، وذلك القطع هو

الفري ، ثم يفعل ذلك بالقدم الاخرى ، فتجيء النعلان على قدر القدمين بلا زيد ولا نقص .

نقول الشاعر : ولانت تفري ما خلقت ، وبعض القوم يخلق ثم لا يفري ، يريد ان ممدوحه متى عزم على شيء نفذ عزمه ، وغيره يعزم ويقدر ثم لا ينفذ شيئا ، لانه خائر العزيمة ، ضعيف الارادة

والمعنى الثالث للخلق هو الكذب . قال تعالى في سورة العنكبوت : (17 انما تعبدون من دون الله اوثانا وتخلقون افكا) اي تكذبون كذبا . وقال الشاعر :

لـي حيلـة فيمـن ينـم
وليس فـي الكـذاب حيلـه
مـن كـان يخلـق مـا يقـو
ل فحيلتـي فيـه قليلـه

4 ـ بينمـــا

لقد اعتدى عامة كتاب العصر على هـذه الكلمة ، فشوهوا جمالها ، وسلخوها عن معناها الحقيقي والبسوها معنى مكذوبا ، فانهم يستعملونها في معنى (على حين) كقول بعضهم : كما ان هـذه المحـاولات قد اتخـذت اشكالا مختلفة ، بعضها اقتصادي صرف ، وبعضها سياسي صرف (بينما) البعض الاخر اتخذ الشعارين معا .

فهذا الاستعمال فاسد مختلق لا اصل له في كـلام العرب ، وهو ايضا من جنايات جهلة المترجمين ، فانهـم ترجموا كلمة ((While)) الانكليزية فوضعوا مكانها (بينما) فظلموهما جميعا . والترجمة الصحيحة لهذه الكلمة (على حين ، او في حين) .

اما الاستعمال الصحيح العربي (لبينما) ، فانهـا تكون في صدر الكلام ولا بد لها من جملتين كأدوات الشرط . فمن ذلك ما جاء في صحيح مسلم عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : بينمـا نحن جلوس عنـد رسول الله (ص) اذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب، شديد سواء الشعر ـ الحديث . وكقول الشاعر :

وبينما المرء في الاحياء مغتبـط
اذ هو في الرمس تعفوه الاعاصير
يبكي الغريب عليه ليس يعرفـه
وذو قرابته في الحـي مسـرور

وشواهده في كلام العرب لا تعد ولا تحصى .

5 ـ وتحدثوا لبعضهم البعض

هذا ايضا استعمال فاسد ناشيء عن فقدان الملكة في اللغة العربية . والصواب : وتحدث بعضهم الى بعض ، كما قال تعالى في سورة القلم : (30 فاقبـل بعضهم على بعض يتلاومون) .

والذي اوقعهم في هذا الخطأ جهلهم بالنحـو . فان من كان عالما بالنحو في اي لغة كانت يتخذه مصباحا يضيء له طريق انشائه ، سواء اكان كاتبا ام متكلما ، فلا يضع قدمه الا بعد ان يبصر موطئها . اما الجاهل بالنحو، فانه يمشي كالاعمى يضع قدمه دون ان يـرى موطئهـا فتزل به القدم ويسقط في حفر الاخطاء

6 ـ والادهـى مـن ذلك

هذا الخطأ ايضا ناشيء عن الجهل بالنحو . فكل من يعرف احكام اسم التفضيل اقل معرفة لا يقع في هذا الخطأ . قال ابن مالك في الالفية

وافعـل التفضيـل صلـة ابـدا
تقديرا ، او لفظا ، بمن ان جردا

قال ابن عقيل في شرحه لالفيـة ابن مالـك : لا يخلو افعل التفضيل عن احد ثلاثة احـوال . الاول ان يكون مجردا . الثاني : ان يكون مضافا . الثالـث : ان يكون بالالف واللام ، فان كان مجـردا ، فـلا بـد ان تتصل به (من) لفظا او تقديـرا جارة للمفضـل عليـه نحو : زيد افضل من عمرو . ومررت برجل افضل من عمرو . وقد تحذف (من) ومجرورها للدلالة عليهما كقوله تعالى : (انا اكثر منـك مالا واعز نفـرا) اي واعز نفرا منك

وفهم من كلامه : ان افعل التفضيل اذا كان (بأل) او مضاف لا تصحبه (من) فلا تقل : زيد الافضل من عمر ولا زيد افضل الناس من عمرو . اه

فتبين ان قولهم : والادهى من ذلك خطأ ، لان افعل التفضيل اذا دخلت عليه (ال) لا تلحقه (من) ومن العجيب ان افعل التفضيل في الانكليزية والالمانية جار على هذا المنوال .

هذا وموعدنا الجزء التالي ان شاء الله

الدكتور تقي الدين الهلالي



للأستاذ محمد الأمري

ألمعنا في المقال السابق الى وجود قصص فلسفي من بين الانواع الاخرى للقصة في الادب العربي ، وسنحاول هاهنا التعرض الى هذا النوع من القصص بالقدر الذي يتسع له المجال المحدود ملمعين أولا الى نشأة الفلسفة الاسلامية وبعض مذاهبها ، ونماذج قصصية مرتكزة على بعض تلك المذاهب ، ثم نماذج من بعض القصص التي تسلك في نطاق القصص الاخلاقي او النقد الاجتماعي .

نشأة الفلسفة الاسلامية :

شعر العرب بحاجتهم الى نقل التراث الثقافي لمختلف الامم الى لغتهم فبذلوا من اجل ذلك جهودا جبارة ابتدأت على عهد الامويين ، حيث نقلت بعض كتب الكيمياء والطب باقتراح من خالد بن يزيد بن معاوية ، وقد كان هذا تفرغ لدراسة العلوم ولا سيما الكيمياء ، وما ان حل عصر المنصور العباسي حتى نشطت الترجمة عن اليونانية والفارسية والسريانية في مختلف ميادين المعرفة ، ومن بينها الفلسفة ، وتضاعف هذا النشاط على عهد هرون الرشيد ، غير ان عصر المامون يمثل بحق ذروة هذا النشاط ، واقوى ايام ذلك الازدهار فقد انشأ دار الحكمة ببغداد ، وجعل من اول شروط الصلح مع ملك الروم (تيوفيلوس) تسليم الكتب الفلسفية المخزونة في بعض الهياكل فتحقق له ما اراد.

وقد اشتهر من النقلة ال (ماسرجويه) ، وال (بختيشوع) ، وال (ماسويه) ، وال (ثابت بن قرة). وكان حنين بن اسحاق اكبر واشهر اولئك على الاطلاق وقد اسند اليه المامون رئاسة (دار الحكمة) فترجم كثيرا من الكتب الطبية والفلسفية كما اشرف على تصحيح ما كان يترجمه كثير من التراجمة ، ومن ذلك في ميدان الفلسفة « كتاب السماء والعالم » ، وكتاب « في المنطق » وكتاب « فيما يقرأ قبل افلاطون » ، وكتاب « قاطيغورياس » ، وكتاب « نوادر الفلاسفة والحكماء » وشرح كتاب « الفراسة لارسطوطاليس » ، وكتاب « في ادراك حقيقة الاديان » . (1)

ولم يكن ابنه اسحاق اقل منه نشاطا ، غير انه اشتهر بنقل كتب ارسطو كما اشتهر ثابت بن قرة الذي ترجم كتاب «ما بعد الطبيعة » لارسطو ، ومختصر في الاصول من علم الاخلاق ، كما اشتهر منهم يحيى بن عدي

1) العرب والفلسفة اليونانية للدكتور عمر فروخ ص 157

على ان هناك اسماء لامعة في الفلسفة الاسلامية لم يقتصر دورها على الترجمة وحدها ، بل تعداه الى التنقيح والتصحيح ، والشرح والتفسير ، ثم التماس مذهب فلسفي خاص . ومن هذه الاسماء : يعقوب بن اسحاق الكندي ، واليه يرجع الفضل في ترجمة وشرح كثير من الكتب ، وتنقيح ما كان يحتاج منها الى التنقيح، ثم هناك ابو نصر الفارابي ، والشيخ الرئيس ابن سيناء وجماعة اخوان الصفا التي كان من بين اعضائها ابو حيان التوحيدي الاديب الفيلسوف ، وابن سيناء نفسه ، هذا في المشرق ، اما في الاندلس والمغرب ، فهناك ابو بكر ابن الصائغ المعروف بابن باجة ، وابن الطفيل ، وابن رشـــد .

بعض المذاهب الفلسفيــة :

وقبل التعرض لبعض مذاهب الفلسفة الاسلامية ، ينبغي تسجيل الحقائق التالية :

1) ان جميع المشتغلين بالفلسفة من المسلمين الهيـــون .

2) انهم حرصوا دائما على التوفيق بين الفلسفة والديـــن .

3) ان معظم الفلاسفة كانوا من انصار الشيعة ، كالكندي ، والفارابي وابن سينا

اما عن المذهب ، فنرى الفارابي يرتكز في مذهبه على مذهب ارسطو في الحركة اي ان الهيولي تحتاج الى محرك اليه ترجع جميع اسباب حركاتها وان الزمان حادث عن حركة الفلك ، وان الله ابدع العالم دفعة واحدة بلا زمان ، وعن حركته حدث الزمان ، كما يرتكز على مذهب افلوطين في الصدور ، اي صدور العقل عن الاحد ، وصدور النفس عن العقل ، وصدور المحسوسات عن النفس في اتصالها بالهيولى اي المادة الاولى ، وقد تطورت عند الفارابي اعتمادا على مبدا التوفيق بين الفلسفة والدين ، فاصبح الوجود عنده مراتب هي : 1) الوجود الالهي 2) وجود العقول المتدرجة 3) وجود العقل الفعال الذي يقابله بالروح الامين ، كما يقابل العقول بالملائكة 4) النفس التي تصدر عن العقل الفعال 5) الصورة وتتوسط النفس والمادة 6) المادة في العالم الاسفل . وهي اخس الموجودات . ولولا انها قبلت الصورة لكانت معدومة

اما افلاطون فيرتكز عليه الفارابي في مذهبه في المثل ، فالشجرة المثالية في عالم المعنى او العقل هي التي لها وجود حقيقي ، اما ما نراه من اشجار فقاصر . فهناك شجرة مثمرة ، واخرى غير مثمرة . وشجرة خضراء ، واخرى يابسة ، وكل واحدة منها ناقصة عن الشجرة المثالية التي هي الحقيقة المعنوية او المثل كما يسميها افلاطون ، او ما يعرف عند المناطقة بالكلي ومن ثم يقسم الفارابي الموجودات الى قسمين : 1) قسم واجب الوجود وهو السبب الاول ، ووجوده يستلزمه العقل لا محالة ، وهذا هو الله الذي يوصف بجميع صفات الكمال 2) قسم ممكن الوجود ، مفتقر الى سبب ، وانتقاله من الوجود بالقوة الى الوجود بالفعل ناشيء عن سبب واجب ، فهو اذن مخلوق

ويلتقي الفارابي (المعلم الثاني) مع الرواقيين في النفس العاقلة واتصالها بالاجسام ، بينما يلتقي مع المعتزلة في الصفات ، على حين يقترب رأيه في الحرية الانسانية مع الاشاعرة ، وبدون شك فان الدارس يلحظ تأثره البالغ في « آراء اهل المدينة الفاضلة » بافلاطون في جمهوريته

اما ابن سينا فكان لفرقة الاسماعيلية اثر بليغ في مذهبه الفلسفي ذلك انه نشأ بينها وترعرع وهو يسمع اراءها في النفس والعقل ، ومعلوم ان المذهب الاسماعيلي مزيج من آثار عقائد الدين ، ومن مذهب ارسطو وافلاطون وافلوطين ، ومن حكمة الهند المتمثلة في بعض آراء (فيثاغورس) قديما ، وبعض آراء افلوطين فيما بعد ، وبعض من آراء المعتزلة والمتكلمين (1)

ومن ثم يمكن القول بان مذهب ابن سينا يلتقي اساسا مع الفارابي في التوفيق بين الفلسفة والشريعة كما يلتقي مع افلاطون في اصطناع الاساطير الرمزية او نزعته الفنية ، ومن هذه النقطة سيكون منطلقنا لدراسة القصة الفلسفية عند ابن سينا الذي سيتخذه غيره مثـلا

1) الشيخ الرئيس ابن سينا للمرحوم الاستاذ العقاد ص 86

يحدي في هذا الميدان ويلتقى مع (فرفريوس) و (الافروديسي) في الرموز الصوفية وهي ظاهرة سوف لا نجد اي عنت في ملاحظتها فيما انتج من قصص فلسفي وسراها تتخذ صورة اوضح عند ابن الطفيل .

ويجب الا نتناسى ان الشيخ الرئيس لم يكن يتقيد بمذهب اي واحد ممن ذكرنا ، وليس لمذهبه من حدود سوى حدود العقيدة الدينية التي لا خلاف بينها وبين القضايا العقلية الا في الظواهر والعروض (1) ، وهو نفس الراي الذي يراه ابن رشد ، فالدين والفلسفة وجهان لحقيقة واحدة، بل ان ابن رشد يذهب الى المدى الذي يعتقد معه ان التاويل واجب اذا ما اختلفت الشريعة في ظاهرها مع النظر العقلي،ومن ثم ناهض مسألة تفكير الفلاسفة في كتابه « تهافت التهافت » ردا على ابى حامد الغزالي في كتابه « تهافت الفلاسفة » على ان الامام الغزالي على الرغم من تحامله على الفلاسفة (2) لم يسلم من محاكاتهم في بعض المواطن ولا سيما الاخلاق (3)

اما في الاندلس فنجد ابا بكر بن الصائغ المعروف بابن باجة ، وابا بكر محمد بن الطفيل ، ويقول الثاني عن الاول : « ولم يكن فيهم اثقب ذهنا ولا اصح نظرا ولا اصدق روية من ابي بكر بن الصائغ ، غير انه شغلته الدنيا حتى اخترمته المنية قبل ظهور خزائن علمه ، وبث خفايا حكمته (4) ، ويذكر من كتبه « في النفس » و « تدبير المتوحد » ويبدو ان مذهب ابن باجة يدور حول فكرة امكان وصول العقل البشري الى الكمال التام بمجرد التفكير الذاتي دون نقل او تقليد ، ودون تعليم او ارشاد فلسفي او ديني (5) . وهي فكرة استقاها من ابن سينا في كتاب « النجاة » وقد وردت عرضا عند حديثه عن المنطق ، بينما تبدو الفكرة اكثر وضوحا عند ابن الطفيل متخذة اطارا جديدا .

وقد تطوع الفيلسوف المغربي فوافانا بايضاحات عن مذهبه ضمنها مقدمة قصته « حي بن يقظان » حيث يقول : « ولم يتخلص لنا الحق الذي انتهينا اليه وكان مبلغنا من العلم (الا) بتتبع كلامه (اي الامام الغزالي) وكلام الشيخ ابي علي ، وصرف بعضهما الى بعض ، واضافه ذلك الى الاراء التي نبعت في زماننا هذا ولهج بها قوم من منتحلي الفلسفة ، حتى استقام لنا الحق اولا بطريقة البحث والنظر ، وجدنا منه الان هذا الذوق اليسير بالمشاهدة » (6)

وفي بداية الرسالة يقول : « سألت ايها الاخ الكريم ، الصفي الحميم ، منحك الله البقاء الابدي ، واسعدك السعد السرمدي ان ابث اليك ما امكنني من اسرار الحكمة المشرقية التي ذكرها الشيخ الامام ، الرئيس ابو علي بن سينا (7) » فمذهبه اذن مستقى من ابن سينا والغزالي ، ذلك ان المعرفة عند الاول لها طريقان :

1) طريق التامل الصادق والفكر الصحيح ، وهي طريق الفلاسفة والحكماء

2) طريق النسك والرياضة الروحية ، وهي طريق الصالحين والنساك .

وهذان الطريقان هما اللذان اختارهما ابن الطفيل ليكونا موضوع قصته « حي بن يقظان » اما الغزالي فلا يكاد يعير الطريق الاولى نفس الاهتمام الذي يوليه اياها ابن سينا ، فالحقائق التي يؤيدها العقل ليست هي كل ما في الامر عنده ، بل ان هناك من الحقائق ما يعجز ادراكنا عن الوصول اليها ، ولا نقدر على استخراجها بقواعد المنطق وبالاهوال المعروفة ، وقد قدر ان هناك حالة فوق اليقظة ونسبة هذه اليها كنسبة النوم الى اليقظة ، هكذا اصبح رأيه بعد فترة الشك التي دامت عنده ما يقرب من الشهرين كان «فيهما على مذهب السفسطة» ثم عاد الى قبول الضرورات العقلية « لا بنظم دليل وترتيب كلام ، بل بنور قذفه الله في صدره » (8)

---

1) الشيخ الرئيس ابن سينا للمرحوم العقاد ص 89 ـ (2) المنقذ من الضلال ص 9 و 10 ـ (3) الاخلاق عند الغزالي للدكتور المرحوم زكي مبارك ص 69 ـ (4) حي ابن يقظان تقديم وتحليل الدكتور بن جميل صليبا وكامل عياد ص 66 ـ (5) نفس المصدر 45 ـ (6) حي بن يقظان ص 72 ـ (7) نفس المصدر 56 ـ (8) المنقذ من الضلال ص 5 ـ

ثم يتطوع ابن الطفيل ليفيدنا ان ابن باجة لم يتعد طريق التامل الصادق والفكر الصحيح « وهذه الرتبة التي اشار اليها ابو بكر ينتهي اليها بطريق العلم النظري ، والبحث الفكري ، ولا شك انه بلغها ولم يتخطهـــا » (1)

ومن الضروري الا نتورط في التفريعات والتفصيلات حتى لا نخرج عن الهدف المرسوم ، مكتفين بما نقتاه بالقدر الذي تتضح معه بعض النماذج التي نشير اليها من القصة الفلسفية الا اننا نرى من الاليق تسجيل الحقائق التاليـة

1) كان من عادة افلاطون ان يوضح اراءه بالامثلة المحسوسة والاساطير حتى يتمكن تلاميذه من فهمها ، ومن ذلك مثال الكهف الذي رمز به الى حقائق الدنيا وموجوداتها ، وبداخل الكهف اناس مقيدون يستقبلون جدارا لا يتحولون عنه،وخارج الكهف توجد نار تعكس الظلال على الجدران ، فيخيل لاولئك ان تلك الاشباح هي الحقيقة ، بينما الصور الصحيحة لا يتمكن احدهم من رؤيتها الا اذا اطلق نفسه من قيود ذلك الكهف وخرج الى النور ، وهذا يعني ان الانسان محبوس في كهف الجسد لا يرى من الحقيقة الا الاشباح المحاكية لها ، ومن ذلك مثل الشجرة الحسية والشجرة المثل او الشجرة بالمعنى الكلـــي

2) تأثر ابن سينا بافلاطون في هذه الناحية ، فقد نحا هذا النحو ، وتوسع فيه قليلا ، (حي بن يقظان) (قصة الطير) (سلامان وابسال)

3) يذكر ابن الطفيل في التمهيد لقصته « حي ابن يقظان » اهمية القصة لتبسيط الاراء الفلسفية (وارجو ان اصل في السلوك بك على اقصد الطريق وامنها من الغوائل والافات ، وان عرضت الان الى لمحة يسيرة على سبيل التشويق والحث على دخول الطريق ، فانا واصف لك قصة « حي بن يقظان » (2) و « ابسال وسلامان » الذين سماهم الشيخ ابو علي ، ففي « قصصهم عبرة لاولي الالباب »

4) يقول ابن سينا في كتابه «الاشارات والتنبيهات» « فاذا قرع سمعك فيما يقرعه وسرد عليك فيما تسمعه قصة لسلامان وابسال ، فاعلم ان سلامان مثل ضرب لك وان ابسال مثل ضرب لدرجتك في العرفان ان كنت من اهلــه »

5) يرى الامام الغزالي ان وضع القصص او الحكايات على حد تعبيره ولو كانت مرغبة في الطاعات « من نزعات الشيطان ، فان في الصدق مندوحة عن الكذب » (3) ويرد عليه الدكتور زكي مبارك بانه هو نفسه يذكر في كتبه من قصص الانبياء والصالحين ما لم يقم على صحته اي دليل ، والرواية الكاذبة ليست اقل خطرا من التأليف » (4)

6) يلاحظ ان كثيرا من الرسائل تنطوي على حوادث وسرد قصصي وتحليل خارجي او داخلي في بعض الاحيان ، وهذا ما يبرر ادماجها في ميدان القصة بصرف النظر عن نوعيتها ، وهل هي وسيلة او غاية في حد ذاتهـا

يتبـــع

الرباط : محمد الامري

---

1) حي بن يقظان ص 59 ـ (2) بن يقظان ص 74 ـ (3) الاحياء ج 1 ص 37 ـ (4) الاخلاق عند الغزالـــي ص 156



انها مشكلة ازمة القراءة في المغرب ، نعود اليها بعد ان ألممنا بها وألم بها بعض كتابنا اثناء فصول ومقالات ، نشرتها هذه المجلة العتيدة . نعود اليها لنسبر غورها، ونتناولها بشيء من التوسع ، لتظهر على حقيقتها، وفي ابعادها المختلفة ، ويبقى الباب دائما مفتوحا للاخذ والرد ، في هذه القضية الحيوية ، دون ان ينفذ الحديث عنهـــا .

انما الشيء الذي يجب الا ننساه في هذا الصدد ، هو اننا لسنا وحدنا في الشكوى من هذه الازمة ، فحتى في بعض البلاد العربية التي تفوقنا كثيرا في شؤون الادب والفكر ، توجد ازمة في القراءة . فبين حين وآخر ، نجد من ادباء الشرق ، ورجال الصحافة فيه ، من يجأر بالشكوى من اعراض الشباب الجامعي عن القراءة الخصبة الفعالة ، واحسب ان كل بلد وجد في مثل الاوضاع الاجتماعية والثقافية والاقتصادية التي توجد عليها اكثر الاقطار العربية ، الا وتواجهه مشاكل من هذا النوع ، وهذه المشكلة بالذات ، مشكلة ازمة القراء ، التي سنحاول الكشف عن اسبابها فيما سياتي من هذا الحديث . واذا نحن اعتبرنا الفارق الكبير الموجود بيننا وبين بلدان عربية اخرى في واقع الادب والثقافة ، كنا مطمئنين الى انها لا تقل عنا معاناة لهذا المشكل . فبلد عربي يتوفر على جهاز ضخم من اهل الفن والادب، ومطابع ودور نشر عديدة تتبارى في دفع عجلة الحياة العلمية والادبية ، وتجهيز المكتبات العامة ، وتيسير وسائل الحصول على الكتاب والمجلة والصحيفة ، بلد كهذا يشكو من ازمة القراءة ، يجعلنا لا نبالغ في اتهام انفسنا بالتقصير الشديد ، وانما يجنح بنا الى نوع من الاعتدال في لوم انفسنا ، ما دمنا نرى اخوتنا الكبار يقاسموننا نفس المشكل ، مع وجود الفارق الكبير بيننا وبينهم .

على ان الازمة هنا تختلف عنها هناك في امر هام ، وهو انها هناك ازمة (كيف) ، اكثر منها ازمة (كم) في حين انها هنا ازمة (كيف وكم) معا . فالشكاة في البلاد العربية المتقدمة ثقافيا ليست بكون الجمهور لا يقرأ ، ولكنها شكاة بكونه يقبل على الوان الادب الخفيف الذي لا يكلف عناء ، ويعرض عن الانتاج الرصين الذي يتطلب عنتا ومشقة في فهمه وهضمه . اما هنا في المغرب ، فنحن نشكو من كون الجمهور المثقف لا يقرأ الا نادرا ، وحتى الالوان الادبية الخفيفة لا تحظى منه بكبير اهتمام ، ودعك من الشوامخ ، فهذه مهجورة الا بالنسبة لاقلية ضئيلة لا تكاد تذكر ولا يصح ان تتخذ ذلك السيل الجارف الذي تفيض به المطابع العربية من الانتاج ، مقياسا يقاس به مدى اقبال الجمهور المحلي على القراءة ، ذلك ان القائمين على شؤون النشر ، يضعون في اعتبارهم الاسواق الخارجية التي يصدر اليها الانتاج المحلي ، كما هو الشان في بلد كلبنان مثلا ، حيث تجده قليلا عدد السكان ، بالنسبة لغيره من الاقطار العربية الكبرى ، ومع ذلك يطبع من الكتاب الواحد آلاف النسخ ، لا لتستهلك كلها او جلها محليا . فهذا فوق الطاقة البشرية للبلد ، وانما لتتخذ سبيلها الى الاسواق العربية الخارجية .

وكلما تعرض احد كتابنا لهذا المشكل انحى باللائمة على القاريء المغربي ، وحمله المسؤولية كلها تقريبا ، مع ان الازمة تشكل ظاهرة لها دواعيها الكثيرة ، التي تكاد تجعل وجودها امرا طبيعيا . وهي دواعي لا تلتمس في المجال الثقافي وحده ، بل حتى في بعض المجالات الاخرى التي تتصل بالثقافة من قريب او بعيد . فهي عرض من اعراض مرض ساري في هيكل المجتمع ، يجب البحث عنه في مصادره الحقيقية . فالمشكل ينبغي وضعه في اطاره العام ، بحيث لا يؤخذ بصورة جزئية تفصله عن بواعثه في هذا المجال او ذاك ، وتمنع من تصوره في ابعاده وحدوده الواسعة .

واذن لكي نعرف مشكلة القراءة على هذا النحو ، يجدر بنا باديء ذي بدء ، ان نتعرض للوضع الثقافي العام في المغرب - مع شيء من الاختصار - كي نضع القراءة في مكانها المناسب منه . وهو وضع يحمل مصاعب كثيرة ، بالرغم من الجهود التي بذلت بعد الاستقلال ، من اجل الخروج بالمغرب من التخلف الثقافي الذي فرضته الوضعية الاستعمارية ، فنسبة المتعلمين ارتفعت والمدارس والمؤسسات الثقافية تنهض هنا وهناك ، والبرامج اعيد النظر فيها بما يلائم حاجيات ما بعد الاستقلال ، والبادية المغربية اخذت انوار الثقافة تتسرب اليها ، لتنفي عنها الجهل . ولكن بالرغم من هذا فالكل يعلم انه في مقابل انتشار التعليم في رقعة اوسع من التي كان يشغلها قبل الاستقلال ، اخذ المستوى الثقافي العام في الانحطاط ، لاسباب ليس هنا مجال الحديث عنها . وهذا امر لا ننفرد به فالثابت انه كلما عمت الثقافة اكبر عدد ممكن من السكان ، بعد ان كانت طبقية لا تتمتع بها الا فئة خاصة ، كلما ضعف وزنها واختل كيفها ، الى ان تتهيأ الاسباب لاعادة القوة والاصالة اليها بعد جهود شاقة . فهذا الدكتور عبد القادر حاتم وزير الثقافة والارشاد القومي في الجمهورية العربية المتحدة ، يلقي محاضرة في الموسم الثقافي بوزارة الثقافة ، فيقول ما معناه (ما دامت وزارة الثقافة تتبنى مبدأ توصيل الثقافة الى اوسع قاعدة ممكنة ، فلا مناص اما مها من ان تتساهل بعض الشيء في المستوى ، لتجعل الثقافة بجميع وجوهها في متناول الجميع) (1) .

وقد لا ينطبق هذا على شؤون الثقافة الفكرية وحدها ، بل حتى على بعض القطاعات الاخرى ، التي تعمم فيها وسائل الحياة وادواتها المتنوعة . يقول لويس عوض ، تطبيقا لفكرة التعميم مع انحطاط المستوى (من اجل هذا قبلت الانسانية المتحضرة ان تنزل عن العمارة القوطية ، وعن الملابس الموشاة بالدنتلا والقصب ، وعن طراز الملكة ان ولويس الخامس عشر ، في اثاث البيوت رغم جمالها ، ومن اجل هذا اخترعت (الفولكسفاجن) و (الرينو) لتحل محل (الرولزرويس) وقبلت ان تاكل الطعام المعلب ، برغم ان طعمه سقيم) .

ومع انحطاط مستوى التعليم يقل عادة الاقبال على القراءة الجادة ، اذ تضعف بواعثها في نفوس الافراد ما داموا يجتزئون من الثقافة بميسورها واقربها الى التناول .

والامل قوي في ان ينهض التعليم بالمغرب كيفا كما نهض كما ، الامر الذي يرتفع بمستوى المثقف المغربي ، ليكون قادرا على امتصاص الثقافات ، مشوقا اليها ، بما تلقى من تربية مدرسية قائمة على اسس متينة ، ويراعى فيها اعداد انسان له كل مقومات المواطن الصالح ، الذي يتسلح بسلاح العلم ، ليخرج الى الحياة العامة حاملا في فكره وروحه ادوات البناء ، لخلق غد افضل ، تتحقق فيه اعز الاماني في نهضة مغربية شاملة ، وهذه هي رسالة المدرسة التي تؤديها نحو الهيئة الاجتماعية . فليست مهمة المدرسة تلقين التلاميذ طائفة من المعلومات ، يستظهرونها ليؤدوا فيها امتحانا فحسب ، ولكن يدخل في مهمتها تعويدهم على الاستقلال في التفكير والميل الى النقاش ، وعدم التسليم برأي الا بعد الاقتناع به ، والتشويق الى المعرفة لالتقاطها من مظانها المختلفة . واعتقد ان المدرسة المغربية ما زالت مقصرة في هذا الجانب ، فكيف نريد ان يكون عندنا جمهور قاريء ، والحالة ان المدرسة لا تغرس في النشء عادة القراءة ؟

فاذا نحن تجاوزنا دائرة المدرسة ، وذهبنا الى البيت المغربي ، نجده هو ايضا لا يشجع على القراءة ،

---

1) (دراسات عربية وغربية) لويس عوض .

ولا يحببها الى ابنائه ، بل انه يحاربها في اكثر الاحيان، فاحاديث البيت تافهة ، ونظام الحياة فيه مضطرب ، ووسائل الراحة تكاد تكون فيه منعدمة : المذياع مرتفع صوته الى اقصى حد ، والام تصرخ في صغار الاولاد ، وتزعق مع الجيران ، ومع بائع اللبن ، وبائع الخضر . والضيوف يقيمون الايام والاسابيع بقضهم وقضيضهم . وشجار الاب والام لا يكاد ينقطع . ومشاكل العائلة تثار من حين لاخر ، وفي اوقات غير مناسبة ، وتجد جميع افراد الاسرة يشاركون باصواتهم المجلجلة في اعطاء رأيهم فيها. وفي بعض هذا ما يعكر الجو على مثقف الاسرة، اذا اراد ان يتناول كتابا ليقرأه . اضف الى ذلك ان الاسرة جاهلة غالبا ، ومن ثم فهي لا تعترف مبدئيا بقيمة الكتاب ، ولا تعرف اثاثا اسمه الكتب . وقد تتضايق من مكتبة المثقف فيها ، اذا نمت يوما بعد يوم . ويوجد من مثقفينا من يحمل الكتاب الى بيته سرا ، وفي غفلة من الاعين ، حتى يجتنب نفسه مغبة التقريع ووجع الدماغ . لذلك فاكثر البيوت المغربية خالية تقريبا من شيء اسمه الكتب ، حتى لو كان منها الاستاذ وموظف الادارة وربما المحامي والطبيب . لان جو الاسرة لا يساعد على ان يكون لافرادها مكتبات خاصة تنمو في جو منعش جميل ، وينظر اليها من طرف الجميع ، بكثير من الاحترام والتقدير . فاذا وجدنا فردا خرق المألوف ، وداس العادات الفاسدة، واعرض عن الاحاديث التافهة ، منصرفا الى الكتاب يدفن وجهه بين دفتيه ، طيلة الاوقات التي يقضيها داخل البيت ينظر اليه على انه انسان شاذ عن القاعدة ، لان القاعدة هي في كل شيء ، باستثناء الانقطاع الى الكتاب . ولا احتاج الى من يذكرني ببعض البيوت المغربية الهادئة ، المحبة للعلم ، المشجعة على القراءة .

وانا لا انسى ان البيت المغربي في هذا خاضع هو الاخر لظروفه الخاصة ، متأثر بعوامل كثيرة صاغته على الشكل الذي هو عليه ، وليس في وسعه ان يكون شيئا اخر ، ما دامت اسباب تاخره موجودة من جهل ، واعوجاج في التربية، وانحراف في الخلق ناتج عنها الخ.

ففي المجتمعات المتقدمة يكون البيت مدرسة تعد الطفل للخروج الى الحياة العامة ، وفيها يستكمل الطالب اسس ثقافته، يستمدها من مجالس الاسرة المنعقدة حول مائدة الشاي ، وفي اوقات الفراغ ، فمن تعليق على حادث سياسي ، الى نقد ظاهرة اجتماعية ، الى شرح لوجهة نظر خاصة في مسالة من المسائل . وحتى في بعض الاوقات التي ينصرف فيها كل فرد الى اهتماماته الخاصة ، يكون الجو الثقافي مهيمنا على الجميع ، فالاب حامل صحيفة مثلا ، والام حاملة كتابا ، والاولاد كل منهم اخذ بين يديه هو الاخر شيئا يقرأ فيه، وقد تواجه احدهم صعوبة حول ما قرأ ، فيطرح مشكله على مجلس الاسرة ليقول كلمته فيه ، وهكذا دواليك . فكيف لا تغرس عادة القراءة في وسط اسروي كهذا بكباره وصغاره ؟ وكيف توجد في وسط يختلف عنه في كل شيء كالوسط الاسروي المغربي ؟

قد يحتج علي احد بان الاسرة المغربية تدفع بابنائها الى المدارس ، وتقدم تضحيات جساما من اجل تعليمهم ، واذا نبغ فيها مثقف تعتبر ذلك فوزا كبيرا تتباهى به ، كل هذا صحيح لا جدال فيه ، ولكن مع ذلك تبقى الاسرة المغربية موسومة بعدم التشجيع على القراءة، فكيف نوفق بين هذين التصرفين اللذين يبدوان متناقضين ؟ بيان ذلك انها — اي الاسرة المغربية — عند ما تدفع بابنائها الى المدرسة تعتقد انها قد ادت واجبها نحوهم ، ولم تبق عليها مسؤولية في هذا الصدد الا مسؤولية ضمان الطعام والكسوة والدواء لهم ، وعلى المدرسة وحدها ان تكون منهم اشخاصا كاملين ، غير شاعرة باشتراك المسؤولية بينها وبين المدرسة . هذا من جهة ، ومن جهة اخرى فاكثرية المسؤولين عن الابناء من آباء وامهات ، يرون انه بمجرد تخرج ابن من ابنائهم من المعهد او الكلية ، يكون قد حصل على علوم الاولين والاخرين ، فلا حاجة به بعد ذلك الى مواصلة البحث والدرس ، وكيف وقد حصل على شهادة ومركز ممتاز ، فهل بعد هذا غاية؟ لذلك فالكتاب الذي يوافق رب الاسرة على اشترائه لولده الطالب او ابنته الطالبة ، هو ذلك الذي يحتاجه في الصف المدرسي ، والذي لا محيد عن اشترائه مهما كانت الاحوال ، اما كتاب القراءة الحرة والتثقيف الذاتي ، فهذا لا يعرف الاب له وجودا ولا يقر ابنه على اقتنائه بأية حال من الاحوال . فاذا تخرج الابن واصبح قادرا على تحمل مسؤوليته الخاصة ادبيا واقتصاديا واجتماعية يكون الوقت قد فات

معود على القراءة . اذ لم يبث حبها فيه عند ما كان حس الاعاب . قابلا للتكيف ، ومن ثم فهو بدوره يقاطع الكتاب غالبا وقد يلحق به حتى المجلة والصحيفة ، وهذه مشكلة الكثيرين من المتعلمين والمثقفين في بلادنا.

وحديثنا حتى الآن وقف على اسرة المدن ، اما اسرة البادية التي تكون الاغلبية الساحقة من المواطنين المغاربة . فلا طاقة لهذا الحديث السريع باستيعاب مشاكلها العائقة للتقدم الفكري ، بالرغم من انتشار المدارس فيها ، ودخول عدد كبير من ابناء البوادي تابعة دراستهم في اقرب المدن اليهم

ولنترك الآن البيت اسفين لعدم تمكننا من استيفاء الحديث عن ابعاد المشكل فيه ، لننتقل الى الحياة المغربية العامة ، فنرى ما ذا هيأت من وسائل ، لتحبيب القراءة الى النشء المغربي الصاعد . وهنا تواجهنا عراقيل كثيرة ، عما واجهتنا في المدرسة والبيت . فدنيانا مقفرة من المحاضرات ، تمر الشهور تلو الشهور ، دون ان نسمع بان المثقف الفلاني قام بالقاء محاضرة في موضوع ما . القاء المحاضرات بكيفية مستمرة يخلق جو البحث العلمي والادبي ، ويدفع الى حب الاطلاع ، ويوجد نوعا من الحوار الواعي بين كل جماعة قادرة على التفكير والعمل

وانديتنا الثقافية عبارة عن اماكن لالعاب الحظ وتبادل النكات الباردة والاحاديث التافهة وقتل الوقت ، اكثر مما هي ملتقى للافكار والافهام ، ومبعث للمواهب والملكات

ومجالس الاصدقاء من المثقفين يروج فيها كل حديث ، الا حديث الادب والعلم . بحيث تمر ايام طوال قبل ان يلتقي صديقان فيتبادلا الحديث في موضوع من مواضيع الثقافة العامة . فنحن مثقفون داخل المؤسسات الثقافية التي نعمل بها ، ولكن عند ما نتخطى عتبتها الى الخارج ، ننقلب الى اميين او اشباه بالاميين ، في سلوكنا وتصرفاتنا واحاديثنا وحتى في تقييمنا للاشياء ، بحيث يجرفنا التيار العام ، وهنا نقيم الدليل على ان الثقافة التي نحملها ليست داخلة في طبيعة نسيجنا النفسي والفكري ، وانما هي لباس نلبسه وقت الحاجة اليه فنمثل على طلبتنا وعلى انفسنا وعلى المجتمع الذي نعيش فيه . فلو كانت مجالسنا كمثقفين تعبق باريج الادب ونفحات الشعر ، وتتسع للحديث المثقف الذكي ، لدفعت الى البحث واثارة الفضول ، فيكفي ان يتصدى احدنا للتنويه بكتاب ظهر حديثا ليثير انتباه الاخرين اليه، وقد يحملهم على البحث عنه في اقرب وقت ممكن، ويكفي ان يطرح مشكلة تعرض لها كاتب في مجلة ، ليكون من المستمعين من يحاول الحصول على المجلة وهكذا . فان من اهم الاسباب التي دفعت اجدادنا العرب ، في قرطبة وفاس والقيروان والقاهرة وبغداد والبصرة والكوفة . الى القراءة التي لا تعرف التوقف، كونهم كانوا لا يجتمعون غالبا الا للمدارسة والمذاكرة والمباهاة بالاطلاع العام الشامل . فحتى مجالس انسهم ـ وهي مجالس لهو وشراب وقصف ـ كانت حدائق لزهرات الشعر ، ومجتلى لرقائق الاخبار وبدائع النوادر وافاكيه المداعبات ، وكلها ثقافة للفكر ، ومتعة للروح ، وصقل للذوق ، وتنشيط للخيال ، وانماء لحب المعرفة . وناهيك بابي نواس ، خريج دساكر العراق ، وليالي والبة بن الحباب ... !

والآن ما هي الجهود التي تبذل عندنا من اجل التعريف بالكتاب ، وتشويق القارىء العادي اليه ؟ الجواب لا شيء تقريبا ، فوسائل الاعلام عندنا لا تعير هذا الجانب كبير اهتمام ، قد لا تعدم ان تجد حديثا مقتضبا عن كتاب في بعض مجلاتنا ، واذكر مجلة (دعوة الحق) بصفة خاصة ، فهي لا تهمل هذا الجانب ، لما تنشره من احاديث عن الكتب ، ولكن هذا غير كاف ما لم تتضافر سائر اجهزة الثقافة على هذه الغاية ، من اجل خلق جو فكري يدفع الى البحث والدرس

فاذا انتقلنا الى المكتبات العامة ، نجدها اولا قليلة ، ولا تعير الكتب للطلبة الا بشروط مشددة قد تصرفهم عن القراءة ، واكثرها تمتنع من اعارتهم اياها بالمرة ، ونجدها ثانيا لا تقوم بأية محاولة لجلب المتعلمين ، لتكون منهم جمهورا (قارئا) فمثلا هي لا تلح على اذن الطالب والمثقف بالاعلان عن نفسها وعن بضاعتها في الصحف السيارة ، وهي لا تبعث بمندوبين عنها الى المدارس والكليات ، ليتصلوا بطلبتها ويكونوا صلة الوصل بينهم وبينها ، وهي لا تدعو الى القاء المحاضرات فيها ، او تقيم حفلات موسيقية بين جدرانها ،

لتكون فرصة للالتقاء المثقفين تحت ظلالها ، ولو على سبيل تاليف القلوب حولها ، تخطب ود المثقف ، وترضو احساسه الفني ، وتغري نزوعه الفكري ، وكل هذا تفعله المكتبات العامة في اقطار اخرى . قد لا نجد مكتباتنا ناقصة من حيث التجهيز ، فهي تبذل قصارى الجهود من اجل ارضاء القراء على اختلاف مشاربهم ، ولكنها لا تقرن هذا الواجب بواجب اخر وهو محاولتها ان تسعى الى الطالب او المثقف ، مادة اليه يد الصداقة ، دون ان تقف مكتوفة اليدين ، تنتظر ان تكون البادرة الاولى منه ، خصوصا بالنسبة الى بلد متخلف فكريا كبلدنا ، يحتاج فيه الجمهور المتعلم الى قوة دافعة تحمله على القراءة حملا .

ولا ننسى عاملا اخر يضاف الى العوامل الاخرى التي تعوق انتشار القراءة ، وهو ارتفاع ثمن الكتاب ، بالنسبة للقدرة الشرائية لدى الاكثرية من المغاربة ، فمن وسائل تيسير الثقافة وايصالها الى الاكثرية العديدية ، انخفاض اثمان الكتاب والمجلة . ولكن لا اعتقد ان هذا العامل يصل الى خطورة العوامل السابقة ، ذلك اننا نرى الجمهور المغربي عند ما يحب شيئا يقبل عليه بكل قواه ، مهما كلفه ذلك من مصاريف . فقاعات السينما ، والمسارح ، والحفلات العمومية ، وملاعب كرة القدم ، وحلبات المصارعة والملاكمة وكذا سائر ميادين التسلية نقبل عليها كلنا متحمسين ، لا نشكو فراغا في الجيوب ، ولا نقصا في الموارد ، مع ان هذه المجالات باهظة الثمن ، ونغشاها بكيفية مستمرة، فلماذا عند ما نجيء الى الكتاب والمجلة ، نشكو ضيق ذات اليد . بيد ان الانصاف يقتضينا الاعتراف بان انخفاض ثمن الكتاب والمجلة ، مساهمة في تيسير وصولهما الى القاريء . وانه لمن هذا التيسير ان يكون ثمن مجلة محترمة كمجلة (دعوة الحق) درهما واحدا ، مع ما تتطلبه من مصاريف ثقيلة التكاليف . ولكن حبذا لو كانت عندنا مجلات على غرارها وبمثل ثمنها ، كخطوة نحو تيسير الثقافة وخلق جمهور قاريء .

ولا يمكن ان نغض الطرف عن مزاحمة الكتاب الاجنبي للكتاب العربي بوسائل مختلفة ، فهو ينافسه بعرضه في اجمل مظهر وفي افخم الشوارع ، وهو ينافسه باناقته وجماله ، يتودد الى القاريء بالوان من الاغراء ، المتمثل في الورق الصقيل ، والغلاف الانيق ، والصورة الرائعة ، وهو ينافسه بالدعوة اليه والاغراء به ، وهو ينافسه بطرق اخرى . وبالرغم من المنافسة القوية التي يقوم بها الكتاب الاجنبي ازاء الكتاب العربي ، فلا احد يستطيع ان يثبت ان المثقفين المغاربة ، ينكبون على قراءة الانتاج الاجنبي بكيفية فعالة ، تجعل منهم رجال يكر في هذه البلاد، بحيث ينتجون ويحاضرون، يؤلفون الكتب ويصدرون المجلات والصحف ، وينشرون الوعي الثقافي في الاوساط المتعلمة ، ذلك ان المثقف المشبع بالثقافة العالية ، لا بد ان يفيض ، وان يطفح ، من جراء امتلائه بما قرأ ودرس خصوصا اذا كان شاعرا بمسؤوليته نحو المجتمع الذي يعيش فيه ، بوصفه احد روءوسه المفكرة . ونحن عند ما نظر حوالينا لا نجد شيئا من هذا . فالمنافسة اذن انما هي نسبية فقط ، بمعنى اننا عند ما نقارن بين حظوظ الكتاب العربي وحظوظ الكتاب الاجنبي ، نجد هذا متفوقا على ذاك ،من حيث عدد القراء الذين يقبلون على كل منهما . اما القراءة الفعالة الهادفة، فتكاد تكون منعدمة . واذن فازمة القراءة تبقى قائمة الذات، سواء بالنسبة للفريق الاول او الثاني .

قد يعن لاحد ان يعترض : لما ذا لم يكن آباؤنا واجدادنا في حاجة الى كل هذه الوسائل ليقرأوا ويدرسوا ؟ هل كن في عصر المتنبي او الجاحظ تلفزة او اذاعة او مجلات تحبب الكتاب الى الناس ؟ وهنا يجب الا ننسى الفارق الكائن بين تلك العصور والعصر الذي نعيش فيه ، لا اقول انه تعقد المدنية الحديثة ، فكل عصر يعرف مدنية تعتبر معقدة بالنسبة لمدنية العصور التي سبقته ، فالعصر العباسي مثلا كان عصر تزاحم وتعقيد حضاري بالنسبة للعصر الاموي ، وهذا كذلك بالنسبة الى العصر الجاهلي وهذا كذلك بالنسبة للعصور البدائية التي سبقته ومهدت له ، وهكذا وسوف ياتي زمن ينظر الناس فيه على اننا بدائيون في حضارتنا ووسائل عيشنا وادوات حياتنا . ليس التعقيد الحضاري اذن هو الفارق ، وانما الفارق في نظري في البواعث . كان اجدادنا يعيشون في وسط كل فيه يحمل على القراءة والدرس ، فمجالس المناظرات في اوساط العلماء والادباء تتحدى العقول ، وبيوت رجال الفكر وحلقات الدروس ومنتديات الشعراء، كلها تفيض علما وادبا وفنا ، وتجعل الكتاب امنية كل عقل مثقف ، ونفس

اشرقت فيها شمس الفكر . والتنافس العلمي على اشده بين طوائف المثقفين ، الذين يقتسمون فروع الثقافة العربية الاسلامية ، مع محاولة كل فريق ان يبرز الاخر في ميدانه ومجاله الحيوي . والجمهور القاريء كله يتبع كل هذه الحركات الثقافية في حماس يزيد في مضاعفة الجهود من اجل الوصول الى المجد العلمي الذي تنقطع دونه اعناق الرجل ، فهل كان يمكن ان نظفر بكتاب (الامتاع والمؤانسة) لابي حيان التوحيدي لولا الحاح الوزير ابي عبد الله العارض على ابي حيان ان يسامره بما لذ وطاب من حديث العلم والتاريخ والادب ؟ ولولا الحاح ابي الوفاء المهندس على اديبنا ان يطلعه كتابة على كل ما راج بينه وبين الوزير من رقائق الاحاديث ؟ وهل كان للجاحظ ان يتحفنا برسائله التي يسف فيها الشيء فيرفعه تارة ويخفضه اخرى ، حتى ليبدو في صورتين متناقضتين ، لولا تاثره بجو الجدل الذي كان سائدا في عصره ؟ وهل كنا نظفر بكتاب رائع ككتاب (الاغاني) لابي الفرج ، لولا ان صاحبه عاش في وسط اجتماعي تتردد فيه اصداء الادب والشعر والاخبار والايام ، فيقدم للاديب والمؤرخ مادة غزيرة لا ينضب لها معين ؟ فهم كانوا يعيشون الادب في احاديثهم واسمارهم ومجالس انفسهم ، ويخلعون على ماضيهم الادبي حياة واية حياة ، فامرؤ القيس كان يغدو بينهم ويروح ... وزهير يحدثهم حديث الحكمة الخالدة فيستمعون اليه ويبادلونه حكمة بحكمة ورأيا برأي ... والنابغة يقوم بينهم معتذرا فيستحضرون النعمان من وراء السنين ، لياخذ عن شاعره المكشوف البال ما يلين الصخر ويذيب الحديد .

فاذا نحن جئنا الى الحياة التي نحياها الان ، نجدها بعيدة عن الحياة التي كان يحياها اجدادنا في كل شيء ، لذلك ضعفت البواعث ، وصرنا تبعا لذلك محتاجين الى من يدفعنا الى القراءة دفعا ويحببها الينا ويغرينا بها ، قبل ان تتمكن من نفوسنا وتصبح لنا طبيعة ثانية . فمن غريب المفارقات ، ان اسلافنا العرب ، كانوا يضربون اكباد والابل ، ويقطعون المسافات الطوال ، غير عابئين بوعورة الطريق ، من اجل بيت من الشعر ، او فائدة فقهية ، او مسالة لغوية او نحوية ، بينما نحن تقدم الينا نتائج العلم وآيات الادب ، واضحة الاسلوب ، محكمة التبويب ، فنعرض عنها ونزهد فيها .

اما بعد ، فهل معنى ما سبق انني اعفي مثقفينا ومتعلمينا من كل مسؤولية ، في موضوع ازمة القراءة ، لالقي المسؤولية كلها على اوضاعنا الثقافية والاجتماعية الراهنة ؟ ان نحن اجبنا بنعم ، يكون معنى ذلك ، اننا اسقطنا من حسابنا المجهود الشخصي ، الذي بواسطته يفرض المثقف نفسه على الظروف المعاكسة ، فيتخطاها واثقا من نفسه ، الامر الذي اثبتته تواريخ الحركات الثقافية العالمية ، عند ما وضعت في مكان بارز ، اولئك الذين خلقوا فرصهم ، وغيروا مجرى الحياة من حولهم ، وكانوا اقوى من ظروفهم . واذا كان هؤلاء اقلية في جميع الشعوب والمجتمعات ، لا يطلب من الناس العاديين ان يكونوا مثلهم ، فهم على الاقل مطالبون بان يتخذوا منهم القدوة الحسنة ، والمثل الاعلى . فحوافز القراءة كما تكون خارجية ، فانها تكون داخلية ، بل نستطيع القول بان هذه هي التي تعطي لتلك فعاليتها وايجابيتها ، والا كانت ضئيلة الاثر ، فهيهات ان تكون القراءة هواية مفضلة عند المثقف ، ما لم يكن مقتنعا باهميتها ، مومنا بفوائدها ، يندديه اليها كل عصب في فكره ، وكل جارحة من جوارحه ، وما الحوافز الخارجية حينئذ الا تهيئة الجو المناسب ، لارضاء الحوافز الداخلية ، واعطاء الفرص الكفيلة باستغلالها الى ابعد حد مستطاع . فالواقع يشهد بان الكثيرين ينصرفون عن القراءة ، بعد ان كانوا من هواتها الاوفياء ، لان الحياة من حولهم لا تدعو اليها ، ولا تفسح لها مكانا بارزا بين اهتماماتها ، الامر الذي يحمل اليأس والقنوط والشعور باللا جدوى الى نفوسهم ، فيتركون القراءة ، وقد يقطعون كل صلة لهم بها ، بحيث لو كانوا يعيشون في وسط اجتماعي وثقافي يدفع الى القراءة ، لما ماتت رغبتهم فيها .

على انه اذا كانت الحياة الاجتماعية والثقافية في المغرب لا تدعو الى القراءة بل هي قد تناهضنا وتضعف الرغبة فيها في كثير من الاحيان ، فيجب الا يعزب عن بالنا ان هناك حوافز اخرى غير مباشرة ، من شأنها ان تثير الفضول العلمي ، وتحرك الرغبة في الاطلاع . وهي حوافز بعضها آت من اوضاع العصر الذي نعيش فيه وبعضها آت من متطلبات الطور الحضاري والثقافي الذي نجتازه الان ، ضمن المجموعة العربية الممتدة من الخليج الى المحيط ، وبعضها آت من الشعور بمقتضيات الطور الثقافي الذي نجتازه في بلادنا الان بوصفنا

مجموعة من البشر لها ظروفها وقضاياها الخاصة ، النابعة من طبيعة حياتها العامة واسلوب تطورها

فالعصر في اوضاعه العامة يتنافى مع العزلة الفكرية ويدعو الفرد الى الاتصال بالدنيا من حوله ، والدخول في حوار مع غيره من افراد البشر مستمعا ومتحدثا وقارئا منتجا ، حتى يكون جديرا بانتسابه الى عالم اليوم . وعالم اليوم هذا قد دخل بين الناس وبين خاصيات نفوسهم ، يهزهم باحداثه ، ويأخذهم بضغوطه من كل جانب ، ويضعهم بين تناقضاته العديدة ، تسلبهم الراحة النفسية ، وتفرض عليهم الخروج من عزلتهم ، ليتلقوا اصداء الحياة الاتية من هنا وهناك . فانت اول ما تخرج من بيتك في الصباح الباكر، تواجهك صحف الصباح طافحة بانباء الدنيا على سعتها ، وهي انباء تتسلل الى البيوت والمقاهي والاندية ، وسائر مرافق الحياة الاجتماعية ، لتاخذ حظا من اوقات الناس، والفرد الذي لا يلم بها يكون وضعه حرجا بين معارفه واهله ، وكل من يتصل بهم من قريب او بعيد . هذا اذا كان قارئا عاديا ، اما اذا كان من طبقه (المثقفين) فهو مدعو الى التعمق في الاخبار التي يتناقلها الناس ، ليميز بين صحيحها وزائفها ويضع يده على الاسرار الكامنة فيها ، والدوافع المستترة وراءها وهو مدعو ايضا الى ان يعرف جوانب اخرى من العصر علاوة على الجانب المتقدم ، فحقائق العلوم . ودقائق الفلسفات واحدث نظريات الادب وقضاياه ، قد نزلت اليوم من عليائها ، وتخلت عن ارستقراطيتها ، لتقدم الى القارىء في كتاب الجيب ، وصحيفة اليوم ، تتجسم في ابطال القصص ، وتندس في نسيج الروايات ، فاذا الجبل الاشم يختصر في ربوة مخضرة ، والبحر الخضم يلخص في جدول رقراق ، والادواح العظيمة تستحيل الى زهرات في روض انيق ... مما جعل الثقافة (شعبية) تصل الى المجموعة البشرية من اقرب الطرق واقصرها ، بحيث يمكن للناس تناولها بالحديث على متن القطار ، وافاريز الطرق ، وحول موائد المقاهي ، وكانهم يتحدثون عن حالة الطقس او ارتفاع الاسعار . وفي هذا الوضع اين يجد مكانه ذلك الفرد الذي لا يقرأ ؟ طبعا لا يجد له مكانا محترما ، ما لم يندفع هو الاخر نحو القراءة . فاذا شاء التفوق لم يكتف بالفقاقيع التي يخدع بها اوساط الناس من القراء ، بل هو يتصل بالمصادر والاصول التي تحافظ للفكر على ما له من قدسية وجلال . واذا كان وسطنا الاجتماعي هنا في المغرب ، لا يتسع لشيء مما ذكرناه ، فواجبنا الا نقيس انفسنا الى انفسنا ، وانما يجب ان نقيسها الى من يفوقوننا ، لنتخذ منهم قدوة حسنة نقتدي بها . فالعصر لا تمثله الجماعة المتخلفة ، وانما تمثله الجماعة المتقدمة التي تستفيد من امكانياته وتعيش في مستواه . والعصر لا يمهلنا لنجعل من القراءة ترفا نملأ به اوقات الفراغ ، لانه عصر سريع التطور ، تتلاحق نتائجه وتتوالى منجزاته العلمية بدون انقطاع . فاذا لم نلاحقها بالقراءة المستمرة لا تكاد تمر عدة ايام او اسابيع او شهور ، حتى نجد اننا متخلفين جدا عن ركب التقدم العلمي والادبي . لان ما كنا نعتبره فتوحات فكرية طريفة كل الطرافة ، يصبح في عداد البديهيات المفروغ منها . خذ لذلك مثلا ظاهرة غزو الفضاء ، فكم حصل فيها من تطورات سريعة ، منذ رحلة (يوري جاجارين) سنة 1961 الى اليوم ، بحيث ينظر اليوم الى رحلته على انها بسيطة بالنسبة للرحلات التي يقوم بها ابطال الفضاء هذه الايام . وما قلناه عن هذه الظاهرة العلمية ، ينطبق على سائر ضروب المعرفة الانسانية التي تتقدم بسرعة كبيرة . والامر في شؤون الادب ، مثله في شؤون الفكر الاخرى او قريب منها . فرحلة ثقافية قام بها الدكتور لويس عوض الى فرنسا مبعوثا من لدن صحيفة مصرية كبيرة ، اطلعته على ان الاوساط الادبية في تلك البلاد ، منهمكة في الحديث عن الانتاج الادبي لشبان فرنسيين ، على حين ان المثقفين في مصر ما زالوا مشغولين (بجان بول سارتر) و (سيمون دوفوار) و (البير كامو) ، هؤلاء الذين كفت الاوساط الادبية في فرنسا او كادت عن الحديث عنهم ، لكونهم دخلوا التاريخ الادبي واخذوا مكانتهم فيه . والاطار التاريخي الذي اتخذه نجيب محفوظ وعاء لقضايا ثلاثيته الشهيرة، يعتبر بدائيا بالنسبة للاطر الروائية الحديثة . ونظريات النقد الادبي الاكاديمية تبخرت امام تيار الواقعية الاشتراكية في دراسة الادب ونقده . والقالب التقليدي للمقال الادبي يصبح عتيقا امام قالب المقالة الانجليزية الحديثة ، التي لا يلتزم فيها المنطق الذهني في تسلسل الخواطر والتأملات ، لانها تاتي عفوية مطابقة تمام

المطابقة للحالة النفسية التي يكون عليها الكاتب ساعة الكتابة ، مهما كان فيها من فوضى او اضطراب ، فكأنها ـ اي المقالة ـ قصيرة تحللت من نظام الوزن والقافية، على حد تعبير احد الكتاب . ولسنا ندري ما ستتمخض عنه الايام المقبلة من مذاهب الادب والنقد ، وما ستفاجئنا به من ابتكارات .

ونحن مدعوون الى القراءة ، بوصفنا من الدول النامية ، التي تواجهها تحديات الغرب في كل الميادين، فمركزنا دقيق من حضرة اليوم ، لاننا مرت علينا سنون طوال ونحن في سبات عميق ، ضمن المجموعة العربية الكبرى التي ابتليت في عصور انحطاطها باقبح انواع الاستعمار ، فلما استيقظت وجدنا انفسنا كعمي امام مبصرين . ولهذا فموقفنا الدقيق الحرج يحملنا على القراءة ، والقراءة التي لا تقنع بشيء ولا تقف عند حد ولا تميز بين فن وفن ، وعلم وعلم . لاننا محتاجون الى كل ما انتجه العقل البشري ، كي نفتح عيوننا على العالم المحيط بنا ، ونجاهد لنكون في مستواه . واي شيء اقوى دفعا الى القراءة من التهم التي توجه الى الفكر العربي ، من طرف الكثيرين من رجال الاستشراق ؟ فهم يتهمون الفكر العربي الحديث بكونه عقيما لا يهب الثقافة العالمية جديدا في اي علم او فن ، وهم يقولون عن الادباء العرب المعاصرين ، انهم لا تمكن اي اديب عربي الى الان ، من الحصول على جائزة (نوبل) للادب . وهي اتهامات اكثرها لا يثبت امام النقش الحر النزيه ، وليس من شأني ان اناقشها هنا ، لاني بصدد شيء آخر ، وهو اثبات ان هذا الموقف الذي يقفه المثقف العربي اليوم ، موقف الانهام في فكره وعبقريته ، يدفعه الى التفكير في شيء يرد به على خصومه ، ولا شيء يوصل الى ذلك الا القراءة الجادة المخلصة الهادفة ، التي لا تعرف التوقف ابدا

ونحن الى جانب اشتراكنا في الواقع الحضاري العربي العام ، نحمل حسناته وسيئاته ومضاعفاته الكثيرة، لنا ظروفنا ومشاكلنا الثقافية المحلية ، المرتبطة بالحيز الذي نمثله من الفكر العربي ، نتيجة لاوضاعنا الاجتماعية والحضارية ، التي قد تكون لها مشابه في اقطار عربية اخرى . وسوف لا ناتي بجديد اذا قلنا اننا ما زلنا بعيدين عن طليعة الفكر العربي الحديث ، وما زال امامنا طريق طويل حافل بالجهد والمثابرة ومصاعبها ، من اجل الوصول الى مشارف الثقافة العربية الحديثة ، لنتمكن من العطاء ، كما نتمكن من الاخذ ، مستفيدين من ملتقى تيارات الفكر العالمي . واذا كانت الطليعة العربية الواعية المعطاء ، تتهم بانها لا تقدم للفكر العالمي جديدا ، فكيف ينظر الينا نحن ، على ما نحن عليه من سلبية وشح في القرائح والملكات ؟ اليس في هذا ما يجسم لنا مبلغ حاجتنا الى القراءة الفعالة ، لنخرج من وضعنا الفكري الراهن ؟ خصوصا وان ما يرد علينا من انتاج فكري عالمي يشعرنا بمدى نقصنا الثقافي الكبير ، بحيث يواجهنا في صورته البشعة التي لا مهرب لنا منها .

واخيرا معذرة لقارئنا الممتاز النادر اذا رأى انه لا يشمله هذا الحديث . . .

فاس ـ عبد العلي الوزاني



من أعلام الأدب الاسباني

مكيل ذي اونامونو 1864/1936

للأستاذ حسن الوراكلي

استقبلته الحياة في بلباو في اعطاف سنة 1864 ، وتركها في سلمنقة في اواخر سنة 1936 وبين التاريخين امتداد زمني عاشه « اونامونو » كما لم يعشه الا القليلون ، والقليلون جدا من الناس . وانتهى هذا الامتداد الزمني ولكن « اونامونو » لم ينته بل ظل دويه يملأ سمع الباحثين في مجالات حاضر الفكر والثقافة والفلسفة والأدب باسبانيا .. نعم . انتهى امتداده الزمني ، وكف قلبه . يا لقلب الشجاع عن الخفقان . ولكن الكلمات .. الكلمات الطيبة الجميلة .. الكلمات الجريئة العنيفة .. الكلمات العميقة المضيئة . كلماته ، هو ، « اونامونو » ، لم تنته .. ظلت تتحدث للناس عن صاحبها وتحكي لهم عن غزارة علم وسعة اطلاع وحصافة رأي وعمق نظرة وشمولية حكم !

* * *

وفي كتابه « ذكريات الطفولة والشباب » Recuerdos de nines y mocedad يرسم مكيل دي لوحات تعكس ظلالا من عهد صباه ، وتعرض ارتسامات من ربيع عمره ... تجرع مرارة اليتم وهو ابن ست سنوات ، وتلقى حظا غير يسير من العلم بمعاهد مسقط رأسه ، ثم سافر الى مدريد ، وفي جامعتها انفق سنوات يدرس الفلسفة والادب . ومنذ سنة 1884 ، وهي السنة التي تخرج فيها من كلية الفلسفة والادب وهو يعد لنيل درجة استاذ جامعي ، وباءت محاولاته بالفشل ولكنه كان كلما فشل اعاد الكرة من جديد . ولامر ما كان الفشل بالنسبة للنبغاء من الناس حافزا شديد القوة ، عظيم الخطر ، يملأ نفوسهم اصرارا ، ويغمر افئدتهم الحاحا ، فاذا بنظراتهم تتعلق بالقمم ، لا تحيد عنها ولا تريم واذا الفشل امام ذلك ، يذوب ويذوب كجليد مسته حرارة شمس محرقة ، واذا بهم ـ عنيت النبغاء من الناس ـ يركزون علم الظفر فوق القمم الشماء . كذلك كان شأن «اونامونو» ،فلم يكن ما منيت به محاولاته المتكررة للفوز بنيل درجة استاذ جامعي من فشل ليقهر قوة العزيمة في نفسه ، وليميت « ديناميت » الارادة في حناياه .. وحالفه الظفر في الاخير ، فعين على اثر ذلك استاذا للغة والادب الاغريقيين بجامعة سلمنقة (1891) ولم تكد تمضي بضع سنوات حتى سمي عميدا للجامعة المذكورة ، وظل ، وهو ينهض باعباء العمادة ، يحاضر في مدارج كلية الفلسفة والادب .

* * *

والحقيقة ان « اونامونو » عاش حياة خصبة ، مليئة بالعمل ، حافلة بالانتاج ، عامرة بالعطاء ، فمنذ ان ظهر اسمه في عالم الادب (1894) وقد بلغ من العمر سن الثلاثين ، منذ ذلك الوقت جعل يسهم ، بقوة متيرة وملفتة ، في الحياة الاسبانية العامة ، يسدد مهامه الصائبة ابدا في مجالات الادب والفكر ، ويقوم ما اعوج ، ويصلح ما فسد في حلبات السياسة والمجتمع (1) ، فكان يدرس ويؤلف ويبحث ويجري قلمه في الصحافة الوطنية ، فيذيع في الناس احاديث صارمة العبارة ، وفصولا عنيفة اللهجة ، فكان يحمل فيها على سياسة

---

(1) انظر : G. Torrente Ballester, Panorama de la literatura espanola contemporanea, pag. 142.

الحكومة يومئذ حملات شعواء . الأمر الذي دفع بجهاز الحكم الى خلعه من عمادة الجامعة سنة 1914 ، على ان ذلك لم يثنه عن عزمه وما صرفه عن المضي في الطريق التي اختارها ، فاسترسل ينشر مقالاته التي ينتقد فيها بعنف قاس وقوة عنيفة ، اعمال الحكومة وسياستها ، وكان جهاز الحكم يتلقى ذلك من « اونامونو » على مضض ـ ولكن للصبر حدود ! ـ ، فلم تلبث دكتاتورية (بريمو دي ريفيرا) ان نفد صبرها وطوحت به الى المنفى بجزيرة (فورطينطورا) Fuerteventura ثم لم تلبث ايضا ، بعد سنة من ذلك ، ان بسطت عليه عفوها وسمحت له بالرجوع الى ارض الوطن ، غير انه لم يرض ان يعود الى ارضه الطيبة ،وكل ما فيها يصارع ليلا من الاستبداد وخنق الحريات ، بهيم وقاتم .. وانتقل من (فورطينطورا) الى هنديا (Hendaya) « على مبعدة رمي حجر من وطنه الحبيب (1) » واقام بها فترة انتقل بعدها الى باريس ، ومنها اخذ يسدد السهام القاتلة الى نظام الحكم القائم باسبانيا يومذاك .

وما هي الا سنوات معدودة حتى انجلى الليل البهيم القاتم عن ربوع البلاد واختفى من مسرح السياسة والحكم (بريمو دي ريفرا) فعاد « اونامونو » الى الوطن واستقبل في سلمنقة استقبال الابطال ، واكرم اكرام من يحب فيضحي في سبيل من يحب بما يملك من مباهج الدنيا وما يذخر من متاعها . فأعيد اليه وظيفه كعميد بجامعة سلمنقة ، وبولغ في اكرامه فعين من طرف الحكومة الموقتة للجمهورية رئيسا لمجلس الثقافة الوطنية . وبرغم ذلك لم تسلم هذه الحكومة من نقداته اللاذعة ، ولم تنج من لذعاته الساخرة ، وكيف تريدها ان تسلم من نقداته ، وتنجو من لذعاته ، وهو رجل يعلن ان مبدأه الحقيقة قبل السلام ، ويعترف قائلا : « انا لا اريد ان احيا في سلام سواء مع الآخرين او مع نفسي . انا بحاجة الى حرب ، حرب في داخلي ، نحن بحاجة الى حرب » . وحين اندلعت نيران الثورة اسرع الى صف الثوار يظاهرهم ويناصرهم ويدافع عنهم ، ولا احب ان يتعجل قارئ فيحكم على « اونامونو » بالفوضوية وانما نريد ان نتمعن ونتريث ثم نعترف بأن ذلك يكشف لنا عن لا اتساقية « اونامونو ولا تمذهبه » ، وهو بعد هذا ، يصور لنا الرغبة الاونامونية في ان يكون القلم ، ويكون الفكر ، وتكون الكلمة ـ ان اردنا اجمالا ـ ملتزمة للقضية الوطنية بغض النظر عن نوع وشكل الاشخاص الذين تتيح لهم ظروف او اخرى معالجة هذه القضية والاشراف عليها وتوجيهها الوجهة التي يبتغون . والحق ان « اونامونو » كان مؤمنا بضرورة التوجيه والارشاد والانتقاد للذين يتولون تسيير شؤون الحكم بالبلاد اذا كان يرجى خيرا لهذه البلاد ، ومن ثم كان يعمل بشعار « ضد هذا وذاك » ، وسمى به احد كتبه Contra esto y contra aquello ومن ثم ايضا كان يعلن دوما : « كل من سينتصر سيراني في الجانب الاخر » ، ولقد تحدث الناس بعد موته فقالوا معلقين على مظاهرته لرجال الثورة : « ان اونامونو لو مد في اجله ورأى انتصار الثوار لانقلب ضدهم »

* * *

مكيل دي اونامونو واحد من هؤلاء الكتاب الذين تقرأ اثارهم فتحس بان شخصيتهم ، بكل ابعادها واعماقها ، مسكوبة فيما تقرأ لهم وتطالع . وعلى ضوء هذا لا يسعنا عند طرحنا لمثل هذا السؤال : من هو « اونامونو » ؟ الا ان نعمد الى ما خلفه من آثار ، نستطقها ونستجوبها ، فهي وحدها الكفيلة بان تعطينا صورة واضحة الملامح ، بينة السمات لشخصية الرجل ونفسيته . واية ذلك انها مرتبطة بحياته اشد ارتباط ، ومصورة لها ابعد تصوير ، وعاكسة ـ اجمالا ـ لكل ما اعتورها من تمرد وثورة على اوضاع لم تكن لتروقه في العقيدة والاجتماع والسياسة ، وما « مزقها » من حيرة وقلق في البحث عن « الانا » الضائعة !

وانا لواجدون نقادا كثيرين يسلطون « اضواء كاشفة » على شغف « اونامونو » بالحديث عن نفسه واعجابه بها ، ومن هؤلاء ك . ط . بابسطير الذي يؤكد في فصل عقده عن«اونامونو» في كتابه «شاشة الادب الاسباني المعاصر » بان الرجل كان يتحدث كثيرا عن نفسه ويعرفها او يعرف بها ـ ان شئت ـ مرات متعددة وانه كان يحكي ويصف عمليات ورجات روحية وخلقية كما لو كان هو الذي يعانيها على حين انها لا تحدث دائما الا في العالم الداخلي ، ويمضي «بابسطير » مسلطا

(2) انظر : V. Mateo Velasco, Literatura espanola contemporanea, pag. 187.

الاضواء على ترجمة « اونامونو » لينتهي الى الزعم بان الرجل كان يسعى دائما في الحاح شديد واصرار اشد الى فرض نفسه على الا خرين بالاسلوب الذي يرتضيه ، ويذهب اخرون الى القول بان « اونامونو » في جميع ما الف وكتب كان معجبا بنفسه جسما وروحا ، وكتب ناقد يقول بان « اونامونو » كان فرديا ، معتزا بفرديته في تلك الايام التي راجت فيها المباديء الشيوعية والاشتراكية وذاعت الفاشستية والنازية ، وكلها مذاهب ـ بالجملة والتفصيل ـ لا تهتم بالفرد وانما تعنى بالجماعة ، اما الاستاذ الشاعر « خيراردو ديكو » فيقول: ان كل اعمال « مكيل دي اونامونو » هي بالتدقيق ترجمة حياة بقلم صاحبها Autobiografia (1)

ومع ذلك كله فانا اتيح لنفسي ان ازعم بان « اونامونو » وامثاله من الكتاب الذين نقرأهم فيلوح لنا اول الامر ان انتاجهم بمتعدد انماطه ليس الا ترجمة حياة شخصية ، نستطيع ان نعثر في هذه الترجمة على حقيقة ليس من سبيل الى انكارها ، وهي انهم ، فيما انتجوه ، يمثلون جيلهم وعصرهم ومجتمعهم اصدق تمثيل واروعه ، وهل يمكننا ان نفترض وجود كاتب لا يتأثر بجيله وعصره ومجتمعه ولا تعكس هذا التأثر انتاجاته وكتاباته ؟ لقد شهد « اونامونو » ولما يزل في مطلع العمر ، محاصرة مدينته بلباو من طرف الفيالق الكارليسطية ، وعاش ، وهو في ربيع الشباب ، مأساة انهيار الامبراطورية الاسبانية ، وراعه تمزق مجتمعه وتخلفه ، واعجب باصرار جيله على خلق ايديولوجية اسبانية صميمة سعيا وراء الانطلاق والخلود ، فاذا به ، من حيث يريد او لا يريد ، يتصدى ، من وجهة نظر شخصية محضة ، الى التمرد على الفساد في كل مظهر من مظاهر الحياة عهدئذ ، واذا هو ، من حيث يريد او لا يريد كذلك ، يهوله البدء او المصير ، وتفزعه البداية والنهاية ، فينطلق في متاهات الفكر وشعابه ، يبحث ، من وجهة نظر وجودية محضة ، ويجد في البحث ، وينقب ويمعن في التنقيب عن «الانا» سعيا وراء الانطلاق والخلود .

* * *

وايا ما كان الحال فاننا حين نلقي نظرات فاحصة ، فيها تأن وفيها روية ، على المؤلفات الاونامونية نستطيع بذلك التعرف على اعصاب صورته الفكرية والادبية وشرايينها ، تلك الصورة التي استوت ونضجت عبر اربعين سنة من النشاط الفكري والادبي .

واذ كان «اونامونو» قد عالج شتى الانواع الادبية من قصة وشعر ، ومن مقالة ومسرح ، الى بحوث فلسفية ودراسات لغوية ، فاننا اذ نقرأ له ايا من ذلك تبهرنا سعة الثقافة وعمق الفكر ، يطبعها جميعا بدون استثناء ، ومن ثم تبدو لنا كلمة الكاتب الفيلسوف « اورطيكا ايكا سيط » عن « اونامونو بانه (كان يعرف كثيرا من الاشياء وكان يعرفها جيدا) صادقة ، صائبة ، وكذلك كلمة (بايسطير) « لقد زود « اونامونو » الادب بثقله الفكري والذهني كعالم وجامعي » (2) . وليتضح كل ذلك نورد كلمة للكاتب الناقد الدكتور (خوسي روخريو سانتس) : « ان الذي لا يمكن نفيه ، من اية وجهة نظر ، هو ان « اونامونو » شخصية مبرزة بين الكتاب الاسبان في القرن الحاضر ، كان شاعرا ، وقاصا ، وكاتبا مسرحيا ، وفيلسوفا ، وناقدا بصيرا ، ولكنه قد يشتط احيانا فيهدم كل ما ينقده ، وعالما لغويا ، وبثقافته الواسعة والعميقة يتبادر الى الذهن اسم « كيبدو » (3) ، فهما يشتركان في مميزات وملامح : ايضا « كيبدو » عانى من « الم اسبانيا » (4) .

اليس من الحق علينا ان نعترف بانه ليس من السهل ، بعد ما قدمنا ، الاحاطة بعالم « اونامونو » الفذ احاطة تامة شاملة ؟ ومع هذا فلنا لقاءات اخرى مع « اونامونو ! .

يتبع

تطوان ـ حسن الوراكلي

---

1) انظر : Gerardo Diego : Poesia espanola contemporanea, pag. 59.

2) انظر كتاب بايسطير : « Panorama de la literatura » ص 150

3) هو فرنثيسكو دي كيبدو (1580 ـ 1645) ، انظر الحلقة الاولى من مقالاتنا « اضواء على الادب الاسباني المعاصر » ـ دعوة الحق ـ العدد 3 ـ السنة الثامنة ـ يناير 1965 .

4) انظر : José Rogerio Sanchez : Sintesis de la literatura espanola, pag. 310

للتربية والتعليم

المؤتمر التاسع والعشرون

البحث التربوي

للأستاذ : عبد اللطيف خالص

(2)

كان تنظيم البحث التربوي اهم موضوع فني ، عكف على دراسته اعضاء المؤتمر الدولي التاسع والعشرين للتعليم العمومي ، فقد شغل المؤتمرين ازيد من يومين ونصف وقدم فيه مختلف المندوبين وجهة نظرهم ، كما عرضوا التجارب التي قاموا بها في هذا الميدان . وقد كانت فرصة طيبة لمقارنة النتائج المثمرة التي توصل لها كثير من المربين .

اصبح البحث التربوي ضرورة ملحة في ميدان التعليم والتربية لسببين اثنين يتعلق اولهما باكتشاف الطرق التربوية الصالحة لتحسين سير التعليم وتحوير مناهجه وتطور اساليبه . ويرتبط ثانيهما بمراقبة الانتاج الحقيقي الذي يعطيه التعليم . واذا كان بعض المربين يستخفون بمثل هذه الابحاث التربوية ويرتابون في قيمتها وفعاليتها ويزعمون بان اكتشاف مثل هذه الطرق التربوية يرجع الى حدس المعلم وميول الاستاذ واستعدادهما المهني فان الواجب يقضي علينا بان ننبه هؤلاء المغفلين الى ان رجل التعليم لا يستطيع ان يؤدي مهمته التربوية على اكمل وجه الا اذا كان ملما بنفسية الاطفال مدركا لمشاعرهم ميالا مع نوازعهم قابضا بزمام عقليتهم . اما من حيث الانتاج الحقيقي فان بعض رجال التربية يذهبون الى ان الوقوف على هذا الانتاج لا يتطلب القيام بهذه العمليات الصعبة وان قيمة هذا الانتاج يمكن ان تؤخذ من نتائج الامتحانات المدرسية .

وقد غاب عن فكر هذه الطبقة من رجال التربية ان انتاج التعليم ينقسم في الحقيقة الى قسمين : انتاج سريع وهو الذي يتجلى في نتائج الامتحانات المدرسية . وانتاج حقيقي وهو الذي يظهر من نتائج الحياة بعد عشر سنوات او عشرين سنة من خروج المتعلم من المدرسة ، ولا يكفي ان نقف على هذا بعد اجراء الامتحانات المدرسية ولو تمت هذه الاختبارات في مدارس تجريبية . ومن الصعب ان نعرف هذا الانتاج الحقيقي الذي يمكن ان يحققه المتعلم بعد خروجه الى معترك الحياة . واذا كان من الممكن التغافل عن هذه الحقيقة في الازمان الغابرة فان من العسير تجاهل ذلك في هذا العصر الذي اصبح فيه التخطيط التربوي بمثابة التخطيط الاقتصادي والذي صار فيه التعليم عبارة عن استثمار رؤوس اموال يتعين تحديد كيفية استغلالها حتى تدر ارباحا هائلة وحتى يظهر ريعها في الانتاج الوطني ، كما يظهر ريع المشاريع الاقتصادية والتجارية والفلاحية والسياحية . وقد ادى هذا الاعتبار الجديد الذي اعطى الى التعليم بالمربين على اختلاف اتجاهاتهم السياسية ونزعاتهم الفكرية الى وضع هذا السؤال وهو : لما ذا يرسل الاباء ابناءهم الى المدارس ؟ ايرسلونهم ليتعلموا ويتوصلوا الى مبتغاهم الشخصي في الحصول على عيشة راضية مرضية ، ام يرسلونهم ليتعلموا ويساهموا ـ بعد تعلمهم ـ في النهوض بامتهم وحثها على التقدم ودفع عجلتها نحو الرقي والازدهار ؟ واذا كان الاباء قد اضطروا لوضع هذا السؤال على انفسهم فان الدولة اضحت ـ بدورها ـ مضطرة للتساؤل عن الغاية من اعداد المدرسة ، فهل الهدف من المدرسة هو النجاح في الامتحانات ام الهدف الاسمى هو تكوين افكار بناءة قادرة على التفكير الذاتي تستطيع الخلق والابداع لا في الميدان الادبي فحسب ولكنها قادرة على الخلق

والابتكار في الميادين التقنية والعلمية والاعمال اليدوية ؟ .

لا ريب ان الغاية من المدرسة هي اعداد المواطن الصالح الذي يستطيع بفضل تربيته وتكوينه ، المساهمة في تطور امته وفتح افاق فكرية وعلمية وتقنية امامها حتى يرتفع مستواها الاجتماعي ويرتقي تفكيرها ولا شك ايضا ، ان غالبية الاباء الذين يرسلون ابناءهم الى المدارس يتمنون لهم النجاح في دراساتهم حتى يحققوا لانفسهم ولابائهم ولامتهم ما يصبو اليه الجميع من رقي وتقدم وازدهار .

فاذا نظرنا الى المدرسة بهذا الاعتبار وجدنا ان الامتحانات لا يمكن ان تكون بمثابة الانتاج الحقيقي الذي نحن بصدد البحث عنه وانما هي عبارة عن انتاج سريع يسمح للتلميذ بالجواز من قسم الى قسم ومن فصل الى فصل ومن طور الى طور دون ان يعطينا اي ايضاح عن الغاية السامية التي نسعى اليها . وقد ذهب الغلو ببعض المربين الى اعتبار الامتحانات بمثابة الداء الاساسي الذي تشكو منه التربية العصرية وتئن تحت وطأته المدرسة الحديثة ، ذلك ان الاختبار اصبح هو الهدف الاسمى من المدرسة الشيء الذي ادى الى تحويل الهدف الحقيقي لهذه الخلية التربوية عن مجراه والى تحطيم الطرق المستعملة حتى الآن . ولعل هذا ما دفع بلجنة « باران » في كنادا (الاقليم الناطق باللغة الفرنسية) الى وضع تقرير يعد من اجمل التقارير التربوية واعمقها وتضمينها فيه اقتراحا لا يخلو من غرابة لانه يدعو الى التخلي عن الامتحانات ونبذ مختلف الاختبارات التي يرى اصحاب التقرير انها تضر بنمو الطفل اكثر مما تنفعه .

لقد اثرت في هذا الموضوع ليكون بمثابة مدخل لتنظيم البحث التربوي لانه يوضح انه لا يمكن تقدير الانتاج الحقيقي للطرق التربوية دون اللجوء الى الابحاث التربوية التي هي المحرك الرئيسي لكل تطور تربوي والوسيلة الوحيدة لكل مراقبة عملية للانتاج الذي يمكن الحصول عليه . فما هي التربية التجريبية ؟ وما هي طرق تنظيمها وتنميتها ؟ ان التربية التجريبية لا تفترق ، في الاقطار الغربية والجمهوريات الشعبية ، عن علم النفس لان المربين في هذه الاقطار يعتبرون ان من غير الممكن تقييم الطرق التي تتعلق بالطفل دون معرفة هذا الطفل، اما في الاقطار الناطقة باللغة الفرنسية كفرنسا وبلجيكا وكنادا(الاقليم الناطق باللغة الفرنسية) فان اراء المربين تنقسم الى قسمين : قسم ينادي اصحابه بوجوب الوحدة المتينة بين البحث التربوي والبحث النفساني وقسم يرجو اشاعة التميز بين البحثين

فاذا كانت التربية التجريبية تريد المحافظة على طابعها كعلم واقعي ينظر الى الاشياء والوقائع دون ان يحاول تفسيرها وتاويلها فمن الطبيعي ان لا يحتاج لعلم النفس لمعرفة هل طريقة القراءة الجماعية خير من الطريقة التحليلية ام لا؟اذا اخذنا الطريقتين من جانب الانتاج السريع ، ان اختبارات التربية التجريبية تمكن من معرفة قدرة الاطفال على القراءة وسرعتهم فيها حسب كل طريقة ، واذا ما تبين لنا ضعف هؤلاء الاطفال في الاملاء ، وكان هذا الضعف ناتجا عن احدى الطريقتين المستعملتين في القراءة والتلاوة فان القيام باختبارات اخرى في الاملاء تمكن من الوقوف على تاثير احداهما في هذا السبيل . ومن البديهي انه لا داعي في كلتا الحالتين للجوء الى علم النفس . اما اذا ارادت التربية التجريبية ان تتعمق في الموضوع وتكتشف اكبر ما يمكن من المعلومات عن الطفل وعن انفعالاته وتفسير الانتاجات التي تتوصل اليها وتاويل فعالية بعض الطرق التربوية بالنسبة للاخرى فان الضرورة العلمية تحتم عليها في هذه الحالة ان تجمع بين البحث التربوي والبحث النفساني وان تلجأ بصفة مستمرة الى علم النفس التربوي . وما التطور الذي عرفه تعليم الرياضيات اليوم الا دليل على قيمة علم النفس التربوي الذي بين ان الطرق العصرية في تلقين الرياضيات اليوم توافق الذكاء التلقائي الذي يتوفر عليه الطفل نعم ليس هناك ما يجبر على اتباع هذه الطريقة او تلك غير ان تطور التربية يحتم استعمال الطريقة الجديدة التي كان من العسير اللجوء اليها منذ ثلاثين سنة لان ذكاء الطفل لم يكن يبلغ الشأو الذي يبلغه اليوم ، وما كان للمربين ان يقفوا على هذه الحقيقة لولا المعونة الموفقة التي اسداها لهم علم النفس التربوي . اما الرياضيات فلن يضيرها ان تواصل تعليمها حسب الطرق القديمة او ان تلقن حسب الطرق الجديدة . ان مهمة

البحث التربوي هي تحديد فعالية الطريقتين وبيان جدواهما وتوضيح اقواهما ملاحية واشدهما ملاءمة لنفسانية الطفل وذكائه وفطرته. افلا يليق بعد هذا كله ان يحظى تنظيم البحث التربوي بالاهتمام الذي يوافق مكانه ويتناسب وما يسديه الى التعليم من خدمات جليلة ومساع نبيلة. فقد غدا المسؤولون عن التعليم والتربية في مختلف الاقطار يأملون ان يسعدهم البحث التربوي على ايجاد الحلول الكفيلة لمواجهة بعض العقبات والصعاب التي تعترض الاساليب التربوية والانظمة التعليمية في طريق نموها وتطورها وتوسعها من حيث الكم والكيف والمظهر والمحتوى والشكل والجوهر كما صار هؤلاء المسؤولون يرون في هذا البحث التربوي الوسيلة الصالحة لتكييف التعليم مع حاجيات اقطارهم الحقيقية وامكانياتها المادية والبشرية. ومع هذا فما زال التعليم يواجه مشاكل عويصة وما زالت الصعوبات تزداد باسا وشدة نظرا لعدم التوفر على عناصر اخبارية واحصائية دقيقة. وما زال المشرفون على شؤون التعليم في بعض البلدان يخبطون خبط عشواء لان المشاكل الجديدة التي يثيرها النمو السريع الذي عرفه التعليم تجاوز دائرة المعلومات التقليدية والتجارب القديمة المألوفة. واذا كان المربون في بعض الاحوال عاجزين عن الوصول الى الحل الملائم لهذه المشاكل، فانهم في حالات اخرى، يعرفون الحلول الملائمة لاحوال اجتماعية وسياسية محددة ولكنهم لا يستطيعون التكهن بمفعولها في ظروف اجتماعية مختلفة وداخل ثقافات متباينة.

ولعل اجلى مثال لهذا الخبط هو ما يحصل اليوم في بعض الاقطار النامية حيث يغادر المدرسة في السنة الابتدائية الرابعة نصف عدد الاطفال الذين دخلوها في السنة الاولى. ومما يلاحظ ان ازيد من نصف عدد هؤلاء الاطفال الذين استطاعوا ان يواصلوا تعليمهم الى السنة الرابعة لم يتوصلوا الى ذلك الا بعد ان كرروا سنتين او سنة على الاقل ان لم يكونوا قد كرروا كل سنة دراسية. ان هذا العامل الغريب يشكل ضياعا هائلا للموارد الاقتصادية للبلاد ولما يتوفر عليه هؤلاء الاطفال وآباؤهم من مواهب ثقافية ونفسانية. وهو يتطلب من رجال التربية دراسة دقيقة واعية قد تؤدي الى وضع طرق تربوية جديدة واساليب تعليمية حديثة للقضاء عليه. ومن الواضح ان اسباب هذا العرض ما زالت لم تعرف بدقة تسمح بايجاد حلول ملائمة لمقاومتها واستئصالها، وهو ميدان في الابحاث فسيح ما زال بكرا وما زال دينا في ذمة المربين ورجال البحث التربوي لن يستطيعوا التحلل منه الا عند تحديد اسبابه وعرض وسائل مكافحته.

ويمكننا ان نأخذ مثالا آخر من الوسائل السمعية البصرية الحديثة وادوات الدعاية من اذاعة وتلفزة وتعليم مضبوط ((Enseignement programmé)). انها ادوات كفيلة بايجاد الحلول لبعض المشاكل التي تواجهها التربية في العالم وتحسين مستوى التعليم والتخفيض من مصاريفه في كل من الاقطار المتقدمة والبلدان النامية. ولكن غالبية المعلومات المستقاة من استعمال هذه الوسائل وفعاليتها في ميدان التعليم وتاثيرها على نفسانية الطفل مبنية على تجارب محدودة اجريت في الاقطار المتقدمة. فالواجب يفرض على رجال التربية الاكباب على دراسة مفعول هذه الوسائل الجديدة وامكانية تطبيقها في سائر الاقطار واحتمال تعميمها في مختلف البلدان. ومن الممكن ان تنطوي هذه الوسائل التقنية الحديثة على حلول تسمح بعلاج الصعاب التي يواجهها المربون اليوم. فمن يا ترى، غير البحث التربوي يضمن لنا الوصول الى نتائج ايجابية في هذا الميدان ؟

اما المثال الثالث فنجده في العلاقات القائمة اليوم بين التخطيط التربوي والتخطيط الاقتصادي هذه العلاقات التي تحتم ان يضمن التعليم، في عصرنا هذا، الاطارات التي تتوقف عليها قطاعات الصناعة والتجارة والفلاحة والسياحة والمهن الحرة التي لا يمكن ان نتغافل عن احصائها داخل هذه القطاعات. ومن البديهي ان التلاميذ اذ انهوا دراستهم في نظام مدرسي معلوم سيتوفرون على المعلومات والكفاءات المطلوبة للاستجابة لحاجيات قطاعات التنمية التي كونوا من اجلها. ولكن غالبية التلاميذ الذين ينهون دراستهم ويخرجون الى معترك الحياة لا يكونون مهيئين لولوج ابواب الحياة والمساهمة في قطاعات التنمية الاقتصادية والاجتماعية ولن يستطيع التعليم ان يستجيب لهذه الحاجيات التي يتطلبها تطور الامة الا اذا طابقت البرامج والتخطيطات المدرسية هذه الحاجيات وتمشت متوازية مع درجاتها وصفوفها

كل هذا يبين لنا ضرورة القيام بتنظيم البحث التربوي وارسائه على قواعد سليمة حتى يستجيب لحاجيات النظم التربوية وحتى تستطيع هذه النظم ان تفي بالحاجيات التي تتطلبها المجتمعات النامية .

يتبين مما تقدم ان تنظيم البحث التربوي امر ضروري بالنسبة لجميع الشعوب التي تسعى لتحسين اساليبها التربوية ونظمها التعليمية لان هذا التنظيم يعتبر بمثابة مرآة تنعكس عليها حياة هذا التعليم بتطوراتها وتقلباتها ومحاسنها ومثالبها . ولن تستطيع امة من الامم ان تحور برامج التعليم فيها بوسائل معقولة وطرق جدية دون ان يصاب هذا التحوير بنكسة تحول مجراه وتفسد الغاية المنشودة من ورائه وتشوه النتائج المتوخاة منه اذا لم تضع لهذا البحث التربوي تنظيما ماديا ومعنويا يجعله في معزل عن التلاعب والازدراء والمحاباة والمقامرة والضغط والتحيز وتعطيه كيانا مستقلا عن اصحاب النفوذ وارباب السياسة الذين قد يوجهونه حسب ميولهم ونزعاتهم السياسية او الانتهازية الفردية وتمنحه وجودا ذاتيا قريبا مما يجري في الاقطار المتقدمة بالنسبة للبحث العلمي المجرد وتعززه بالاعتمادات الضرورية لسيره ونموه وتعضده بالاشخاص الاكفاء الذين يجب ان يكونوا من خيرة المربين الحاصلين على تكوين معين لا يقل عن الاجازة في التربية وعلم النفس وتحميه بتشريعات خاصة تضمن له الهدوء والاستقرار حتى ياتي بالنتائج المفيدة . وقد حاول احد المربين تعداد النسبة السنوية التي يمكن ان تتجلى فيها نتائج البحث التربوي فيقرر ان كل بحث تربوي منظم يحتاج معدل عشر سنوات من الزمان قبل ان تظهر نتائجه في القسم وقاعة الدراسة . ويتضح من هذا ان البحث التربوي في حاجة الى مزيد من الصبر والاتئاد والتلكوء وانه ككل بحث علمي مستقيم لا يقبل التسرع والطفرة والطيش ، ولعل هذا ما يفسر عدم وجود هذا البحث في الاقطار النامية المعروفة بعدم الاستقرار السياسي والمشهورة بالارتجال والخلط في الاختصاصات بينما نراه منتشرا متقدما ناجحا في الاقطار المتقدمة سواء كانت هذه الاقطار منتسبة الى المعسكر الغربي او المعسكر الشرقي او كانت دولا تعيش في حياد حقيقي غير مزيف .

وما دامت الشعوب المتقدمة منها والنامية تصرف اموالا باهظة على التعليم وتخصص اعتمادات ضخمة للتربية فلماذا لا يخصص من هذه الميزانية مبلغ يصرف على شؤون البحث التربوي خصوصا والكل اضحى يشعر بعواقب هذا البحث الطيبة على التعليم والتربية اجلها على الاطلاق خصوصا وان هذا البحث يساعد على استعمال هذه الاعتمادات والاموال بكيفية احسن وادق من استقلالها دون الاعتماد عليه ؟

ان الولايات المتحدة الامريكية والاتحاد السوفياتي تخصصان اعتمادات عظيمة للابحاث الفضائية والعلمية كما تخصص سائر الاقطار المتقدمة الاخرى ما بين واحد ونصف واثنين في المائة من انتاجها الوطني الخام لتطور العلوم والصناعة ، وان من هذه الاقطار من يصرف ما بين 3ر5 و 6ر5 في المائة من انتاجها الوطني الخام لجميع قطاعات التربية التي يدخل ضمنها البحث التربوي وتطور التعليم .

لقد تجلى من احصائية نشرتها المنظمة العالمية للتربية والثقافة والعلم (اليونيسكو) ان جميع دول افريقيا وامريكا اللاتينية واسيا سيتعين عليها ان تقبل ازيد من اثنين وخمسين مليونا من الاطفال في مدارسها الابتدائية واكثر من خمسة عشر مليونا من التلاميذ الجدد في مؤسستها التعليمية الثانوية ، وما يقرب من مليون ونصف من الطلبة في جامعاتها وكليتها ومعاهدها العليا . فاذا اعدت هذه الامم لمواجهة هذا السيل العرم من البشر ؟ ايعقل ان تظل الطرق التربوية التقليدية مسيطرة على عقلية المسؤولين عن التربية والتعليم ام ان التطور الذي عرفه العصر يحتم تغيير هذه الاساليب وابدالها بطرق تربوية جديدة؟ ان الواقع يؤكد انه لا سبيل الى مواجهة حاجيات الشعوب في ميدان التعليم والتربية الا بالتفكير الجدي في طرق حديثة ملائمة لعقلية هذا القرن وفي اساليب عصرية تتفق وتطور الفكر البشري . وهل يتسنى الوصول الى هذه الطرق وهذه الاساليب بغير بحث تربوي سليم يبين الغث من السمين والخبيث من الطيب ؟ ذلك ما تساءل عنه اعضاء المؤتمر الدولي التاسع والعشرين للتعليم العمومي . فما هي توصياته في هذا الميدان ؟ وما هي مقترحاته الايجابية في هذا المضمار ؟ ذلك ما سأعمل على توضيحه في صفحات مقبلة بحول الله

الرباط — عبد اللطيف احمد خالص



للأستاذ محمد بن عبد العزيز الدباغ

(4)

18) لقد كان الشعراء في الجاهلية يبدأون قصائد المدح والفخر غالبا بذكر الاطلال والبكاء على الآثار والتفجع على فقدان حبيب والتحسر على انقضاء زمن مضى كان سعادة للنفس ونعمة للفرد يثيرون بذلك اشجان السامعين ويستميلونهم حتى اذا بلغوا المقصود وجدوا الآذان مصغية والنفوس مهيأة لاستيعاب تلك القصائد ميسرة للتأثر بمعانيها وصورها وما تهدف اليه ولكن بعض الشعراء المولدين حاولوا الثورة على هاته الظاهرة التقليدية فلم يستطيعوا استئصالها وازاحتها نهائيا

وبلغ الشعر العربي الى بلاد الاندلس فوجد ارضا خصبة وجمالا فياضا وعيشا رغيدا واستمتاعا متواصلا واحداثا مختلفة فلم يستطع الشعراء ان ينعزلوا عن المشاركة في التعبير عن خواطرهم سواء كانوا من العرب الذين قدموا الى الاندلس او من الاندلسيين الذين نشأوا في احضان الحضارة العربية الجديدة واصبح لهم فضل يوازي ما كان لشعراء المشرق واحتدم التنافس بين هؤلاء واولئك

ووفق شعراء الاندلس في وصف الطبيعة بجميع مظاهرها وتنوعت اساليبهم في وصف الربيع بأزهاره وانواره ووسميه ونسيمه وامتزجوا بالطبيعة امتزاج الزهر باريجه ، وجعلوا وصف الربيع مدخلا لمدائحهم يتخلصون منه الى مقصودهم خصوصا بعد ايام العامريين الذين كانوا يغدقون العطاء على من يبدع في وصف الربيع والازهار واصبح الشعراء الاندلسيون يبحثون عن الشعراء الشرقيين الذين اشتهروا بوصف الطبيعة كابن الرومي والصنوبري فيعارضونهم احيانا ويقلدونهم احيانا اخرى بل كانوا يحاولون التغلب عليهم بما يخلقونه من صور وبما يبدعونه من بيان

ومن الجدير بالذكر ان النثر الفني في الاندلس في اواخر القرن الرابع الهجري واوائل القرن الخامس اصبح بدوره معبرا عن اهتزازات النفس حين تأثرها بمحاسن الطبيعة الجميلة الراقصة التي كانت تزداد حسنا وجمالا كلما اضفت عليها النفوس المرحة المتفائلة صورا حية تعتمد على الشعور الصادق والخيال الرائع والتصوير البديع والتعبير الانيق

وشعر الاندلسيون بمقدار عنايتهم بهذا الجانب الفني في وصف الطبيعة فاعتزوا به وتفاخروا بطابعه الجذاب فما شئت من شعر جميل ونثر بديع ومحاورات ومناظرات بين الازاهير ومفاخرات بين الورود واصبح ادب الطبيعة شبيها بالادب الديواني احيانا بحيث تجد المبايعات تعقد للورود (1) وقد تنقض كالمبايعات التي

---

1) من هذه المفاضلات رسالة كتبها ابو حفص احمد بن برد وصف فيها نواوير خمسة وقع الاتفاق بينها على مبايعة الورد ثم رسالة اخرى في الرد على ما وصل اليه ابن برد وتفضيل البهار على الورد وهي من انشاء ابي الوليد اسماعيل بن محمد بن عامر الحميري واظهر فيها توبة الازهار التي بايعت الورد خطأ ثم رجوعها الى طريق الصواب . والرسالتان معا موجودتان بكتاب البديع في وصف الربيع من صفحة 53 الى صفحة 70 .

تقدم للملوك احيانا وقد الف ابو الوليد الحميري كتابا خاصا في وصف الربيع يعد من اجمل الكتب الادبية الناطقة بمنهاج الادباء الاندلسيين في القرن الخامس الهجري.

وابو الوليد هذا هو اسماعيل بن محمد بن عامر ابن حبيب الكاتب الاشبيلي الذي تربى في احضان عباد وابنه ايام مجدهما وتأسيس دولتهما التي لعبت دورا عظيما في تاريخ ملوك الطوائف بالاندلس وقد خصهما بمديحه وقدم اليهما الكتاب الذي الفه في فضل الربيع ، وقد اشتهر بحسن بيانه وسرعة بديهته وجمال تعبيره ، كما اشتهر برقة عاطفته ودقة احساسه ورفاهية عيشه ، ولقد نبغ في عنفوان شبابه ولكنه قضى وهو في الثانية والعشرين فانطفأت بذلك شعلة وهي ما زالت في جذوتها وضاعت عبقرية وهي ما زالت في ابان انتاجها.

كان ابو الوليد هذا معتزا اكبر الاعتزاز بالادب الاندلسي يفتخر به في المحافل ويراه احق بالتدوين من غيره لذلك نراه يقول في مقدمة كتابه الموسوم « بالبديع في وصف الربيع » : (2)

« وفصل الربيع آرج وابهج وانس وانفس وابدع وارفع من ان احد حسن ذاته واعد بديع صفاته وحسبي بما يعلم الكل منها ويخبر به الجميع عنها شهيدا لما نقلته ودليلا على ما قلته وهو مع هذه الصفات الرائعة والسمات الشائقة والالات الفائقة لم يعن بتأليفه احد ولا انفرد لتصنيفه منفرد . فلما رأيت ذلك جمعت هذا الكتاب مضمنا ذلك الباب ولست اودعه الا ما اذكر لاهل الاندلس خاصة في هذا المعنى اذ اوصافهم لم تكرر على الاسماع ولاكثر امتزاجها بالطباع فتردها شفة وترودها تيقة وانما ذلك لتضييع اهل بلدهم لاكثرها وغفلتهم عن جلها انكارا لفضلها مدة بقاء اهلها فاذا انقرضوا تأسفوا بقدر ما كانوا تسفوا وحينئذ لا يجدون الا قليلا يغيب في كثيرها وثمادا يفيض عند بحورها ولعمري ان هذه العلة مما صححت استغرابها واكدت استحسانها واستعذابها.

واما اشعار المشرق فقد كثر الوقوف عليها والنظر اليها حتى ما تميل نحوها النفوس ولا يروقها منه العلق النفيس مع اني استغني عنها ولا احوج اليها بما اذكر للاندلسيين من النثر المبتدع والنظم المخترع ، واكثر ذلك لأهل عصري اذ لم تغب نوادرهم عن ذكري »

ثم قال بعد ان قارن بين الاندلسيين والشرقيين في وصف الطبيعة وفضل شعراء الاندلس على الاخرين (3): وقد سبقوا في احسن المعاني مجتلى واطيبها مجتنى وهو الباب الذي تضمنه هذا الكتاب فلهم فيه من الاختراع الفائق والابتداع الرائق وحسن التمثيل والتشبيه ما لا يقوم اولئك مقامهم فيه » .

وان هذا الكتاب الذي تحدثنا عنه ليعتبر عند مؤرخي الاداب المرجع المعتمد عليه في التعريف بادب مؤلفه وتسجيل آثاره الشعرية والنثرية بحيث ما نجده في كتاب « بغية الملتمس » للضبي او في كتاب « التكملة » لابن الابار ، او في كتاب « الذخيرة » لابن بسام نحو حياة هذا الاديب انما هو ماخوذ من هذا الكتاب القيم الذي يعد تحفة خالدة في وصف الربيع والابداع في تصوير محاسنه.

وقد اعتنى بنشر هذا الكتاب الاستاذ هنري بيرس (Henri Pérès) سنة 1940 م حينما كان استاذا بجامعة الجزائر تحت اشراف معهد العلوم العليا المغربية الذي كان ينشر مطبوعات قيمة احيا بها تراث الادب المغربي والاندلسي واعتمد في تصحيحه على النسخة الوحيدة الموجودة بمكتبة الاسكوريال.

الكتاب نشر باسم « البديع في وصف الربيع » قال ابن الابار (4) في سياق ترجمة ابي الوليد : « وله في فصل الربيع تاليف ترجمه بالبديع افاد به ولم يورد فيه لغير شعراء الاندلس شيئا » .

---

2) البديع في وصف الربيع الصفحة الاولى

3) نفس المصدر ، الصفحة الثالثة

4) هو ابو عبد الله محمد بن ابي بكر القضاعي البلنسي المعروف بابن الابار المتوفى سنة 659 هـ . والنص من كتابه الموسوم بالتكملة لكتاب الصلة . ص 180

وانما تحدثنا عن هذا الكتاب لان كلا من الحموي والحميدي لم يذكر الاسم الخاص الذي اطلق عليه مع ان ترجمة الكتاب بالبديع كانت مقصودة للاشعار بدقة الوصف وجمال التعبير وقوة الخيال فيما يقدمه في كتابه ، هذا ثم لان كلا من المؤلفين لم يقدم وصفا شافيا لهذا الكتاب رغم طرافته ورغم اتجاهه الخاص في الاختيار للاندلسيين دون غيرهم ، وهذا امر يجب التنبيه اليــــه .

وايضا فان الحموي قال في سياق ترجمة ابي الوليد هذا (5) ! « وله كتاب في فضل الربيع » (بالضاد المعجمة) في حين ان الحميدي في كتاب الجذوة (6) قال عنه : « وقد جمع كتابا في فصل الربيع » (بالصاد المهملة) . ورغم صلاحية الوصفين معا ـ اذ لا ضرر من هذا التحريف الموجود بين الصاد المهملة والضاد المعجمة ـ فان التنبيه على الاصل واجب يفرضه علينا البحث الادبي (7) .

19) لقد تحدثنا عن كتاب البديع في وصف الربيع في الملاحظة السابقة وذكرنا اسم مؤلفه على الترتيب الذي ذكره الحميدي في الجذوة والحموي في معجم الادباء فهو اسماعيل بن محمد بن عامر بن حبيب .

وان هذا الترتيب في ذكر اسماء آباء الحميري موافق لما عند الضبي في بغية الملتمس ولكنه مخالف لما عند ابن الابار الذي ذكر ان عامرا ليس جد ابي الوليد وانما هو جد لابيه . اما ابو الوليد فله جد اسمه احمد لذا جاء الترتيب في كتاب التكملة على الشكل الاتي : اسماعيل بن محمد بن احمد بن عامر الحميري .

ولا ندري هل ما عند ابن الابار هو الصواب وان عدم وجود احمد عند المؤلفين الاخرين انما كان غفلة من مصدر اعتمدوا عليه اسقط هذا العلم نسيانا فاستمر الخطأ على الباقين او كان الخطا راجعا الى ناسخ اهمل ذكر احمد فتوالت الاخطاء على الناسخين من بعده ، او انما الخطأ يرجع الى ابن الابار نفسه او الى ناسخ لكتابه فزاد احمد دون ان يكون له وجود ؟ !

ولقد قال ابن الابار بعد ذكر نسبه : « ويلقب ابوه بحبيب .

فنحن اذن حينما نقرأ الكتب التي ترجمت لهذا الاديب العبقري نجد بعض التخالف بين اجزائها :

فهو حينا اسماعيل بن محمد بن احمد بن عامر .

وطورا اسماعيل بن محمد بن عامر .

وآونة اسماعيل بن حبيب ، كما في كتاب نفح الطيــــب .

وحينا اخر اسماعيل بن عامر مباشرة دون ذكر والده كما في دفة الكتاب المطبوع الذي نشره « هنري بيرس » .

وهذا التخالف مضر بالجانب الادبي في معرفة اعلام كان لهم اثر في حضارتنا ، وقد يتسبب في خلط وايهام وتحريف لحقائق تاريخية ، وقد يجرنا الى ان نترجم للشخص مرتين باسمين مختلفين دون ان نميز ذلك كما وقع احيانا للحموي نفسه في كتاب المعجم .

ان من المشاكل العامة التي تحدث عند تصحيح الاعلام في الكتب الادبية العربية ، هذا الاكتفاء الذي يقع في ترجمة بعض الافراد فيستغنى بكنيتهم احيانا عن اسمهم او يستغنى بلقبهم عن غيره ويتعدد ذلك فيعرف الشخص عند جماعة بكنيته . وعند طائفة اخرى باسمه او لقبه وقد لا يتصور القارىء ان هذا الذي تتحدث عنه بهذا الاسم هو نفس الشخص المتحدث عنه بالصيغة الاخرى لذلك كان من الواجب التنبيه عن الالقاب والكنى في المكان المناسب حتى لا يقع اي التباس على القراء وقد تحدثت الدكتورة بنت الشاطىء عند تصحيحها لرسالة الغفران عن الصعوبات التي لقيتها في تصحيح اوضاع الاعلام لذلك ارى من الاولى اذا امكن للعلماء المهتمين بنشر الكتب العربية القديمة ان يعرفوا بالشخص تعريفا يضم جميع ما يتصل به حسب الامكان في سند النسب ، وان يذكروا بعض خاصياته اذا اشتهر بجد من اجداده كاحمد بن فرج الجياني واحمد بن عبد ربه ،

5) معجم الادباء . الجزء السابع ، صفحة 43 .

6) جذوة المقتبس . للحميدي . صفحة 152 .

7) الكتاب سماه المقري في نفح الطيب : « البديع في فصل الربيع . الجزء الرابع صفحة 394 .

مع ان كلا الاديبين اسقط فيها استهرابه اسم محمد ، فالجياني هو احمد بن محمد بن فرج وابن عبد ربه هو احمد بن محمد بن عبد ربه .

ولهذا نلاحظ الان ان كتب التراجم يكمل بعضها بعضا للبلوغ الى الغاية التي تتوخاها ، فلولا ذكر لقب والد المترجم له في كتاب ابن الابار لعسر علينا ان نوافق بينه وبين ما في كتاب نفح الطيب .

مما تقدم يتبين لدينا ان نسب الحميري قد وقع فيه خلاف كثير ولعل الاقرب الى الشيوع هو ما وافق كتاب الجذوة وكتاب المعجم اللذين تتحدث عنهما .

20) لقد اختار الحموي قطعة شعرية صغيرة لابي الوليد اسماعيل بن محمد بن عامر الحميري وهي نفس القطعة الموجودة في كتاب الجذوة فقال :

ومن شعره في الربيع :

ابشر فقد سفر الثرى عن بشره
واتاك ينشر ما طوى من نشره

متحصنا من حسنه في معقل
عقل العيون على رعاية زهره

فض الربيع ختامه فبدا لنا
ما كان من سرائه في سره

من بعد ما سحب السحاب ذيوله
فيه ودر عليه انفس دره (8)

فاشكر لآذار بدائع ما ترى
من حسن منظره النضير وخبره (9)

شهر كان الحاجب ابن محمد
القى عليه مسحة من بشره

الى هنا انتهى ما اختاره الحموي من هاته القطعة اما تتمتها فقول الشاعر (10) :

ملك تملك رقنا بمكارم
جعلت له غفر النجوم كعفره (11)

لا زال خطب زمانه في اسره
فلقد رايت به هواي بأسره

لقد قلنا من قبل ان كتاب البديع معتمد المؤرخين في التعريف بابي الوليد ، لذا نجد جل ما ينتخبونه يرجع الى هذا المؤلف البديع في بابه ، وقد كان الادباء يستدلون كثيرا بما انتجته هاته القريحة المصقولة التي منحها الله قوة فادركت قبل سن البلوغ وابدعت في عنفوان الشباب ، فقد قال المقري في نفح الطيب عند تحدثه عن هذا الاديب : « انه كان وهو ابن سبع عشرة سنة ينظم النظم الفائق وينثر النثر الرائق ، وابو جعفر ابن الابار هو الذي صقل مرآته واقام قناته واطلعه شهابا ثاقبا وسلك به الى فنون الاداب طريقا لاحبا » .

وهذه القطعة ماخوذة من الفصل الاول في كتابه لانه جزأه الى ثلاثة فصول ، فجعل الفصل الاول للقطع العامة التي تتحدث عن الربيع دون ان تخصص حديثها عن نور بعينه ، واما الفصل الثاني فقد خصه للقطع التي تتحدث عن نورين فاكثر ، واما الفصل الثالث فقد قصره على القطع التي اختصت بذكر نوع معين من الازهار والورود .

وهذه القطعة الربيعية من القطع التي استعملت مدخلا للمديح وقد جمع فيها الشاعر بين جمال المعنى وبين التانق في التعبير حيث استخدم فيها بعض انواع البديع واكثر فيها من الجناس على اختلاف مظاهره فهو قد بين فيها ان الارض قد اخضرت واشتق ترابها ليبرز ما فيه من حسن مكنون وشذى ينشر بين الارجاء ، كما ذكر ان هذه الارض المخضرة التي اثرت الازهار بين اجزائها لا تخشى ان تداس لانها في معقل حصين اكتسبته من جمالها الذي يعقل العيون على رعاية

---

8) هذه القطعة توجد بكتاب البديع ولقد اسقط منها في كتاب الجذوة وفي كتاب المعجم بعض الابيات سننبه عليها . من ذلك قوله بعد هذا البيت :

فأجل جفونك فيه تجل صدا بها لولا ابراء جماله لم تبره

9) هذا البيت لا يوجد في معجم الادباء وانما يوجد في الجذوة فقط .

10) البديع في وصف الربيع . صفحة 26 .

11) الغفر نجم والعفر التراب بمعنى انه باحسانه ملك الاقربين والابعدين وملك كل الطبقات .

الازهـار ، وفي هـذا البيـت دليـل على جمـال ذوق الاندلسيين وحسن تربيتهم فهم يقدرون الجمال ويحسون بضرورته فلا يدوسونه ولا يخنقون روحه. انهم يعتبرون الجمال ملكا مشاعا لا يجوز لأحد ان يستبـد بـه دون غيره . لذا وجب ان يظل جمال الربيع ميسـرا لكـل الرائين مهيئا لكل المتمتعين واكبر حماية لهذا الربيع من الاذواء والفناء جماله الجذاب الذي يشل كل حركة تعود عليه بالضرر ويسحر كل من ينظر اليه فيطأطيء له خاضعا متعجبا .

ولقد تخيل الشاعر بعد ذلك السحاب وهو يحمل في ذيوله جواهر فالقاها على الارض فانتثرت ولمعت في كل مكان .

وهنا نرى الربط بين الجواهر اللامعة والازهار المتلألئة ثم بعد ذلك ينتقل الى المـدح ويربـط بين بشر الربيع وبين بشر الملك الممدوح ، ولكنه يجعـل هذه الصفة في المشبه اقوى منها في المشبه به فيكون التشبيه مقلوبا وهو عنـد من يحسن استعمالـه يكون بـه الاداء اقوى من التشبيه العادي فاسمعه يقول :

شهـر كأن الحاجـب بن محمـد
القـى عليـه مسحـة مـن بشـره

ومن الطريف ان انبه الى ان لفظة مسحة في هذا البيت وردت في كتاب البديع مشكولـة بفتـح الميم في حين ان مصحـح كتـاب الحموي شكلها بكسر الميـم ومصحـح كتاب الجذوة شكلها بضم الميم فقـد وردت مثلثة الحركة ولم ينبه احد من المصححين لهذه الكتب الثلاثة الدافع الذي دفعه الى ترجيح صيغة على اخرى ولعل اقرب هذه الصور الى الصواب ما جـاء في كتاب البديع لان المسحة كما في كتب اللغة الاثـر الخفيف الذي يبقى من المسح ومنه قولهم عليه مسحة من جمال، اما ما سار عليه كل من مصحح الجذوة ومصحح المعجم فلا ادري لهما وجها ، وقد بحثت في كتب اللغة التـي تهتم بهذا الاتجاه اللغوي فلم اهتد الى تعليل معقول .

ولم يذكر ابن مالك من مثلث الكلمات في هذا الا المسح الخالي من التاء (12) . لعـل التعريـف بهـذا الاديب سيكون دافعـا الى البحث عن كتـاب البديـع للاطلاع على محتواه فنرتبط شعوريا بحقبة من تاريخنا كان النبوغ فيها طابعا يميزها عن غيرها

وما احوجنا الى من يذكي فينا روح النبوغ لنضيف الى سلسلة حضارتنا شيئا جديدا .

فخيـر النـاس ذو حسـب قديـم
اقـام لنفســه حسبــا جديـــدا

ورحم الله المتنبي الذي يقول :

ولـم ار في عيـوب النـاس شيئـا
كنقـص القادريـن على التمـام

فـاس ـ محمد بن عبد العزيز الدباغ

---

12) انظر الاعلام بمثلث الكلام للامام اللغوي محمد بن عبد الله بن مالك النحوي الاندلسي نزيـل دمشـق المتوفى سنة 672 هـ . الطبعة الاولى . صفحة 186 .



ان مشكلة المصطلحات العلمية وتوحيدها، وتعريبها في البلاد العربية من ابرز المشكلات التي تشغل بال المكتب الدائم للتعريب ، والمجامع اللغوية والهيئات العلمية العربية .

وحرصا من المكتب الدائم للتعريب التابع لجامعة الدول العربية على القيام بمهمته في تتبع ابحاث العلماء والافراد العلميين والمجامع والهيئات والجامعات العربية، يود حصر الاراء والنظريات في مختلف المشاكل اللغوية العربية عن طريق استفتاء عام لرجال العلم والمعرفة العرب والاجانب اذ بعث بالرسالة الثالثة الى معظم رجال اللغة والاستشراق في العالم يستفسرهم عن ارائهم في مشاكل اللغة العربية .

وتعميما للفائدة ولحصر اراء ونظريات مختلف المهتمين بهذا الموضوع العام ، تنشر مجلة دعوة الحق هذه الرسالة من جديد على مختلف المثقفين ، والاساتذة الجامعيين الذين لم يتمكن المكتب الدائم للتعريب من اسمائهم او عناونهم ، راجيا منهم جميعا ان لا يبخلوا عنه بارائهم واجوبتهم .

ويود المكتب الدائم للتعريب (22 شارع المرابطين ـ الرباط) ان يتوصل بالاجوبة في اقرب وقت ممكن

وها هو نص الرسالة :

* * *

تحية طيبة ، وبعد

تعلم سيادتكم ان اهم المواضيع التي تشغل العالم العربي منذ بداية القرن التاسع عشر الى الان مشكلة ايجاد التعابير والمصطلحات المناسبة للكشوف الحضارية التي غزت العالم مع حضارة البخار ، والصناعة سواء منها المصطلحات المتعلقة بالالة ، والعلم ، او المتعلقة بالفكر الاديولوجي والفلسفي .

وبالرغم من الذخيرة اللغوية العربية التي تفوق بغناها اية لغة سامية اخرى اذ ان المعجم العربي يعتبر حتى الان من اضخم المعاجم العالمية . واغناها الفاظا ومصطلحات قادرة على التصعيد والتوليد ، والاشتقاق والابدال ، فان المجهودات الفردية وكذا مجهودات المجامع اللغوية والهيئات العلمية العربية في حقل المصطلح العلمي العربي ، وموازنته مع معطيات الحضارة الحديثة ما زالت في الحقيقة محدودة ومحصورة في نطاق اقليمي صرف .

كما تعلم سيادتكم ان عمل المكتب الدائم لتنسيق التعريب في العالم العربي لا ينحصر في تنسيق اعمال المجامع اللغوية ، والهيئات العلمية العربية فحسب بل يتعدى ذلك الى تتبع ابحاث العلماء والافراد العلميين، والاساتذة الجامعيين وخاصة منها ما يتصل بحياة المصطلح العلمي وتطوره ، او ما يتصل بمشاكل اللغة العربية على الصعيدين العربي والعالمي .

ومن خلال قيام المكتب الدائم لتنسيق التعريب في العالم العربي بهذه المهمة تبين له ان هنالك وجهات نظر مختلفة وتضارب في معالجة مشكلة المصطلح العلمي العربي بين المجامع ، والهيئات العلمية والافراد العلميين ، وكذا الاساتذة الجامعيين، كما لمس التناقض الموجود في البلاد العربية في معالجة مختلف القضايا اللغوية العربية .

ومجلة (اللسان العربي) التي تصدر عن المكتب الدائم ومختلف اجهزتـه الاعلاميـة في نطاق مهمتهـا العلمية تود حصر وجهات النظر العربية ، والاجنبية في مختلف المشاكل التي تتخبط فيها اللغة العربية ، والتي تعترض سيرها وشموليتها في المعاهد والجامعات العربية والدولية ، وذلك عن طريق اجراء استفتاء عام بين رجال العلم والمعرفة العرب والمختصين بقضايا اللغة العربية ، والتعرب والمستشرقين واساتـذة العلـوم في الجامعات العالميـــة .

لقد ظـل العـرب قرونا طويلـة يحملـون مشعل الحضارة وحدهم على الكرة الارضية اذ كانوا يزاولون الكلمة وقدسيتها ، فخلقوا التعابير والمصطلحات لكل علم وفن . وصهروا اللغة العربية ، وصقلوها باجتهادهـــم ونضالهم من اجل حياة احسن للانسانية ، فنود عن طريق هذا الاستفتاء ان نتمكن من الحصول على نتائج تربطنا بذلك الماضي المجيد ، وتنير امامنا طريق المستقبـــل الباســـم .

فرجاؤنا ان تتمكن من المشاركة في هذا الاستفتاء باجابتنا عن الاسئلة اسفله في اقرب وقت ممكن لما نعهده فيكم من كفاءة واطـلاع واسـع على مختلف القضايـا اللغوية العربية .

س 1 ـ ماهي في نظركم اهـم المشاكل التـي تعترض سير اللغة العربية والتي تحد من انتشارها بسرعة في العالم ؟

س 2 ـ اذا كانت هنالك مشاكل تعترض سيـر اللغة العربية فما هي انجـع الحلـول فـي نظركـــم ؟

س 3 ـ هـل تصلـح اللغة العربيـة للتدريس الجامعـــي ؟

س 4 ـ واذا كانـت اللغـة العربيـة صالحـة للتدريس والبحث الجامعي ما هـي المشاكل التي تعترض الاساتذة؟وما هي الحلول في نظركم ؟

س 5 ـ المصطلـح العلمـي يشكـل في نظـر الكثيرين اهـم مشكلة تعـترض نمـو اللغة العربية ، فكيف للعالم العربـي ان يتخلص من هذه المشكلة ؟

وانهي الى كريـم علمكـم ان دائـرة الملحـق الصحفي للمكتب الدائم للتعريـب ستعمـل عند توصلها بهذه الاجوبة ، على اذاعتها ببرنامجها الاذاعي (حركة التعريب بالعالم العربي) المذاع كل يوم خميس باذاعة المغرب قبل نشره بمجلة (اللسان العربي) ، او توزيعه على الصحافة العربية .

وفي انتظار جوابكم تفضلوا بقبول تحياتنا . والسلام

* * *

هذا ، ونخبر قراءنا الاعزاء ان المكتب الدائم بدأ يتوصل باجوبة الاساتذة والمفكرين العرب تلك الاجوبة العلمية التـي من شأنهـا ان تساعـد الهيئات اللغويـة العربية ، وفي مقدمتها المكتب الدائم المكلف بتنسيق مختلف اعمال المجامع والهيئات العلمية اللغوية العربية على حصر المشاكـل التي تعترض سير اللغة العربيـة على الصعيدين التعلمي والعلمي ، حتى يتسنى له البحث لها عن الحلول المناسبـة التي سيدعـم حركـة الفكـر العربي المعاصر .

وبالمناسبة فان دعوة الحق ستختص بنشـر بعض اجوبة هذا الاستفتاء الكبير مساهمة منها في بلورة قضايا اللغة العربية الخالدة .

وهذا نص جواب الاستاذ الدكتور صفاء خلوصي ، استاذ محاضر بكلية التربية ببغداد وكما يعلم قراء لغة الضاد ، فان الاستاذ خلوصي من ابـرز رجالات العلـم العرب اذ اغنى المكتبـة العربيـة بمؤلفات ودراسات كثيرة في ميدان التربية وعلم النفس .

* * *

س : 1 **ما هي في نظركم أهم المشكلات التي تعترض سير اللغة العربية وتحد من انتشارها بسرعة في العالـــم ؟**

ج : اللغة رهينة بالاوضاع السياسية فمتى ما كانـت الامة قوية عظيمة متحدة زاد الاقبال على لغتها وادبها ، فالمشكلة الاولى مشكلة سياسية ، اما المشكلة الثانية فتتعلق بعـدم الرعاية للغتنـا

وادبنا ، ففي فترة قصيرة استطاع اليهود احياء اللغة العبرية الميتة وبعثها من جديد ، فاخذت تنافس لغتنا التي ازدهرت عبر عصور طوال سحيقة ، وذلك في الكليات والجامعات الدورية والامريكية التي تقوم بتدريس اللغات الشرقية وفي مراكز تدريس الادب المقارن في شتى ارجاء العالم ، ولقد كان بامكاننا ان نفتح مدارس لتدريس العربية في مختلف بقاع الدنيا لنشر الثقافة العربية على نحو ما يفعل المجلس الثقافي البريطاني .

والموءسسات الثقافية الفرنسية والروسية مثلا، وقد مرت فترة كانت فيها الباكستان تفكر في جعل اللغة العربية لغة البلاد الرسمية لانها لغة الدين الاسلامي الذي قامت على اساسه دولتهم فلم نحرك ساكنا ولم نقدم يد المعونة والتشجيع فافلتت الفرصة من ايدينا .

اما الحروف العربية فليست مشكلة على ما يزعم كثير من المتطمين المثلين بالقشور ، بل انني اعتقد ان الحروف العربية يجب ان تكون سببا مهما من اسباب انتشار اللغة العربية ، وذلك لجمالها وفرط اعجاب الاروبي بها وكونها ضربا من ضروب الاختزال الذي يمثل على تعلمه الكثيرون في بلاد الغرب .

ان الرعاية الادبية هي وحدها التي تنقصنا ان موءسساتنا الثقافية في الخارج فهي الكثير من سفاراتنا العربية مع الاسف ضعيفة في تمثيلها للبلاد العربية سياسيا وثقافيا على حد سواء ، وقد ان للجامعة العربية ان تعيد النظر في هذا الامر فليست هذه النفقات الطائلة التي تبذلها الدول العربية من العملات الاجنبية الصعبة وغير الصعبة تنفق على سفارة ثقافية عربية نشطة واحدة في اوربا واخرى في اوربا على ان توءلف من عناصر كفوءة لا تعنى على اسس غير اسس الجدارة والاستحقاق .

س : 2 اذا كانت هناك مشكلات تعترض سير اللغة العربية فما هي انجع الحلول فى نظركم ؟

ج : اعتقد انني اجبت في السوءال الاول على جانب من هذا السوءال ، ولكنني اضيف هنا الى ما ذكرت ان من جملة المشكلات التي تعترض سير العربية هي مشكلة تعقيد « النحو العربي » الذي يثبط عزيمة الكثيرين من المبتدئين ـ ولا سيما الاروبي ـ الذين يحاولون تعلم العربية ، وقد قمت شخصيا بوسع طريقة جديدة لهذه المعضلة في ما اسميته « بالنحو المنطقي » الذي تشرف خلاصة خطوطه العريضة في مجلة « الاستاذ » التي تصدرها كلية التربية بجامعة بغداد ، وانا مرفق طيا مثلا منها ليكون موضع عناية المكتب الثقافي للجامعة العربية ، وبوسعي ان اضع كتبا جديدة في النحو العربي على الاسس المذكورة في المقال ، لنشرها في العالم اجمع لتكون في متناول العرب وغير العرب ممن يرومون ان يمرنوا شفاههم على موسيقى اللغة العربية الساحرة ، وبامكاننا ان نترجم كتب النحو المنطقي هذه الى شتى لغات العالم لكيلا تبقى حجة لاولئك الذين يقولون بانهم يحجبون عن تعلم العربية لصعوبة قواعد لغتها .

س : 3 هل تصلح اللغة العربية للتدريس الجامعي ؟

ج : نعم ، وقد مارست التدريس بها ربع قرن في جامعة لندن وبغداد فلم اجد مصاعب ذات بال تعترض سبيلي ، ولم اجد فكرة عبرت عنها بلغة اجنبية وعجزت العربية عن التعبير بها بنفس المرونة والقوة ، فاللغة العربية مطواعة دقيقة وهي في نظري لا تقل دقة عن الفرنسية ، اللغة التي يعتبرها فريق من العلماء ادق واضبط لغة في الدنيا ، كل ما في الامر وجوب اعادة النظر في معاجمنا وقواميسنا وكتابتها في اسلوب عصري جديد واستكمال نواقصها واخراجها من قالبها الكلاسيكي الذي لم تعد له ضرورة بعد ان انتقلت اللغة العربية من لغة الشعر البحث الى لغة تجمع بين الشعر والنثر معا ، فلا لزوم لجعل القواميس على طريقة القوافي التي لا تنفع غير الشعراء وتعقد الامور بلا طائل .

س : 4 اذا كانت اللغة العربية صالحة للتدريس والبحث الجامعي ، ما هي المشكلات التي تعترض الاساتذة وما هي الحلول في نظركم ؟

ج : انها صالحة للتدريس والبحث الجامعي كما قلت اما المشكلات التي تعترض الاساتذة فاهمها مشكلة عدم لحاق المترجمين بنقل الكتب الاوربية الحديثة الى العربية بينها ليحدث تفاعل آني بين الفكر العربي والاوربي وليعطي نتاجا جديدا ، ثم ان الاهتمام باصدار معاجم للمصطلحات العلمية تتفق عليها في جميع البلاد العربية يكاد يكون معدوما او في حكم المعدوم ، والى ذلك فان الكتب الجامعية العربية ليست بنفس الوفرة كالكتب الجامعية الاوربية ، حتى في سواء الادب العربي والتاريخ الاسلامي . صحيح ان المصادر كثيرة في هاتين المادتين ولكن المؤلفات الجامعية العصرية قليلة او نادرة . خذ مثلا على ذلك « تاريخ الادب العباسي » المادة التي اقوم بتدريسها في جامعة بغداد ، فليس هناك كتاب واحد بمستوى جامعي يعتمد عليه في هذا الموضوع . لما ذا يهمل المؤلفون حتى موضوعات تراثهم القومي ؟ هذا ما لا يمكنني فهمه ! ولقد قمت مؤخرا بترجمة الفصول التي كتبها البروفيسور نكلن في تاريخ الادب الانجليزي بما لا يقل عن عشرة قرون الشروع بتأليف كتاب جديد في الموضوع ، ولكن القضية كان ينبغي ان تبدأ قبل هذا بعهد طويل، فانت واجد في تاريخ الادب الانجليزي مثلا عشرات الكتب فلا تتولاك الحيرة في البحث عن كتاب في الموضوع قدر ما تتولاك الحيرة في المفاضلة بين عشرات الكتب هذه ، رغم ان تاريخ الادب العربي اقدم من تاريخ الادب الانجليزي بما لا يقل عن عشرة قرون .

س : 5 المصطلح العلمي يشكل في نظر الكثيرين اهم مشكلة تعترض نحو اللغة العربية ، فكيف للعالم العربي ان يتخلص من هذه المشكلة ؟

ج : يمكن التخلص من هذه المشكلة بتشكيل لجان دائمة لوضع المصطلحات وجمعيتها في معاجم قواميس واحياء بعض المعاجم التي وضعت في بعض الاقطار العربية ولم يقيض لها الانتشار فمثلا هناك « المعجم العسكري » الذي وضعه المرحوم عبد المسيح وزير (وطبع طبعة محدودة) بعد وفاته وقد جمع بين دفتيه ما ينيف على 12 000 كلمة وعمل فيه من سنة 1923 الى سنة 1943 ، ومع ذلك فهو مجهول عند الكثيرين من المعنيين في المصطلحات وتعريبها .

وبوسعنا ان ننقل المصطلحات الاجنبية باحدى طريقتين اما بترجمتها ، اي نقل معناها او بتعريبها اي نقلها لفظا ومعنى ، بعد تحويرها اذا اقتضى الامر حسب مزاج لغتنا ، ولسنا بدعا بين الامم في هذا الشأن ، فقد فعل الاوربيون الشيء ذاته في القرون الوسطى يوم كانت العربية هي السائدة كلغة للعالم المتمدن . يومذاك اذا ترجموا مثلا كلمة « جيب » العربية في المثلثات الى كلمة Gibe المشتقة من لفظة Gips اللاتينية التي تعني ز « الجيب » ولكنهم اخذوا لفظة « الجبر » حرفيا فقالوا Gèbre وفعل نفس الشيء اجدادنا يوم نقلوا التراث اليوناني الى العربية ، فقالوا : « الارثماطيقي » (الحساب) وجومطريا (الهندسة) وقاطاغوريس Katoriassi (وكانوا يترجمونها احيانا بالقياسي) وانا لوطيقا (البرهان) وارطوريقا (الخطابة) وما الى ذلك مما هو مذكور في المظان العربية القديمة .

ذلك هو رأي الدكتور صفاء خلوصي الاستاذ بكلية التربية بجامعة بغداد ، وهو رأي كما لمستم يتضمن التجربة الذاتية التي قام بها الاستاذ خلال السنوات الطويلة التي قضاها في التدريس الجامعي .

ديوان المجلة

ما مات من في الورى عاشت مآثره

للأستاذ الشاعر سيف الدين الكيلاني
سفير المملكة الأردنية

« من وحي الذكرى السادسة للمغفور له الملك محمد الخامس طيب الله ثراه ، للشاعر الدكتور سيف الدين الكيلاني سفير المملكة الاردنية الهاشمية فى الرباط » .

عرف البطولة في ذكراه ينتشر ... وفي جبين العلا من نوره غرر
نور الهدى شع من مثواه مؤتلقا ... ومن رسول الهدى في نوره اثر
نور النبوة وضاء بمجده ... كانما الملأ الاعلى به حضروا
قضى الامام بشهر الصوم تكرمة ... طوبى له الخلد محفوفا بمن ظفروا
في يوم ذكراه ما زالت تؤرقني ... ذكرى الشهادة والآلام تعتصر
ست مضين على الذكرى وما التأمت ... جراحنا بعده او كفت الذكر
ما زلت اذكر يوم النعي حين دوى ... في الخافقين حزينا ذلك الخبر
شاق الرجاء وجل الخطب والهفي ... فالدمع منهمر والقلب منفطر
واذهل الكون بالرزء الجسيم وقد ... قضى امام الهدى فالكون معتكر
وماج قومي في بحر الهموم فما ... يرسي شراع الاسى لب ولا بصر
قضى محمد عنوان الجهاد فمن ... ليعرب مثل ذاك الليث يقتدر
اب المكارم والامجاد كيف هوى ... والبحر كيف طوت اغواره الحفر
من للبطولة صنديد كعاهلها ... يحطم الخصم بالايمان ينتصر
في مغرب العرب من نار الاسى لهب ... وفي حمى الشرق جمر الحزن مستعر
في كل قلب لهيب من فجيعته ... انى مضيت لنيران الاسى شرر

* * *

محمداه معقتنا يوم نعيكمو ... والصبر عز وانما معشر صبر
وغاض نبع الحجى اذ غاض نبعكمو ... وجف روض المنى اذ صوح الزهر
اذا المكارم الوى غصنها جزعا ... فما بطيب لها من بعدكم ثمر

او اخلدت روحكم للموت وادعة   فطالما غالبته وهي تنتمر
تذكي بابطالنا في ساح مغربكم   عزم الكماة اذا ما كبروا انتصروا
والحر يرخص في الاوطان مهجته   ولا يبالي اذا ما انتابه الضرر
موت العظيم بلاء والعزاء به   ان المآثر تبقى ليس تندثر

* * *

سل امة العرب عن امجاد عاهلها   تلق الصحائف نورا اينما نظروا
لم يرهب النفي والتشريد حين مضى   يصارع الخصم والطغيان ينحدر
ما ابعدوه لارض عن مواطنه   الا القلوب لقيام الليث تنتظر
كم قارع الظلم في تحرير مغربه   حتى استقل وفي راياته الظفر
يسطر المجد للتاريخ غضبته   فوق الصفائح تمليها القنا السمر
فشاد فوق جبين الدهر دولته   رواقها بظلال المجد مزدهر
وشاد للمغرب المعمور نهضته   صرح تقوم على اصلاحه الجدر
ووطد الملك في ارجاء موطنه   وراح اصلاحه بالحزم ينتشر
وساس امته بالعدل محتسبا   كانما عاد من اسلافنا عمر

* * *

ما زلت اذكر اشراقا لطلعته   لما اهل على اردننا القمر
على مشارف ملوب الحمى ذرفت   عيناه دمعا كمثل الدر ينتشر
وقال : لا بد من جولة اخرى سنعلها   حمراء صفا به الطغيان ينحسر
وقفت بالامس اشدو بالمديح له   واليوم ابكيه وا رحماك يا قدر
هذي صحائفه الغراء عابقة   في كل ذكرى لنا في نشرها عبر
سبط الرسول لقد احيا شريعته   سمحاء مشرقة في هدي من عبروا
مكارم الخلق في برديه قد جمعت   لمنطق الحق في اقواله درر
ونبعة الفضل من اغواره انبثقت   لعزة البأس في اقدامه سور
محمد كان آمالا لامتنا   وكان نبع الصفا ما شابه كدر
كم كان صلبا ابيا في مبادئه   حرا كريما الى المعروف يبتدر
وكان سمحا تقيا في شمائله   وفي المكاره وعرا ليس ينكسر
ان راح غضا فأيام له جمعت   من البطولات ما لا يقدر البشر
مضى شهيد جهود راح يبذلها   لمجد امته ما شح مدخر
كذاك نفس كبير العزم مطمحها   يجل عن وسعها جهدا فتحتضر
يا ابن الرسول وهذا دأب معشركم   دم الشهادة فيكم نشره عطر
لو مجدوا ذكر من احيوا لامتنا   تاريخها بسوى ذكراكمو كفروا

* * *

من كان مثل فقيد المجد منزلة   فليس توفيه في تأبينه الدرر
نم يا محمد في امن وفي دعة   سيحمل الشبل ما آباؤه قدروا
سيبتني (حسن) عزا لمغربكم   كما بنيتم وبالاصلاح يزدهر
جهد (الحسين) سليل البيت متصل   بجهد شبلكمو بالخير ينهمر
سعى كمسعاه في اعلاء اردنه   بالدين والعلم حتى اينع الثمر

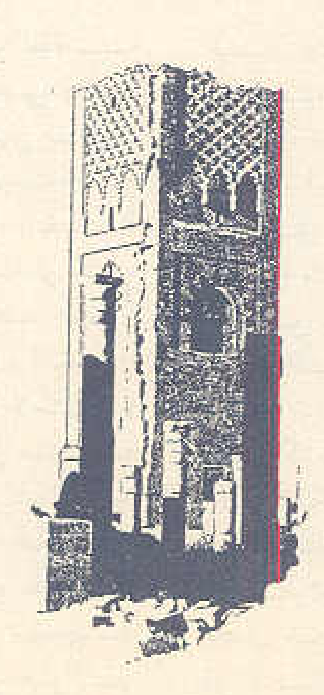
لا زال والحسن المقدام موئلنا ... يجددان لآل البيت ما نذروا
وينقذان فلسطينا وقد خفقت ... اعلام جيشهما بالنصر تأتزر
ويبعثان بدنيا العرب عزتنا ... فتنتشي بالمنى الارواح والفكر

* * *

هذا رثائي في سبط النبي همى ... من ذوب قلبي لآل البيت يعتصر
في ذمة الله يا روحا مطهرة ... الى الجنان سمت بالمسك تدثر
واخلد محمد في تاريخ امتنا ... فان ذكرك للأجيال مدكر
ما مات من في الورى عاشت ما ثره ... في شبله الحسن الثاني كذا العمر

سيف الدين الكيلاني

سفير المملكة الاردنية الهاشمية في الرباط





هل للمنون علاج منها ينجينا ... بحد من سمها الزعاف ، يشفينا ؟

هلا النطاسي يبدي من مهارته ... فيحسم الداء ، أو يأسو مآتينا ؟

يكفكف الدمع عنها غير وانية ... فلا تسحه كالمدرار يسقينا

كلا ، فهذي نفوس شقها الم ... حلت كتائبه يوما بنادينا

فاسترفت أملا كانت مواكبه ... حينا تصاحبنا ، حينا تماسينا

واحلولكت فى سما الآداب بهجتها ... فلم تمد مثلما كانت تناغينا

وقطبت فى محيا الشعر ربته ... فأخرسته ، وكم غنى تلاحينا !

* * *

لطالما انجزتنا وعدها فى الرخا ... ء ، ما لها أخلفته فى دواهينا ؟

الشعر ، والفن ، والالفاظ قاصرة ... كذا معانيها اصبحت تجافينا

ما كنت احسب ان الخطب يفدحنا ... عند النعي فتجفونا قوافينا (1)

ما كنت احسب ان الموت يفجعنا ... فى سيدي (ابن يوسف) هكذا حينا

* * *

جاء النعي يزجي من مصائبه ... عظمى ، دهتنا فزادت من مآسينا

جلت مصيبتنا مما الم بنا ... بكت حواضرنا ، شكت بوادينا

الشعب أسيان ، فالافراد فى شجن ... لو مكنوا من فدا ، فدوا مباهينا !

البعض ناح ، وبعض قد قضى كمدا ... الله يرحمهم ، كانوا القرابينا !

شاءوا الممات فلم تحل الحياة لهم ... بعد (ابن يوسف) راعينا وهادينا

* * *

رب المكارم والاخلاق فاضلة ... عدا المنون عليها فى مغانينا

ذاك المصاب دهانا منذ سادسة ... من السنين ، فها ذكراه ترديننا !

---

1) يشير الشاعر الى الكثير ممن عقدت الفاجعة السنتهم فلم يقرضوا شعرا حينئذ .

فكيف لا نكتوي بموت نابغة ... اضحت اياديه فى الورى ميامينا ؟
امكيف نسلو هوى؟ امكيف ننسى ابا؟ ... ام كيف لا نقرض الاشعار تابينا ؟
ام كيف لا نذكر الاعمال خالدة ... حبا بها المغرب الاقصى افانينا ؟
من استقلال ، الى جيش ، الى وطن ... موحد ، والى باقي امانينا
قد حقق الكل ، ثم راح ينعم فى ... جنان ربه من بين الصديقينا ...

❊ ❊ ❊

يا منقذ الشعب ؛ انا بعدكم خلف ... نصون عهدكم ونعمل جاهدينا
ها روحك الفذ اضحى عندنا قبسا ... فتلك انواره للخير تهدينا
تهدي الطريق ، فما زلت لنا قدم ... منذ ارتحلت ، وقد سمت مراقينا
ما زال شعبك يقفو نهجكم صعدا ... نحو العلا ، ولقد بذ الاساطينا
رغم الحسود ورغم ما يكابده ... من الدسائس ، لا يخشى الشياطينا
فى السلم كنا ــ وما زلنا ــ عمالقة ... نبني ، ونعلي ، ونرسي من أواسينا
وفى الحروب اذا ما شب مسعرها ... الفيتنا والعدا صرعى عوالينا

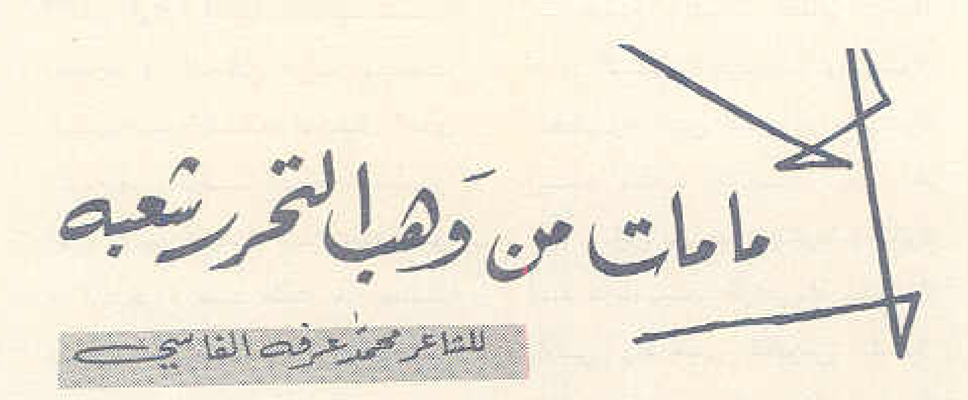
❊ ❊ ❊

نسير خلف الذي ربيته بطلا ... قاد البلاد ، فاغزانا ميادينا
وسن دستورنا الحديث ، بغيتك الـ ... ـكبرى ، وسن لنا كذا قوانينا
جلالة الحسن الثاني الهمام الذي ... حق الجلاء ــ بعزم منه ــ عن اراضينا
انعم به خلفا تزكو مكارمه ... يوما فيوما ، فتثقل الموازينا !
سرت محبته فى قلب أمته ... كالنور يسري فيجلو من دياجينا
العرش يحضنه ، والشعب يمحضه ... ودا بود ، ويحبوه الولا دينا

❊ ❊ ❊

نجل الالى عركوا الايام ، واقتعدوا ... منازلا فى جنان الخلد ، آمينا !
قادوا البلاد ، وساسوا اهلها زمنا ... سياسة ، هي كالنبراس يهدينا
قادوا البلاد فاوليناهمو ثمنا : ... حبا عميقا ، وتخليدا ، وتمكينا

تطوان ــ عبد الله العمراني



ذكـــرى تهيـــج مشاعـــرا وعقـــولا ... وتهـــز فى دنيـــا الحـــوادث جيـــلا
ذكـــرى يثيـــر حلولهـــا وجلالهـــا ... اسفـــا يردده الزمـــان طـــويـــلا
ما أروع الذكـــرى واعظم وقعهـــا ... واجلهـــا فى فكـــرنـــا تـــاميـــلا
ما اقـــدس الذكـــرى واكبر عاهـــلا ... وفـــى فنـــال الخلـــد والتبجيـــلا
سبحانـــك اللهـــم حكمـــك نافـــذ ... ناديـــت مـــن قد حطـــم التذليـــلا
ناديت صانـــع مجدنـــا وفخارنـــا ... سيـــف الالـــه المصلـــت المسلـــولا
من كان للاســـلام درعـــا والفدى ... بطـــلا يخـــط الـــى الاباة سبيـــلا
ان ماتغيرك يا«ابنيوسف» لم تمت ... ماماتَ مـــن قـــد ناصـــر التنزيـــلا
ماماتَ مـــن وهب التحرر شعبـــه ... وازاح عنـــــه الـــذل والتنكيـــلا

❊ ❊ ❊

رمضـــان ذكرنـــا بفقـــد « محمد » ... بصراعـــه حكمـــا يشيـــن دخيـــلا
قد صغته شعـــرا ليطفىء حرقتـــي ... لاكن يزيـــد لـــواعجـــا وذهـــولا
فالشعـــر فيـــه يطيعني وهو الـــذي ... دومـــا اليـــه يهيجنـــي لاقـــولا
والشعر مـــا عبثت بالبـــاب الورى ... نغماته وســـرت بهـــن شمـــولا
واذا المـــودة فى القلـــوب تغلغلت ... ياتي القريض علـــى الوفـــاء دليـــلا

❊ ❊ ❊

يـــا للشهامـــة والبطولة حينمـــا ... قد ثار نجـــل الشهـــم اسماعيـــلا
يا للشهامة حين قال بـــي اصنعوا ... ما شـــاء ربي لن اعيش ذليـــلا
أيام حجر قـــد تـــوارت فامنحـــوا ... شعبـــي الابـــي تحـــررا مقبـــولا
مـــا العرش والملك المظفران يكـــن ... شعبـــي يعاني المكـــر والتدجيـــلا
يـــا ويـــح أعـــداء التحـــرر حينما ... نصبوا بعرشـــك ساعدا مشلـــولا

وبنوك « والحسن » الهمام واسرة ... كي يخضعوا بالبطش هذا الجيلا

لاكن ارادة شعبنا وأباتنا ... لم تبغ بالملك العظيم بديلا

اعطتهم فى البطش درسا محكما ... عم البلاد نجودها وسهولا

لله ما عاناه ابطال الفدى ... وتحملوه من العذاب فصولا

اكرم بهم قوما اباة خلدوا ... آيات مجد رتلت ترتيلا

اكرم بهم قوما اباة حققوا ... عود « ابن يوسف » مكرما مسؤولا

« امحمد » قد طبت حيا مثلما ... قد طبت ميتا للرشاد رسولا

ماذا اقول فكل قول فيك لا ... يكفي ويشفى للنفوس غليلا

ما انت الا شبل بيت المصطفى ... والفرع تنتبه العروق اصيلا

ان كان جسمك قد توارى نازحا ... فسناك يمكث فى القلوب نزيلا

لا شيء لم يشهد بحسن صنيعكم ... او يلق عونا منكم وجميلا

نم فى جوار المهتدين مخلدا ... وحبيت اجرا فى الجنان جزيلا

❊ ❊ ❊

مولاي ان اباك كنت نصيره ... تحمي الذمار وتحسن التمثيلا

عشت المراحل كلها لا تنثني ... تبني وتنشىء للخلاص عقولا

قاسيت آلام التغرب يافعا ... فحملت عبئا فى البلاء ثقيلا

وولجت معركة الكفاح فلم تدع ... شعبا يكافح وحده مغلولا

وربطت حاضرنا بماضينا الذي ... قد كان عهدا مشرقا موصولا

عهدا على التقوى اقام عماده ... « آل الشريف » واورثوه شبولا

اني لاذكرهم واذكر اننا ... صرنا بفضلكم اعز قبيلا

ملكوا فصان العدل دوما ملكهم ... وبنوا فزانوا العرش والاكليلا

❊ ❊ ❊

مولاي عهدك بالجلاء بداته ... كيما يكون خلاصنا معقولا

ورفعت راية جيشنا خفاقة ... تؤتي الفخار وتبعد التضليلا

وسلكت فى الاصلاح احسن منهج ... اضحى به صعب الامور ذلولا

اوليت من فتح المعاهد راعيا ... بالعلم دوما للبلاد حقولا

اوليت من نزع الاراضي كي ترى ... فلاحنا فرحا بها مشغولا

اوليت من نادى بنهج سياسة ... فى الحرث ترفع دخله المامولا

اوليت من شاد السدود مجنبا ... شبح الجفاف بلادنا ومزيلا

اوليت من فتح المصانع تبتغي ... من فتحها التصنيع والتحويلا

اولست من واسى الفقير وصانه ... كي لا يعيش حياته مرذولا

لله ما اسمى اياديك التي ... لم تغن اعداء البلاد فتيلا

لله ما اسديت من منن وما ... اوليت شعبك كي يعيش نبيلا

ايه لقد حققت ما بهر الورى ... ورعيت مجدا للبلاد اثيلا

ارضيت ربك والمليك « محمدا » ... لا بطأ في التسيير لا تأجيلا

فاسلم رعاك الله واعلم اننا ... جند لعرش قد حبانا السولا

لسنا نحيد عن الذي تدعو له ... وتراه للخير العميم كفيلا

* * *

ابا المحاسن والمكارم والهدى ... يا من زكا فرعا وطاب اصولا

انا نقاسمك الفخار بوالد ... ما قد رايت له الزمان مثيلا

وفى بعهد الله ثم خلفته ... وورثت عنه النبل والتفضيلا

فامنن عليه الاهنا بمثوبة ... كالغيث فيضا والغمام مسيلا

بجوار احمد جده خير الورى ... من اوتي الاعجاز والتنزيلا

مولاي عشت الى العظائم دم لها ... ولنا معزا ، للفخار منيلا

دم للامير ولي عهدك راعيا ... حتى يكون كما نشأت جليلا

ولاسرة بدرا منيرا مرشدا ... « والله خير حافظا ووكيلا »

محمد عرفة الفاسي الفهري



دعوة الحق... دعوة القرآن

للشاعر أحمد الصديقي

دعوة الله دعوة المنان ... دعوة الحق دعوة القرآن
مرشد الخلق للهداية طرا ... بليغ الالفاظ سامي المعاني
يتحدى باقصر اللفظ قوما ... قد دهتهم جهالة الطغيان
وينير الطريق دوما ويهدي ... اهل هذي الدنا لخير جنان
اشرف النور والكتاب علينا ... (بوجود الرسول) فى رمضان
قاد كل العباد دينا ودنيا ... وحباهم برحمة وامان
آية الله قد تجلت فابدت ... كل ما كان خافيا للعيان
وارتنا من العلوم خفايا ... فلها فى النفوس خير مكان
كم اراد الاله للخلق خيرا ... اذ دعاهم بدعوة الايمان
سيد الرسل كان خير رسول ... قد اتانا بنعمة الفرقان
حارب الشرك حارب الجهل حتى ... اضمحلت جحافل الشيطان
نشر العدل حارب الظلم دوما ... حكم الحق فى بني الانسان
جمل النصر للمحق وآخى ... بين كل الشعوب كالبنيان
لو ارادت كل الشعوب رشادا ... وسموا على ممر الزمان
جعلت دعوة الكتاب اماما ... مرشدا هاديا لنيل الاماني
واقتدت بالكتاب يا له نور ... يتجلى بساطع البرهان
واقتفت آثار رسل كرام ... كلهم قد دعا بكل بيان
رب وفق شعوب ار ... ضك للحق يا واهب الاحسان
انها ضلت السبيل الا هي ... وتمادت فى الخلف والشنئان
انها تنشد السلام وتسعى ... لدمار البلاد والعمران
انها تشعل الحروب لتبقى ... دول الارض فى ردى وهوان
رب وحد شعوب دينك يا من ... قد دعانا لوحدة الديان
واتباع الهداة فى كل حين ... واقتفاء الاباة فى كل آن
دين عز وصولة وسمو ... هو ما نبتغي لرفعه شان

الرباط — احمد الصديقي

خاطرة

للشاعر محمد حسن الطريق

امـل ويـأس في الاضالـع يركضـان — آنـا يجللنـي ويغمرنـي الحنـان

والليـل انـا ينفـض الافيـاء عـن — قلبـي وعـن افقـي ويسرح في الكيـان

ما نـام عنـي الليـل ، مـا عـادت بقايـ — ـا النـور تصبغ مقلتـي بالأرجـوان

لـم ينزع الحلـم القديـم روءاه فـي — حلك الظلام .. فكيف يأرج اقحـوان ؟

اغفـو واسـترق الـروءى واعيش فـي — دنيـا ابتسـام كـاذب بعـض الثـوان

وتسيـل فـي صمت اكتئابـي غيمـة — سـوداء مثـل اليأس في عمـق الجنـان

شبح الـزوال يمـوج مـا بين الدجـى — ويشيـر لـي فـي كـل آن .. كـل آن

عـادت لحونـي آهـة فـي عمقهـا — يجلـو المسـاء ، يغيم في همس اللسـان

فيهـا توانـي الشـوق وانطفـأت مصـا — بيـح السنـا فـي هجسهـا بعـد التـوان

وبكى الفـؤاد وما اطمان الى مآسيـه ولا — حتـى الـى حلـو الامـان

لكن قلبا منـه قد نبـع الوفاء الثر كالامـ — ـسـواه وابتسـم الزمـان

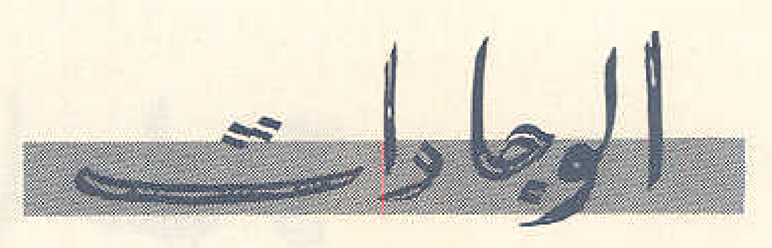
عادت الي به السعادة ، اقبلت تندو ، فقـ — ـام لهـا يوقـع فـي الكمـان

وعرفـت اسـرار المحبـة حينمـا — ابصرتهـا فـي مقلتيهـا كالجمـان

ونسيـت اشباح الدجـى وسلـوت اطيـ — ـاف الروءى والوهـم والغيـد الحسـان

وبـدأت احيـا مثـل نـور يغمـر الـد — نيـا ويمـلأهـا افتـتـان

القصـر الكبير ـ حسن محمد الطريق



الوجادات

للأستاذ عبد القادر زمامة

في تاريخنا الفكري والادبي زهرات لاتذوى ، وصور حيـة لا تبلـى ، والباحث الدارس تقع عينه في كل يوم على مقتطفات غضة في العلم والادب واللغة فيقف عندها وقفة تامل واعجاب ، فاذا جاوز ذلك الى تسجيلها في مذكرات والاحتفاظ بها فقد ادى واجبه نحو نفسه ...! وهناك من يتجاوز ذلك الى حد النشر والاذاعة بين الناس .. ولا يحتفظ بذلك لنفسه فقط..

وقد سجل تاريخنا البعيد والقريب عددا من الاعلام اسهموا في هذا الميدان بنصيب يذكر فيشكر .. وجريا على هذا السنن ننشـر هـذه « الوجادات » فان حازت قبولا فذلك ما نتمنى وان كانت الاخرى فليعلم القارىء الكريم انها مجرد « وجادات » .

1 ـ لـولا الفـول لطاروا ... !!

ذكر ابو الحجاج (1) البلوي في كتابه «الف باء» ج 2 ص 159 : « كنت اقرأ على الحافـظ ابى الطاهـر السلفي بالاسكندرية سنة 562 هـ جزء من تآليفه . فمررت فيه بحديث يرويه عن اشياخه . عن الشافعي رضـي الله عنهم قال : (الفول يزيد في الدماغ !) والدماغ يزيـد في العقل .. !! واهل تلك البلاد ينقطون الفاء بواحدة من فوق .. ! وينقطون القاف باثنين من فوق ايضا .. ! فلم الق بالي . وحسبت الفاء قافا .. ! فقرأت : « القول يزيد في الدماغ ... » ! فضحك . وكان حلوا ظريفـا رحمه الله . وقال لي : القول يفرغ الدماغ .. ! او نحو هذه الكلمة ... فقلت له :

ـــ القول عندي في الكتاب .. !

فقـــال :

ـــ انما هو الفول .. !!

فاعلمني اذ ذاك بمذهبهم في نقط الفاء بواحدة من اعلى والقاف باثنين من اعلى ... فقلت له :

ـــ كيف يزيد الفول في العقل . ونحن نعلـم ونقول في بلادنا بخلاف ذلك ... ؟ فضحك وقال :

ـــ سالت عن هذه المسالة شيخي فلانا ... نسيت اسمـــه .. قال . فقلت له :

ـــ كيف هذا ... ؟ وطبرستان اكثر بـلاد الله فولا .. ! واهلها اخف الناس عقولا .. !!

فاجابني الشيخ على الفور ...

---

1) من رجال العلم والدين المتين . ترجمه ابن الابار في التكملة رقم 2089 . وابن زيد في صلة الصلة رقـم 426 ... وكتابه « الف باء » معلمـة مفيـدة الفها لابنه ... طبع الكتاب بالقاهرة سنة 1287 هـ فـي سفرين كبيرين . وهو من اعلاق التراث الاندلسي .

« لولا الفول لطاروا . !!!! »

2 ـ عز . ! وخز . ! وزز .. !

ومن كتاب « الف باء » ايضا ج 2 ص 122

« علم الحديث عز في عز . ! وعلم الفقه خز في خز . ! وعلم الكلام زز في زز . ! ولعل قائل هذا خاطب قوما هذه اللفظة (2) فاشية عندهم ولمطابقتها ايضا الفقر التي قبلها .. ! ولم يقلها لتعلم وتستعمل »

3 ـ رديء الطعام وجيده عند الاندلسيين :

من كتاب « الف باء » ج 2 ص 61

« ومما قلته في القناعة بما قل :

لآكل الحوت مشويا بتين
وبلم لي من الآفات ديني
احب الي من دين سقيم
واكل الخبز باللحم السمين .. ! »

4 ـ اكثرهم برانيون .. !

من كتاب « حدائق الازاهر في مستحسن الاجوبة والمضحكات والنوادر » للقاضي ابى بكر محمد بن محمد ابن عاصم الاندلسي الغرناطي (3) :

دخل رجل بجاية فقال :

ـــ ما اكثر هذه البلدة بكلاب .. !!!

فاخرجت امرأة راسها من طاق وقالت :

ـــ اكثرهم برانيون .. !!

5 ـ امـي .. ! وعباسي .. !

في نفح الطيب ج 2 ص 25 ـ ط ـ الازهرية . في ترجمة احمد بن صابر القيسي الاندلسي هذان البيتان من شعره :

اتنكر ان يبيض راسي لحادث
من الدهر لا يقوى له الجبل الراسي ؟
وكان شعارا في الهوى قد لبسته
فراسي امي .. ! وقلبي عباسي ! (4)

6 ـ موسى والخضر .. !

في الجزء الرابع ص 24 من كتاب « الوافي بالوفيات » للصفدي (5) ترجمة قصيرة لابي بكر بن خطاب الغافقي الاندلسي .. ختمها بهذه الابيات لصاحب الترجمة انشده اياها .. اثير الدين ابو حيان عن الحافظ الرحالة ابن رشيد السبتي .. عن ابى بكر ابن خطاب قائلها :

رشأ في الخد منه روضة
ما جناها دانيا للمهتصر
طلع الآس مع الورد بها
فهوى يغرب صبر المصطبر
جال ماء الحسن فيها والصبا
فالتقى الماء على امر قد قدر
مرت الموسى على عارضه
فكان الآس بالماء غمر
مجمع البحرين امسى خده
اذ تلاقى فيه موسى والخضر .. !!!

7 ـ جسمي في شرق .. ! وقلبي في غرب .. !

في طبقات الشافعية ج 4 ص 314

في ترجمة موسى بن ابراهيم الاغماتي هذان البيتان من شعره :

لعمر الهوى اني وان شطت النوى
لذو كبد حرى وذو مدمع سكب
فان كنت في اقصى خراسان نازحا
فجسمي في شرق ! وقلبي في غرب!

---

2) يشير الى كلمة (زز) لانها من العامي المبتذل

3) مطبوع بفاس طبعة حجرية

4) كان البياض شعار بني امية كما كان السواد شعار بني العباس والشاعر نسب الى امية على خلاف المشهور . فقال : امي .. ! بدل اموي .

5) طبع بدمشق 1959 باعتناء . س . ديورنغ الالماني

8 ــ تساوى ليلـه ونهـاره ..!

في جذوة الاقتباس لابن القاضي ص 49 في ترجمة الجزنائي (6):

قـال العـذول تنقصا لجمالـــه
هـذا حبيـبك قـم اطـل عـذاره
لا ، بل بدا فصـل الربيـع بخـده
فلـذا تساوى ليلـه ونهــاره ..!

9 ــ وصف الدنيا ولذاتها ..!

في كتاب « المدخـل » لابن الحـاج العبـدري الفاسي ، ج 3 ص 183 هـذه الابيـات في وصف الدنيـا ولذاتهـــا :

فخيـر لباسهـا نفثـــات دود
وخيـر شرابهـا قـيء الذبـــاب
واشهـى مـا ينـال المـرء منهـ
مبـــال فـي مبـال مستطـــاب
وعـن قـرب يعـود الكـل تربـا
بـلا شك يكـون ولا ارتيـــاب

10 ــ فحـم في طبـق ..!

في القطعة المنشورة بمجلة « هسبرس » سنة 1930م من تاريخ الموحدين ... عند ذكر اخبار تاشفين بن علي ابن يوسف ومطاردة عبد المومن له ..

« ... ونزل تاشفين بحصن الموضـع المذكور فاقام به شهورا دون حطب ! ولا فحـم ! حتى الجاتهم الضرورة لحرق اوتاد اخبيتهم . وخشب ابنيتهم . والمطر مع ذلك مستصحب دائم ..!!

ولقد اخبر ابن صاحب الصلاة بسنـد ذكـره عمن اخبره .. ان امرأة بعثت الى تاشفين بطبق كبير عليه « سينية » فظن انه فاكهة .. !! واذا فيه .. فحـم .. !! فـــر بـــه .. !! »

11 ــ على راي ابن عبدوس ..!

ذكر ابن بسام ان الوزير ابا عبـد الله بن ابـى الخصال (7) وقف بباب بعض القضاة . واستاذن عليـه فحجب عنه فكتب اليه بديهيا :

جئناك للحجـة الممطـ! صاحبهـا
وانت بنعـم والاخـوان في بـوس
وقد وقفنـا طويـلا عنـد بابكـم
ثم انصرفنا على رأي ابن عبدوس !

اشار به الى قول الوزير ابن عامر ابن عبدوس

لنـــا قـــاض لـــه خلـــق
اقـــل ذميمــــه النـــزق
اذا جئنـــاه يحجبنـــا
فنلعنـــه ونفتـــرق !

12 ــ والشرط باطـل ..!

في ترجمة ابى المطرف ابن عميرة من الجذوة ص 79 قوله :

شرطت عليهم عند تسليـ مهجتـي
وعند انعقاد البيـع قربـا يواصـل
فلما اردت الاخذ بالشرط اعرضـوا
وقالوا يصح البيع والشرط باطـل

13 ــ الـدابـــة ...!

في مخطوطة كتاب « مطلع اليمن والاقبال بانتقـاء كتاب الاحتفال » لابى محمد عبد الله بن ابي القاسم ابن جزي (8) « اخبر القاضي ابو البركات ابن الحاج رحمه الله قـال :

جاءت امراة واعظة الى المرية تنكر عليها كثيرا مما تقول . وكانت تعظ النساء ، فبلغ امرها لام القاضي ابى البركات . ووصف لهـا حالها فقالت : صـدق الله العظيـم ...

6) شاعر فحل توفي بتونس سنة 749 عند ما صحب اليها السلطان ابا الحسن المريني

7) الاعلام لابن ابراهيم ج 3 ص 5

8) انظر ترجمته في الكتيبة الكامنـة ص 96 ونيـل الابتهاج على هامش الديباج ص 154 . وقد اطلعني على هذه المخطوطة الاخ الباحث السيد حماد بوعياد

« واذا وقع القول عليهم اخرجنا لهم دابة من الارض تكلمهم »

14 ـ صار الدمع عندك عادة .. !

وفيها ايضا : لما خوطب الامام المقر ابو محمد عبد الحق بن عطية بتقلد خطة القضاء بالمدينة ـ كذا ـ واللحاق بها دخل داره وعيناه تدمعان وجدا لمفارقة الاهل والوطن فانشدته ابنته ام الهناء متمثلة :

يا عين صار الدمع عندك عادة

تبكين في فرح وفي احزان

15 ـ فالله يرزقنا بغير حساب

وفيها ... ومن نظمي في التلميح ... في بعض المقرئين لعلم الحساب :

يا ناصبا علم الحساب حبالة

لمرام ظبي ساحر الالباب

ان كنت ترزق بالحساب وصاله

فالله يرزقنا بغير حساب

16 ـ (القاهرة) في غرناطة .. !

وفيها ايضا

وهذا السلطان (9) الكبير هو الذي بنى بحصن الحمراء « القاهرة » الكبيرة ، المطلعة على المنصورة ومن العجائب في هذه « القاهرة » انها موضوعة على خط الاستواء .. !! ففي كل زمان من فصول السنة اذا زالت الشمس ودخل وقت الظهر كسا نور الشمس جانبها الغربي اجمعه . فيعرف الذي يراها على القرب او البعد انه وقت الظهر .. لا يختلف ذلك باختلاف الازمنة .. ! وقد وضعت لذلك بتدبير حسن وحكمة بديعة .. ! »

17 ـ ليلا يجمع الامام ... !

في كتاب نشر المثاني في ترجمة عبد الرحمن الرايس المتوفى سنة 1109 هـ من نسخة خطية ..

« ... وكان يوم بمسجد القفازين (10) ... من عدوة فاس القرويين ... فكان يجمع بين العشائين بادني سبب .. ! فمرت بقرة بباب المسجد المذكور .. فقال بعضهم يمازح صاحبها :

ـ انهض بقرتك للسير ليلا تبول بباب المسجد ... فيجمع الامام .. ! »

فاس ـ عبد القادر زمامة

(9) يشير الى ثاني ملوك بني الاحمر وهو محمد بن محمد بن يوسف ابن الأحمر المتوفي سنة 701 هـ

(10) ما زال هذا المسجد معروفا بهذا الاسم في مدخل سوق الجوطية

ابن العربي في العواصم

بقلم الشيخ محمد الفاضل بن عاشور

اذا كان الامام القاضي ابو بكر ابــن العربــي ، سببا وصل لنا ما بين كتاب الاحياء للغزالي ، في مطلعه بالمشرق ، وبين السحابة الغربية التي غيمت علـى ذلك الاثر العظيم من تنامفتنة شعواءثارت عجاجتها، فان ذلك السبب المتيــن بذاتــه ، وهو ابن العربي ، حقيق بان ينقلنا من كتاب الاحياء ، الى كتاب آخر ، كنــا لوحنــا به ، واستشرفنــا اليه ، وهو كتاب العواصم من القواصــم .

نشا ابو بكر ابن العربي ، بالمغرب ، في القطــر الاندلسي ، واقام هناك الى ان بلغ السابعــة عشرة من سني عمره ، فسافر مع والده الى المشرق ، واقام بالمشرق عشر سنيــن ، تردد فيها بين مصر والشام والحجاز والعراق وبلاد ايران ، ثم عاد الى الاندلــس سنة أربعمائة وخمس وتسعين ، واقام بقيــة حياتــه باشبيلية الى ان خرج منها الى مراكش عنــد قيــام الدولة الموحدية سنة خمسمائة واثنتين واربعين فبقي فيها عاما معتقلا ثم فارقها مريضا على نيــة العــود به الى الاندلس فتوفي في الطريق على مقربة من مدينة فــاس ، ونقل ميتا الى فاس ، فدفن فيها سنة 543 .

وزيادة على ما افاده هذا القران بين حياتيه ، في البيئتيــن المغربيــة والمشــرقيــة ، مــن سعــة في افــق المعرفــة ، وامتيــاز بالجمع بيــن قــوة الحافظة وقوة العارضة ، وتمكن من عمق الفكر وسمو البيــان ، وتمرس بطرائــق الحفــاظ المحدثيــن ، والاصوليين المتكلمين ، فان هذا القران العجيب ، قد مكن له ، فوق ذلك كله ممارســة لحقائــق الحيــاة الثقافية الاسلامية ، في ما بين المشرق والمغرب ، بمــا فتح له من مناهج المقارنة بين الحياتين ، حتى انكشف له ما بين الوضعيتين من التقابل ، في ما يملا كل منهما، من فراغ الآخــر ، في تعليل ان تكون مقاومة كتــاب الاحياء بالمغرب اشد منها بالمشرق ، فراى ابن العربي ان في كل من الوضعين الشرقي والغربي مزايا ورزايا ، الا ان مزايا الوضع الثقافــي بالمغــرب هي سلامته ، ورزيته في ركوده وجموده ، وان مزايا الوضــع المشرقي هي حركته ونماؤه ، ورزيته في فتنته وجحوده ، ومــع ذلك فانه كان قوي الميل الى المشرق ، عظيم الشغف والاعجاب به ، شديد الادلال بمعرفته ومخالطته ، قوي الاعتزاز بما طبع فيه الشرق من ملكات ، وما اكسبه من مواهب ومقدرات ، وكأنــه كــان يرى ان رزيــة الانكماش والقصور والركود ، صعبة العلاج بعيــدة الزوال ، لانهــا تعطيل للانظار ، وطبع على المدارك . فهيهات ان يستطيع محاول اصلاحها ان يحرك عاطلا ، او يصرف مطبوعــا عليه وان رزية النزق والزيــغ والجحود التي نزلت بالحياة الثقافية بالمشرق اقرب الى الامل في العلاج ، وارجى للدفع والاقتــلاع ، لانــه ما دام جوهر الادراك ســالمــا ناميا متحركــا ، فــان عوامل الهداية لن تعوز ، ووسائل التقويم والتصويب لن تبعــد ومن هنــا اطمان الــى ان حيــاة العلــوم الدينيــة بالمشرق ، على ما فيها ، هي الحياة الامثل . وان حياة علوم الدين بالمغرب قد رانت عليهــا نزعــة التقليد ، والاحجام عن النظر ، والقصور بالمعانــي الشرعية السامية عن غاياتها ومقاصدها ، وان كل ما فيها من خير انما يرجع الى ما مسها من اشعة انوار العلوم الحقة التي اضاءت عليهــا من المشرق فهــو لذلك لا ينفك ينعى على المشرق رواج الفتن وانتشار الضلالات والاباطيل ، معرضا بالثناء على المغــرب لسلامته من تلك البلايا فيقول « خرجت من بلادي على الفطرة فلم الق في طريقي الا من كان على سنن الهدى يغبطني في ديني ، ويزيدني في يقيني حتــى بلغت بلاد

هذه الطائفة فلم يبق باطل الا سمعته ، ولا كفر الا شوفهت به ووعيته » ثم لا ينفك ايضا عائدا على المغرب بمثل ذلك او اشد نقمة على الاعراض عن النظر والاقبال على التقليد ، والعكوف على الطرائق الملتزمة اذ يقول فى أهل قطره الاندلسي : « صار التقليد ديدنهم ، والاقتداء بغيتهم ، فكلما جاء احد من المشرق بعلم دفعوا فى صدره ، وحقروا من امره ، فماتت العلوم الا عند آحاد ، واستمرت القرون على موت العلم ، وظهور الجهل ، ثم حدثت حوادث لم يلفوها فى منصوصات المالكية ، فنظروا فيها بغير علم ، وجعل الخلف منهم يتبع فى ذلك السلف فيرجع القهقرى ، ابدا الى وراء ، حتى يقع فى امه الهاوية، ولولا ان طائفة نفرت الى ديار العلم ، وجاءت بلبان منه، كالاصيلي والباجي ، فرشت من ماء العلم على هذه القلوب الميتة لكان الدين قد ذهب » .

وعلى هذه النظرة من المقارنة المؤلمة ، بنى ابن العربي كتابه « العواصم من القواصم » وكذلك جعل تسميته كما صرح به فى كتبه الاخرى ، لانه بناه على ايراد القضايا الباطلة ، والشبه المضلة ، مما كان يروج يومئذ فى العالم الاسلامي ، فيصد المسلمين عن الصراط المستقيم : من المذاهب الطبيعية المعطلة، والعقائد الباطنية الملحدة ، والمقالات الظاهرية المختلفة فجعل كل قضية باطلة من تلك القضايا المراد ردها ونقضها وابطالها ، قاصمة : بمعنى مصيبة قاطعة مخزية ، وجعل طريق الهداية الى النجاة منها ، ومسلك ردها ونقضها «عاصمة» بمعنى الواقية الحافظة وذلك بين القواصم والعواصم فاتبع كل قاصمة بعاصمتها ، وبين انها هي الحجة التي تنجي منها وتعظم .

ولما كان المراد من كتابه الهداية للتوخي من الشبه لا مجرد ايرادها وتقريرها فانه سماه العواصم من القواصم اي الحجج المنجية من المقالات المضلة .

وجعل المقالات التي تكفل بردها ، وتزييف باطلها : مقالات راجعة الى مذهب السفسطائية : الذين يعطلون المعرفة او يعطلون بعض طرقها : بما يشمل مقالات الباطنيين والروحانيين وغلاة الصوفية من مبدأ نظرية المعرفة الى مذهب القول بالامام المعصوم كاشفا فى ذلك مداخل المذاهب الباطنية الى العقائد الاسلامية من خلال المذاهب والفرق والنحل التي كشف ما بينها وبين الاصول الباطنية من صلات ، واتبع ذلك ببيان ما لسياسات الدول من شان من شان فى حماية تلك المقالات وترويجها ، والتنكيل بمقاوميها من حماة العقيدة الحق واضطهادهم،

وما تبع ذلك من التلاعب بالفاظ موضوعة لمعان دينية ، حملت على مناح فلسفية ، واسندت دلالتها الى مذاهب طبيعية على ما سمي فى ظاهره توفيقا بين الفلسفة والدين ، على طريقة اخوان الصفاء ، ولقد ابدع ، فى هذا الموقف ، فى اتباع القواصم بالعواصم بما أوضح فيه المبادىء الاسلامية فى نظريات الفلسفة الطبيعية المبنية على الهيولي والصورة والحركة والمكان والزمان والعنصر ونحوها ثم انعطف الى علم الاخلاق فحقق الفرق بين الحكماء وبين المتدينين فى معنى الفضيلة حتى يبطل ان الحاجة الى الدين اكيدة لبيان الفضيلة من غيرها ، وبعد أن تتبع الباطنية والملحدين الى ابعاد مراحلهم واقصى مراميهم التفت الى اضدادهم الذين ما كانوا اقل خطرا على الدين منهم : وهم الظاهرية بين ظاهرية فى الفروع سدوا باب القياس والاجتهاد ، وظاهرية فى الاصول تمسكوا بظواهر المتشابهات حتى كادوا ان يعطلوا معنى الديانة فى تنزيه الخالق تعالى ، وجعل هدفه فى هذه الردود ابن حزم وما اشاعه فى بلاد الاندلس من فتن كان مرجعها ، فى رأي ابن العربي ، الى قلة انتشار العلم وضعف سواعد المنتسبين اليه ، وربط فى هذا المجال بين مقالات الظاهرية وبين اصول الخوارج فى مسائل الاجتهاد ، وعدالة الصحابة ، ومسالة خلق القرآن ، متناولا فى ذلك صنيع المؤرخين وحاملا عليهم وعلى من اخذ باخبارهم من المفسرين والعلماء ولتحقيق ما اصل فى مسالة القرآن اتبع كلامه ببيان معنى اختلاف القراءات واسبابه وما للناس فى ذلك من جهالات احكمها التقليد وروجها قصور النظر فى العلم ، بما ساد البلاد الاندلسية من نزعة التقليد والالتزام وفساد مناهج التعليم والاغراق فى الاختصاص ، بالبعد عن الملكات العامة ، وفى خلال ذلك يعود الى التنويه بالشرق وما كان عليه قبل ان تنتابه الحملة الصليبية فيقول : « لو شاهدتم الشام والعراق فى عشر تسعين واربعين لرايتم دينا ظاهرا وعلما وافرا وأمنا متسقا وشملا منتظما لا تمكن العبارة عنه لنضرة حاله وزهرة كماله » ثم يتندر بتفضيل بقي بن مخلد فى القرن الثالث المشرق على المغرب فى قصة يعقبها بقوله « وكذلك وجدت » الحال انا هنا وهناك بعد مائتين وثمانين على تلك السنة وكذلك يكون الى يوم القيامة » .

وبهذه الكلمة ختم كتاب العواصم .

تونس : محمد الفاضل بن عاشور

ظاهرة تعريبيّة في المغرب السعدي

للأستاذ محمد المنوني

مقدمــــة

من الظواهر التي برزت في عصر الدولة السعدية: عهد احمد المنصور الذهبي وابنائه ، ظهور طبقة من المترجمين ، كانوا يشتغلون - بالمغرب على ضآلة عددهم - بنقل نصوص علمية ، من بعض اللغات الاوربية الحية ، الى اللغة العربية .

واود - قبل الدخول في تفاصيل هذا الموضوع - ان انبه الى انه وقع في غير العصر السعدي - ايضا - اشتغال مغربي ببعض اللغات الاجنبية ، وبترجمتها الى العربية ، وهذا ما يبتدىء به التمهيد لهذا البحث فيما يلي :

ان اهتمام المغرب بهذه الناحية يبتدىء من ايام الموحدين : على عهد يوسف الاول ، فان هذا هو صاحب فكرة تعريب كتب أرسطو من اليونانية ، وباقتراحه وضع ابو الوليد محمد ابن رشد الحفيد القرطبي ، ما نقله من مؤلفات أرسطو الفلسفية (1) .

ولم يخل العصر المريني من بعض افراد يعرفون اللغة الاسبانية ، ويستخدمونها في نطاق الترجمة الرسمية لدى بعض ملوك بني مرين ، ولا يزال عدد المعروف من هؤلاء لا يتعدى اربعة :

الاول : عبد الحق الترجماني ، ترجمان السلطان يعقوب بن عبد الحق المريني (2) .

الثاني : ابو العباس بن الكماد ، ترجمان السلطان ابي ثابت عامر بن ابي عامر عبد الله بن يوسف المريني(3)

الثالث : يحمل اسم مسعود ، وقد كان ترجمانا لدى السلطان ابي الحسن المريني (4) .

الرابع : عمر بن العجوز ، كان يقوم بالترجمة لدى السلطان ابي عنان المريني ، والظاهر ان هذا كان يتقن اكثر من اللغة الاسبانية حيث انه محلى بترجمان الخلافة (5) .

واللغة البرتغالية - هي الاخرى - كان يتقنها احد ملوك المغرب في العهد الوطاسي ، وهو محمد البرتغالي بن محمد الشيخ الوطاسي ، ثاني ملوك هذه الدولة ، والمتوفى سنة 931 هـ / 1524 م ، قال الوزان الفاسي في كتابه : « وصف افريقيا » (6) في صدد الحديث عن هذا الملك : « ولقب بالبرتغالي ، لانه اسره البرتغال ايام ابيه في اصيلا ، ومكث عندهم سبع سنين ، ولما افتداه ابوه ورجع ، وجده يتقن البرتغالية فلقب بالبرتغالي » .

---

1) انظر المعجب « ط » مطبعة السعادة بمصر ص 159 . مع « العلوم والآداب والفنون على عهد الموحدين » ص 98 - 101 .

2) « روض القرطاس » ط . فاس سنة 1305 هـ - ص 261 .

3) « مجموعة مراسلات بين الممالك الاسلامية وممالك اراغون وكتلونة » ط . مدريد سنة 1940 م - ص 162 - 163 .

4) « المصدر الاخير » ص 196 - 198 .

5) « فيض العباب » لابراهيم ابن الحاج النميري - نسخة المكتبة الملكية بالرباط ، رقم 3267 - 350 .

6) « حياة الوزان الفاسي وآثاره » ص 13 .

واذا تخطينا عصر السعديين الى العهد العلوي، نجد السلطان اسماعيل بن الشريف ، يتخذ اسيرا اسبانيا « برنار يوسي » لتعليم اللغة الاسبانية لاثنين من اولاده (7) ، كما ان ابا القاسم الزياني كان يعرف — على الاقل — التحدث باللغة الفرنسية (8) .

كما انه في النصف الثاني من القرن التاسع عشر برقت — بالمغرب — بارقة للترجمة ، تحت رعاية السلطان محمد الرابع ، ثم على عهد ابنه الحسن الاول، وقد تناولت تعريب بعض النصوص الاوربية الحديثة (9) .

وهكذا يتبين من هذا العرض المقتضب ، وقوع اشتغال مغربي — خارج الاطار السعدي ببعض اللغات الاجنبية ، وبالترجمة عنها الى العربية ولو ان ذلك قليل ، كما يتبين — ايضا — وجود معلومات — وان كانت محدودة — عن حركة الترجمة العلمية الواقعة اثناء كل من العصرين الموحدي والعلوي .

وعلى عكس ذلك ، فان حركة التعريب في العصر السعدي بقيت غير معروفة ، ومهمة هذا البحث ، هي محاولة الكشف عن هذه الظاهرة السعدية .

ولنذكر ، اولا ، ان مرد هذه الظاهرة يرجع الى عدة مؤثرات أوجدت هذه الحركة التعريبية .

فهناك الجاليات المدجنة (10) التي توافدت على المغرب بكثرة في هذه الفترة .

فهناك الاسرى المغاربة وغيرهم ، ممن طالت مدة اسرهم ، حتى تعلموا لغة البلاد المأسورين بها ، ثم عادوا من معتقلاتهم الى المغرب .

وهناك الاحتكاك الذي تضاعف — آنذاك — بين المغاربة والمسيطرين على عدد من شواطىء الوطن : من برتغال واسبان .

وهناك التأثر ببعض الشخصيات المغربية السامية ، مثل السلطان السعدي عبد الملك المعتصم ابن محمد الشيخ : فقد كان يفهم اللغة الاسبانية جيدا ويكتب بها وباللغة الايطالية (11) ، ومثل السلطان الوطاسي : محمد البرتغالي آنف الذكر (12) الذي كان يتقن البرتغالية .

وسبب خامس واخير،وهو محاولة المغرب للاستفادة من معطيات حركة الانبعاث باوربا ، والعمل لاسهام مغربي في بوادر النهضة الاوربية الحديثة .

وهكذا انبثق عن هذه المؤثرات الخمسة ، ظهور حركة تعريبية لمعت من المغرب السعدي ، ومن المؤسف ان لا يستطيع هذا البحث ، ان يقدم سوى عدد ضئيل لا يتجاوز خمسة من رجال التعريب في هذا العهد ، قاموا بترجمة بضعة كتب ، ومع تفاهة هذه الكمية ،

---

(7) « المنزع اللطيف ، في التلميح لمفاخر مولاي اسماعيل بن الشريف » لمؤرخ مكناس عبد الرحمان ابن زيدان — اثناء الباب الرابع .

(8) الترجمانة الكبرى للزياني ، مخطوطة خاصة ، عند الحديث عن وصوله الى مرسى مرسيليا في رجوعه الى المغرب من اصطنبول .

(9) هذا الموضوع لا يزال بحاجة الى بحث على حدة ، وتوجد نتفة منه في « مظاهر يقظة المغرب الحديث » « مجلة تطوان » — سنة 1961 — العدد السادس ، مع مجلة « دعوة الحق » : العدد التاسع والعاشر من السنة الثامنة ، ص 107 — 110 ، و « مظاهر يقظة المغرب الحديث في الميدان التعليمي » ، تحت الطبع في « مجلة البحث العلمي » .

(10) المدجنون هم المسلمون الاندلسيون الذين لبثوا تحت حكم المسيحيين المتغلبين على بلادهم وقد كانوا كثيرا ما يضطرهم تفاقم الاضطهاد عليهم الى الرحيل لبلاد الاسلام .

(11) « المغرب الاقصى » مطبعة دار الطباعة الحديثة بمصر ، ص 35 ، مجلة « تطوان » — العدد السادس — ص 146 و 150 .

(12) ص 1 ، وينبغي أن يذكر بعد الشخصيتين الساميتين : عبد الرحمان القطان الذي كان يتقن اللغة الانجليزية ، والاسبانية ويقوم بالترجمة بهما في بلاط المنصور السعدي « مجلة تطوان » عدد 8 .

لا يسع الباحث الا ان يرحب بها ، ويكبر المصادر التي حافظت عليها .

1 ـ ابو القاسم الغساني

هذا أول رجال التعريب الاربعة ، وهو ابو القاسم ابن محمد بن ابراهيم الغساني ، الشهير بالوزير ، الاندلسي ثم الفاسي ، ولد عام 955 هـ / 1548 م ، وبقي بقيد الحياة الى ما بعد عام 1000 هـ / 1592 م ، اما تاريخ وفاته فهو مجهول (13) ، عالم اديب طبيب، تفرد بمشيخة الطب بفاس ومراكش ، وتوجد ترجمته بعدة مصادر مغربية (14) ، ومنها : « روضة الآس ، العاطرة الانفاس ، في ذكر من لقيت من اعلام الحضرتين: مراكش وفاس » (15) ، وهو اسم رحلة قام بها ـ في المدينتين ـ جامعها ابو العباس احمد بن محمد المقري التلمساني ، نزيل فاس ، والمتوفى بمصر سنة 1041هـ 1631 م .

وفي هذه الرحلة يذكر المقري قصة اشتغال الغساني بالتعريب ، ويقول :

« وله جملة تآليف رفعها الى المقام الاحمدي المنصوري العلوي . . . ومنها « مغني اللبيب ، عن كتب اعداء الحبيب » ، وذلك انه قدم على امير المؤمنين ـ المنصور السعدي ـ بعض اكابر الروم ، فأتحفه بهذا الكتاب ، مكتوبا بالقلم الاعجمي ، فعربه الشيخ ابقاه الله ، وجعل له خطبة ، وزاد فيه زيادات ، واسماه بما ذكر » .

ان هذه الفقرات ، تفيدنا ـ بدون التباس ـ اسم مغربي اشتغل بالتعريب في هذه الفترة ، وتحدد عنوان الترجمة التي انجزها ، كما تذكر انه اضاف للنص الاصلي زيادات ، وهذا قد نستفيد منه بعض جوانب منهج الغساني في التعريب .

وفوق هذا فان هذه الفقرات تحقق وجودية الترجمة الغسانية ، لما تذكر انها من جملة التآليف التي رفعها ابو القاسم الغساني الى المنصور السعدي

وان المقري يزيد هذه الوجودية تأكيدا لما يذيل النص السابق بهذه الكلمات :

وفيه ـ يقصد « مغني اللبيب » ـ يقول ـ حفظه الله ـ مخاطبا امير المؤمنين نصره الله ، ووافق ذلك الزمان ، قدوم البشير بفتح السودان :

هنيئا لك المنصور دانت لك الدنا
وذلت لك الامـلاك ذل الترهب
فضضت ختاما لم يفض لسابق
بفتح الزنوج **والكتاب المعرب**

فهذا النص الاخير يزيد واقعية الترجمة الغسانية تأكيدا ، ويحدد تاريخها بعام 1000 هـ / 1592 م حيث ان هذا هو تاريخ فتح السودان على عهد المنصور السعدي

هذا ويوجد بالخزانة الملكية ، مخطوط طبي يقع ضمن مجموع ، ويحمل رقم 2877 ، وهو عبارة عن قطعة مبتورة الطرفين ، وتتألف من 26 ص ، ويهمنا من هذه القطعة انها لما تحدثت عن « العشبة الرومية » (16) ، ختمت الحديث عنها بهذه العبارة :

---

13) مما يؤكد هذا أن محمد بن الطيب القادري أورده في « التقاط الدرر » في خاتمة المائة الحادية عشر التي ذكر فيها من لم يقف على تعيين زمن وفاته من اهل هذه المائة ، وهذا المصدر لا يزال مخطوطا ومنه نسخ في خزائن خاصة وعامة (*) .

14) منها « درة الحجال » رقم 1347 .

15) نسخة المكتبة الملكية بالرباط رقم 220 ، وهي نسخة وحيدة مكتوبة بخط مؤلفها ، وتشتمل على بعض الباب الثاني والباب الثالث من الكتاب ، عدد صفحات الموجود منها 327 . وقد تم طبعها ـ اخيرا ـ بالمطبعة الملكية بالرباط

16) هي التي صارت تعرف بعد بـ « العشبة الهندية » نسبة للهند المغربية التي كان يقصد بها ـ اذ ذاك ـ امريكا ، وهي موضوع الرسالة المعنونة بـ « النفحة الوردية في العشبة الهندية » تأليف عبد القادر بن العربي ابن شقرون المكناسي، مخطوطة في بعض الخزائن الخاصة .

* عثرت اخيرا على تحديد تاريخ وفاته ، وهو سنة 1019هـ ، وقد ورد ـ عرضا ـ في « الاتقان والاحكام ، في شرح تحفة الحكام » وهو اسم شرح محمد بن احمد ميارة الفاسي على رجزية ابن عاصم في احكام القضاء « التحفة » ج 1 ص 442 ط فاس سنة 1299 هـ .

« ونحن وقفنا عليها مصورة في الكتاب الرومي المعروف – تصحيف عن المعرب – لمولانا ابي العباس المنصور » .

فهذا الكتاب الرومي المعرب ، لا يبعد ان يكون هو « مغني اللبيب » لانه هو الكتاب الوحيد المعروف – لحد الآن – تعريبه برسم ابي العباس المنصور السعدي .

واذا ترجح هذا فهو يضاعف الامل في العثور على الترجمة الغسانية في يوم ما . كما يفيد أن مادة الكتاب المعرب هي الطب ، ويقرب هذا ان هذه المادة هي الفن الذي برز فيه ابو القاسم الغساني حتى قال عنه في « روضة الآس » : انه تفرد بعلم الطب بالحضرتين : فاس ومراكش » .

ويقرب هذا ايضا ما سجله ابو القاسم هذا في افتتاحية « حديقة الأزهار » من ان اهتمام المنصور السعدي بالطب كان فوق كل اهتمام .

وبعد هذا نذكر ان المقري لم يوضح اللغة التي نقل عنها الكتاب ، واكتفى بالتصريح بأن الاصل مكتوب بالقلم الاعجمي ، وهي كلمة تتسع لاكثر من لغة اجنبية ، على انه لا يبعد ان يعني بها احدى اللغتين : البرتغالية أو الاسبانية ، استنادا لما تقدم في صدر هذا البحث ، من وجود العارفين باللغتين – معا – بالمغرب ، واذا كان لنا ان نرجح احدى اللغتين فهي البرتغالية التي يبدو انها كانت – آنذاك – اكثر استعمالا بالمغرب .

2 – ابو محمد المسفيوي

هو ابو محمد الحسن بن احمد بن الحسن المسفيوي المراكشي المولود سنة 968 هـ/1560 م (17) ؛ وتاريخ وفاته مجهول .

أديب مشارك مع رسوخ في الطب حسبما في « روضة الآس » التي تثبت له « تعريبه لبعض الكتب الطبية » .

ان هذه النفثة من المقري تفيد – بوضوح – اسم مغربي ثان ، اشتغل بالتعريب – في هذا العصر – في مادة الطب ، وبعد هذا لا نستفيد شيئا آخر عن عمل المعرب في هذه الترجمة ، فلا نعلم اسم الكتاب المعرب الذي لا يزال في حكم المفقود ، كما لا نعرف خطته في الترجمة ، ولا اللغة التي وقع التعريب عنها .

وفي خصوص هذه الملاحظة الاخيرة ، يمكن ان نقول : ان الكتاب عرب عن احدى اللغتين الآنفتي الذكر ، او البرتغالية بالخصوص ، استنادا على ما ذكر بصدد الترجمة الغسانية ، سيما والمترجم المسفيوي تلميذ للغساني في فن الطب ، كما تسجل هذا « روضة الآس » .

3 – الشهاب احمد الحجري

هذا ثالث رجال التعريب في هذه الفترة ، وهو اندلسي متمغرب ، حيث انه اقام بالمغرب ما يزيد على 38 سنة .

ولا توجد له ترجمة في المراجع المعروفة ، وما اكثر امثاله من الذين ضاعت تراجمهم ، وانما يعثر بين الفينة والفينة على بعض موضوعاته التي توضح جوانب من حياته ، وهذه هي التي سنستعرضها – قبل الحديث عن عمل الحجري في ميدان التعريب – لنحاول أن نستخرج منها ما يلقي بعض النور على ترجمته ، ولهذا سيتسع الحديث عن حياته ، على عكس الواقع في المعربين السابقين حيث توجد لكل منهما ترجمة – ولو محدودة – في مراجع متداولة .

ان اول آثار الحجري ظهورا ، هي فقرات من رحلته المعنونة ب « رحلة الشهاب ، الى لقاء الاحباب » وقد وردت هذه الفقرات – كاملة – في « زهر البستان » ، في نسب اخوال مولانا زيدان (18) لمحمد العياشي (19) . وعن هذا المصدر نقلها المؤرخان : السيد عباس بن ابراهيم في « الاعلام ، بمن حل بمراكش واغمات من الاعلام » (20) مع محمد العبدي الكانوني في جواهر الكمال ، في تراجم الرجال » (21 ، كما ان

17) له ترجمة وجيزة في « درّ الحجال » رقم 356 ، وقد خلت من تاريخ وفاته على خلاف « روضة الآس » ، التي توسعت في ترجمته ، واوردت له الكثير الطيب من شعره .

18) توجد منه نسخ متعددة ، ومنه نسخة مخطوطة بالخزانة العامة بالرباط ، تقع ضمن مجموع يحمل رقم د 2152 .

19) له ترجمة في « اتحاف اعلام الناس » لابن زيدان ، ج 4 ص 100 – 105 .

20) الجزء الثاني ص 69 – 72 .

21) ج 1 ص 87 – 93 .

اليفرني في نزهة الحادي » (22) اختصر من تلك الفقرات ما نقله بالمعنى واورده من حفظه .

الاثر الثاني : قطعة من كتاب وضعه الحجري في الرد على المسيحيين واليهود ، وسنتبين ان هذا الكتاب يسمى « ناصر الدين ، على القوم الكافرين » وتوجد كراريس منه في حوزة الاستاذ المستشرق جورج كولان ، حيث وقف عليها الاستاذ الكبير محمد الفاسي مدير جامعة محمد الخامس ، وقد لخصها تلخيصا وجيزا في موضوعه « الرحالة المغاربة وآثارهم » (23)

الثالث : ترجمة لكتاب في فن المدفعية ، قام بها الحجري وسماها : « كتاب العز والمنافع ، للمجاهدين بالمدافع » ، وسنتحدث عن هذه الترجمة بعد ، بما أنها من صميم موضوعنا ، ويهمنا الآن منها خاتمتها التي توجد في نسخة الخزانة العامة بالرباط ج 87 ، وقد كتبها الحجري بقلمه ، وذيل بها الكتاب المترجم .

وفي هذه الخاتمة نظفر بمعلومات قيمة جدا عن حياته ، فاذا اضفناها للمعلومات القليلة التي يمدنا بها الاثران السابقان تكون قد اطلعنا على جوانب مهمةمن حياة الحجري ، وهي التي سنستعرض هنا مشفوعة بالتوضيحات المطلوبة :

انه يقدم اسمه هكذا : احمد بن قاسم بن احمد ابن الفقيه بن الشيخ الحجري الاندلسي (24) وهو يلقب بشهاب الدين وبأفوقاي (25) .

اما الجهة التي ينتسب لها من الاندلس فقد تفيد كلمة الحجري انها قرية « احجر » الواقعة حوز غرناطة ، وهي التي يعتقد البعض انها محرفة عن قرية الحجر (26) .

ولا يعارض هذا ما في « رحلة الشهاب » من تصريحه بانه ـ قبل هجرته للمغرب ـ كان يسكن باشبيلية ، لان هذه كانت من بين المدن التي صار اليها بقايا الاندلسيين باسبانيا بعدما طردوا عن السكنى في غرناطة وناحيتها (27) .

وفي صدد حياته بالاندلس وهجرته الى المغرب يذكر ان اول ما تكلم به ببلاد الاندلس كان بالعربية ، ولما كانت محاكم التفتيش تعاقب كل من يقرا العربية تعلم اللغة الاسبانية واقتصر في باديء الامر على دراسة ما يحتاج له للمخاطبة والمخالطة ، ثم خطرت له فكرة الهجرة الى بلاد الاسلام ، ولكنه وجد ان بقايا الاندلسيين كانوا ممنوعين من الوصول للبلاد الشاطئية ، خشية ان يفروا منها الى البلاد الاسلامية، وهنا قر عزمه على التعمق في دراسة الاسبانية ، ليؤثر بثقافته العالية على الاسبانيين حتى يحسبوه اسبانيا اصيلا ، ويمكنه الوصول للبلاد الشاطئية ، وهكذا اعتكف ـ سنين ـ على دراسة الاسبانية حتى برز فيها .

وقد نجح الحجري في تصميمه ، واستطاع ان يصل الى احدى بلاد الاندلس الشاطئية التي سافر منها تحت ستار اسباني الى بلاد الاسلام (28) .

وكان سفره من مرسى « شنتمرية » (29) على متن سفينة تحمل القمح للبريجة « مدينة الجديدة الحالية » ومن هذه المدينة فر الى داخل المغرب الاقصى ، فدخل مدينة آزمور واتصل بقائدها الذي كتب للمنصور الذهبي في شانه ورفيقه الذي هاجر معه فأجابه بأن يستحضرهما معه في حضوره لعيد الاضحى الذي كان قريبا ، وهكذا سار الحجري

---

(22) طبع فاس ص 99 .
(23) مجلة « دعوة الحق » السنة الثانية ـ العدد الثالث ، ص 22 .
(24) العز والرفعة ـ ورقة 112 ب .
(25) في « زهر البستان » قدم الفقرات التي نقلها عنه هكذا : « ففي رحلة شهاب الدين الحجري الاندلوسي المعروف بآفوقاي واقتصر في « الصفوة » على تلقيبه بأفقاي .
(26) انظر « الاحاطة ، في اخبار غرناطة » المجلد الاول ص 134 ، الطبعة الثانية .
(27) قصة هذا الطرد اشار لها في خطبة « العز والرفعة » ، ورقة « 1 » ب .
(28) « العز والرفعة » ، ورقة 116 ب 117 ـ ا .
(29) شنتمرية الغرب ، وهي مدينة اسلامية قديمة ، من مدن كورة اكشونبة ، وتقع جنوبي غرب الاندلس ، وقد استولى عليها البرتغاليون نحو سنة 652 هـ/ 1253 م ، قال في الروض المعطار ص 115 : « وشنتمرية على معظم البحر الاعظم سورها يصعد ماء البحر فيه اذا كان فيه المد » .

ورفيقه في صحبة قائد آزمور حتى وصلوا الى محلة سلطان المغرب التي كانت مخيمة بتانسيفت بسبب وباء كان بمدينة مراكش (30) ، وقد كان هذا الوباء في سنة 1007 ، ومن هذا نعلم تاريخ اتصاله بالمنصور وسنة هجرته للمغرب (31) .

اما عن حياته بالمغرب ، فيستفاد من بعض كلامه انه استوطن مدينة مراكش طيلة مقامه بالمغرب (32) ، وقد امتدت هذه الاقامة من اواخر سنة 1007 هـ حتى سنة 1046 هـ .

وهو يذكر — في اعتزاز — انه كان ترجمانا لدى السلطان زيدان بن احمد المنصور السعدي سنين عديدة ، وكان — أيضا — كاتبه باللسان العجمي « الاسباني » ثم قام بالترجمةعن السلطانين ولديه(33) الذين لم يسمهما ، ولاشك انه يقصد ابا مروان عبد الملك بن زيدان ، واخاه الوليد بن زيدان ، وقد كانت مبايعة عبد الملك بعد وفاة زيدان الواقعة في المحرم عام 1037 هـ / 1627 م ، ووفاته في 6 شعبان 1040هـ 1630 م ، وفي نفس هذا التاريخ بويع الوليد المتوفىفي 14 رمضان 1045 هـ / 1635 م .

والحجري يتحدث عن سفارة قام بها الى فرنسا ، وكانت عن زيدان فيما يظهر ، وقد زار فيها باريس ، وبوردو ، والهافر ، وبعد قضاء مهمته في فرنسا ابحر الى هولاندا ، ودخل امستردام ولايدن ، ثم ذهب الى لاهاية ، واتصل باميرها ، فطلب منه هذا الامير ان يفصل له الكلام على طرد الاسبان للمسلمين من الاندلس ، فأجابه لطلبه .

وفي كل من فرنسا وهولاندا ، جرت له مناقشات دينية ، مع القسيسين والرهبان ، واحبار اليهود ، وهو في الرد علىهؤلاء — جميعا — يحتج عليهم بالانجيل والتوراة ، وقد درس ترجمتيهما بأوربا لهذه الغاية ، واستعملها في مناظرته التي يذكر انه وفق فيها مرارا عديدة (34) .

وعدا اتصال الحجري بملوك المغرب ، فقد كانت له علاقة ببعض علمائه ، حيث يذكر انه اخذ علم النجوم بمدينة مراكش عن الفقيه احمد المصيوب الفاسي (35) ، كما يتحدث عن مجالسته لقاضي الجماعة بنفس المدينة عيسى بن عبد الرحمان السكتي السكتاني (36) .

وبعد هذا نذكر ان الحجري بعد اقامته الطويلة بالمغرب سافر عنه لاداء فريضة الحج في تاريخ سيحدد بعد وهو يذكر عن سفره هذا انه جاء من مدينة مراكش الى قصبة سلا ورباطها — على حد تعبيره — وركب البحر هناك فحج وزار السيد الرسول صلوات الله تعالى عليه وعلى آله (37) ، ثم عرج في ايابه على مصر ، وممن اتصل به هناك عالمها الشيخ علي (بن محمد بن عبد الرحمان) الاجهوري (38) الذي اشار

---

(30) رحلة الشهاب .
(31) « جواهر الكمال ، في تراجم الرجال » ج 1 ص 93 .
(32) هذا يؤخذ من اول خاتمة « العز والمنافع » ورقة 112 ب .
(33) « العز والمنافع » ورقة 112 ب .
(34) سفارة الحجري بأوربا وماجرياتها : ورد حديثها في العز والمنافع » ورقة 117أ وفي « التلخيص الوجيز لكتاب ناصر الدين ، على القوم الكافرين » المشار له صدر هذه الترجمة .
(35) التلخيص الوجيز لكتاب ناصر الدين ، اما استاذ الحجري في التنجيم فتوجد ترجمته في « صفوة من انتشر » ص 104 وفي « الاعلام ، بمن حل بمراكش واغمات من الاعلام » ج 2 ص 82 — 83 ، وقد سمي في المصدرين احمد بن قاسم بن الفقيه معيوب — بالعين — الاندلسي .
(36) « العز والرفعة » ورقة 117 أ ، وانظر ترجمة السكتاني في « نشر المثاني » ج 1 ص 201 .
(37) « العز والمنافع » ورقة 112 ب ، وهنا نذكر ان الحجري ينبغي أن يلحق بلائحة « حجاج الاندلس بعد سقوطها » وهو موضوع تناوله الاستاذ الكبير عثمان الكعاك ، وكتب عنه بحثا في مجلة « الثريا » السنة الثانية : العددين 11، 12 وقد يحدث فيه عن الحاج المزوني .
(38) راجع ترجمة الاجهوري في « صفوة ما انتشر » ص 126 .

عليه بوضع كتاب عن مناظراته مع المسيحيين واليهود باوربا ، فجمع تاليفا فى هذا الموضوع وسماه : « ناصر الدين ، على القوم الكافرين » (39) وهو الذي توجد كراريس منه لدى المستشرق الفرنسي جورج كولان (40) يقع كتاب ناصر الدين فى اثنى عشر بابا ، وقد فرغ من تاليفه بمصر يوم الجمعة 21 ربيع الثاني ، سنة 1047 هـ / 1637 (41) م .

وهذا التاريخ قد يحدد سنة رحلة الحجري عن المغرب للحج ، اذا قدرنا انه عاد من الحرمين الشريفين الى مصر اثر فراغه من مناسك الحج والزيارة ، وهذا قد يؤيده حديثه عن رحلته للحج ، حيث لم يذكر انه جاور بالحرمين الشريفين ، كما لم يذكر انه اطال المقام بمصر ، وبهذا يقدر انه سافر عن المغرب للحج فى سنة 1046 هـ / 1636 م ، ويقرب هذا ان ثالث الملوك السعديين الذي قام بالترجمة عنه وهو الوليد بن زيدان انما توفي فى 14 رمضان سنة 1045 هـ / 1635 م ، ثم تبدلت الاحوال السياسية بالمغرب اثر وفاته مما يظهر ان له دخلا فى اتجاه المترجم للبقاع المقدسة .

وهكذا تتوضح سنة رحلة الحجري عن المغرب ، كما نتبين مدة اقامته بالمغرب التي تزيد على 38 سنة ، تبتدىء من اواخر عام 1007 هـ الى عام 1046 ، ولاشك انها مدة كافية لمغربة المترجم .

هذا وقد انتقل الحجري من مصر الى تونس، وقد اثار اعجابه بتونس واليها الداي ابو المحاسن مراد ، فتحدث عن سيرته ومنشآته الدفاعية (42)، وفى مدينة تونس تعرف بأحد المهاجرين الاندلسيين (43) وهو ابراهيم غانم الشهير بالاسبانية بالرباش بن احمد غانم الاندلسي ، واصله من تدلش من اقليم غرناطة ثم انتقل منها الى جهة قرب مدينة غرناطة ، وهناك نشأ واقام الى ان اجلي عنها — ضمن بقايا المدجنين — الى اشبيلية ولما أجلى الاسبان هؤلاء من شبه الجزيرة هاجر الى تونس التي وصلها أخريات ايام الداي عثمان (44) .

وقد اطلع ابراهيم غانم الحجري على كتاب وضعه فى فن المدفعية باللغة الاسبانية ورغب منه ان ينقله الى اللغة العربية التي يجهلها واضع النص الاسباني (45) ، فاستجاب الحجري لهذه الرغبة الكريمة ، وقام — كما سيذكر — بتعريب الكتاب الذي فرغ منه فى 10 ربيع الثاني سنة 1048 هـ (46) .

❋

تلك هي المعلومات المتصلة بحياة الحجري، مقتبسة من موضوعاته الثلاثة المشار لها صدر هذه الترجمة ، مع ما انضاف لها من التوضيحات والتعاليق .

ولسوء الحظ فان هذه المعلومات تنقطع اثناء مقام المترجم بتونس ، وبالضبط من عاشر ربيع الثاني عام 1048 هـ ، وبعد هذا لا ندري هل بقي هذا بتونس ، او انتقل عنها ؟ وهل عاد الى المغرب الاقصى ؟ وما هو نشاطه العلمي بعد تعريب الكتاب المذكور ؟ وما هو تاريخ وفاته ؟ واين توفي ودفن ؟ كل هذه اسئلة ستظل بدون

---

(39) « العز والمنافع » ورقة 117 ا ، ب .

(40) انظر ص 4 من هذا البحث .

(41) التلخيص الوجيز لكتاب « ناصر الدين » ، هذا ومن المفيد ان نذكر ان المستشرقة الايطالية كليليا سارنللي شركوا تعتكف — الان — على نشر القسم الخاص بالمغرب الاقصى من كتاب « ناصر الدين » ، وترجمته الى اللغة الايطالية ، وذلك عن مخطوطة القاهرة .

(42) « العز والمنافع » ورقة 113 ب — 114 ا ، ب ، والداي مراد هو المعروف باسطا مراد ، وقد بويع بالولاية على تونس فى 23 رجب 1047 هـ ، وكانت وفاته ليلة الاحد 18 ربيع الاول 1050 هـ ، ولدولته ذكر فى « الحلل السندسية ، فى الاخبار التونسية » تاليف المؤرخ التونسي محمد الوزير ، وكذا فى المؤنس لابن أبي دينار ص 187 — 188 .

(43) « العز والمنافع » ورقة 112 ب .

(44) المصدر الاخير ، ورقة ا ب و 2 ا ، اما الداي عثمان فقد توفي يوم الاحد 13 رجب 1019 هـ ، ودولته مذكورة فى « الحلل السندسية » و « المؤنس » ص 181 — 183 .

(45) « العز والمنافع » ورقة 112 ب .

(46) المصدر الاخير ، ورقة 108 ا .

جواب ما دمنا لم نقف على مصدر او مصادر جديدة عن حياته .

ورغما عن هذا كله ، فان المعلومات التي امدتنا بها موضوعات الحجري الثلاثة مفيدة جدا عن حياته ، ولولاها لكان في عداد المجهولين .

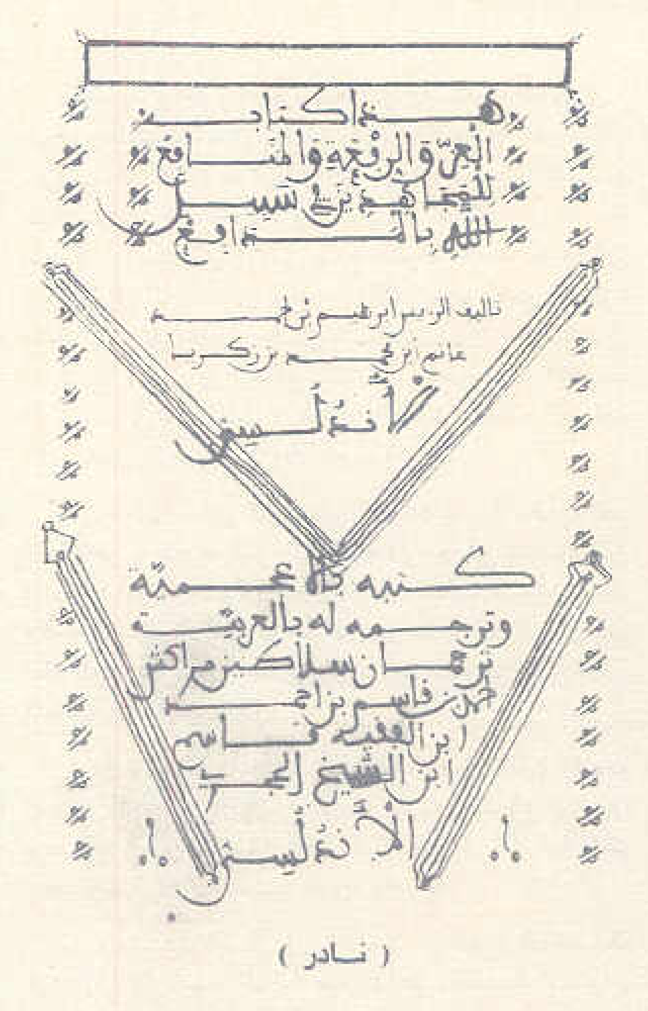
أ ــ كتاب « العز والمنافع » :

والآن وقد قدمنا ــ حسب الامكان ــ حياة الحجري ننقل الحديث الى نشاطه في ميدان الترجمة ، ونذكر أنه قام بتعريب مؤلفين اثنين : احدهما في فن المدفعية ، والثاني في علم التعديل ومنهما ــ فقط ــ يستفاد اشتغاله بالتعريب العلمي ، وسندرسهما ــ تباعا ــ فيما يلي :

وفاقا لما ذكر آنفا ، قام الحجري بترجمة مؤلف ابراهيم غانم في المدفعية ، من الاسبانية الى العربية ، ولما أتم هذه الترجمة سماها ــ باتفاق مع مؤلف الاصل الاسباني ــ : « كتاب العز والمنافع ، للمجاهدين بالمدافع » (47) ، ومن حسن الحظ ان ابقى الزمان على هذه الترجمة التي توجد منها نسخ في المغرب والجزائر وفيينا وفي دار الكتب المصرية بالقاهرة (48) .

وفي المغرب بالخصوص يعرف منه ــ لحد الآن ــ ثلاث نسخ : الاولى بالخزانة العامة بالرباط تحت رقم ج 87 ، والثانية بنفس الخزانة وتقع آخر مجموع يحمل رقم د 1342 وهي ناقصة من آخرها اما النسخة الثالثة فهي محفوظة بالمكتبة الملكية بالرباط ، وتحمل رقم 2646 ، وكانت نسخة منه في خزانة القرويين بفاس ثم فقدت .

ويأتي في مقدمة النسخ المغربية : مخطوطة الخزانة العامة التي تحمل رقم ج 87 ، فهي ــ فيما يظهر ــ مكتوبة تحت اشراف المعرب نفسه الذي يوجد خطه في هوامشها بالالحاق والتصحيح ، وهي ــ أيضا ــ تنفرد بالخاتمة المكتوبة بقلم المعرب نفسه ، وبما يتبعها من الملاحيق .


هذا كتاب
العز والرفعة والمنافع
للمجاهدين في سبيل
الله بالمدافع
تاليف الرئيس ابراهيم بن احمد
غانم بن محمد بن زكريا
الاندلسي
كتبه بالعجمية
وترجمه له بالعربية
ترجمان سلاطين مراكش
احمد بن قاسم بن احمد
ابن الفقيه قاسم
ابن الشيخ الحجري
الاندلسي

(نادر)

ولهذا ستكون هذه النسخة هي معتمدنا فيما سنحاول من دراسة لهذه الترجمة، كما كانت ــ سابقا ــ مرجعا لما اقتبسه منها هذا البحث عن حياة الحجري.

ان الكتاب يتناول فن المدفعية ، ويشتمل على افتتاحية ، وخمسين بابا ، وخاتمة ، وفي الافتتاحية يقدم مؤلف الاصل معلومات عن حياته بالاندلس وتونس:

فيتحدث عن اسفاره البحرية بين اسبانيا وامريكا ، ومخالطته ــ اثناء هذه الاسفار ــ للمدفعيين الاسبان ، وحضوره مداولاتهم المدفعية التي كانوا ــ في بعض الاوقات ــ يرجعون فيها الى الكتب المؤلفة في هذا الفن ، وقد كان المؤلف يحفظ بعض ما يتفقون عليه، ويباشر بيده العمل المدفعي .

(47) هكذا ورد اسم هذه الترجمة « أثناء الخاتمة » ورقة 115 أ ، اما العنوان الذي وضعه لها اول الكتاب فقد جاء هكذا : « كتاب العز والرفعة والمنافع ، للمجاهدين في سبيل الله بالمدافع » .

(48) جاءت الاشارة لهذه النسخ الموجودة خارج المغرب ، في « تاريخ آداب اللغة العربية » لجرجي زيدان ج 3 ص 339 .

ثم يذكر خروجه من الاندلس واستقراره بتونس ، حيث توظف مع الداي عثمان (49) فى البحرية التونسية، وتراس على فرقة قوامها 200 من الاندلسيين الذين صار يسافر بهم للجهاد فى البحر ، وقد اسر فى ثانية سفرة ، واستمر فى الاسر سبع سنوات ، عاد بعدها الى تونس ، فى ايام الداي يوسف (50) ، وهو الذي امره بالجلوس فى حصن حلق الوادي (51) ، فاشتغل بمباشرة العمل فى المدافع بيده ، وبدراسة الكتب الموضوعة فى هذا الفن ، وهكذا اكتملت ثقافته المدفعية التي باشر دراستها قراءة وتطبيقا .

وحينما عاين المدفعيين التونسيين لا خبرة لهم بهذا الفن ، حفزته غيرة اسلامية الى وضع كتاب فى فن المدفعية لتوجيه هؤلاء ، وارشاد رؤسائهم ، وقد وضعه باللغة الاسبانية التي لا يعرف سواها ، وترجى أن يتم نقله للعربية ، حتى يتمكن من توزيع نسخ منه على بعض الممالك الاسلامية (52) .

وهنا ينتقل المؤلف الى الباب الاول الذي هو كمدخل لموضوع الكتاب : فيذكر تاريخ اختراع البارود، ويصحح انه وقع سنة 768 هـ / 1366 م ، كما يذكر تنظيمات فرق المدفعيين باروبا وامريكا .

وبعد هذا يصل الى صميم موضوع التاليف فيتناول المواضيع التالية موزعة على بقية ابواب الكتاب 2 — 50 :

شرح ما تتركب منه الآلات البارودية المعدنية — انواع المدافع الثلاثة ، وهي : النارية ، ومدافع التهديم ، ورميها يكون بكور من حديد ، الثالثة المدافع الحجارة التي ترمي بكور من حجارة — مسائل تتعلق بالمدافع الغير الحجارة — السبب الموجب لكون المدافع النارية على الحالة التي هي عليها فى طولها وعرضها، وعمارتها — الرمي بالقياس ، وما يحتاجه المدفعي لهذه العملية من آلات هندسية ومعرفة — عمل الرائز والعجلات للمدافع — مسائل عن المدافع الحجارة — معادن انواع المدافع — اختبار الآلات الجديدة الخارجة من معمل التذويب — ذكر الهواء الذي يكون لكل كورة — عملية استخراج الكورة الناشبة فى داخل المدفع — عملية نزع المسمار الذي يضعه العدو فى بخش المدفع — كيفية تبريد المدافع — المسطرة العددية التي يعرف بواسطتها ما تزن كل كورة « وهذا المبحث مؤكداته من أسرار المهنة » — طريقة معرفة البعد او الارتفاع — اختبار البارود لتعرف جودته أو رداءته — كيفيةعمل البارود — طريقة اصلاح البارود الفاسد — طريقة استخراج ملح البارود ، مع ذكر المواضع التي يوجد بها ، علاوة على الاماكن المشهورة — اختبار ملح البارود لمعرفة خلوصه وكيفية تخليصه — الكور المدبرة بالنيران — التراكيب التي توضع فى هذه الكور — المواضع الصالحة للمدافع — صفة عمل السلال التي يتستر بها المدفعيون من رمي الاعداء — طريقة معرفة العدو المحاصر هل ينقب

---

(49) انظر عنه التعليق رقم 44 .

(50) صار على راس الولاية التونسية اثر وفاة الداي عثمان ، وتوفي ليلة الجمعة 23 رجب 1047 هـ ، ودولته مذكورة فى « الحلل السندسية » و « المؤنس » ص 183 — 187 .

(51) بنفس المكان الذي يوجد به رباط الامير ، المؤسس على عهد الاغالبة وعلى بضعة اميال من دار الصناعة التي اسسها حسان بن النعمان فى القرن الاول ، وعلى كثب من القوطون : دار الصناعة الفينيقية — « مراكز الثقافة فى المغرب »: محاضرات الاستاذ عثمان الكعاك ، ص 98 .

(52) يفيد هذا المصدر الاخير ص 98 : أن ابن غانم كان يعلم المماليك بقطاشية حلق الوادي ، وجند زواوة بشيرية ، المكان : « سيدي الشريف البشري » ، كما يذكر انه ترجم — عن الاسبانية — كتاب « المان » ، وهو أعظم كتاب فى الحساب والجبر والهندسة .

وقد وقع للاستاذ الكعاك سبق قلم ، حيث سمى المذكور بمحمد بن غانم ، فى حين ان هذا المؤلف فى افتتاحية كتاب « العز والمنافع » يسمي نفسه ابراهيم غانم ، كما ان ما نسبه له من ترجمة كتاب « المان » بعيد — ان كان يقصد الترجمة للعربية — حيث أن ابراهيم غانم يصرح فى افتتاحية « العز والمنافع » انه لا يعرف العربية ، وقد يكون الذي قام بترجمة هذا الكتاب هو الحجري رفيقه ومترجم كتاب العز والمنافع » .

تحت الارض ؟ – حيل لتركيب المدافع – كيفية السفر بالمدافع فى البر – عمل القناطر على الاودية – سر فرقعة ودوي البارود – ما يحتاجه المدفعي للسفر في البر والبحر بآلات البارود – كيفية استخراج ملح البارود من التراب وطريقة تخليصه – طريقة جديدة لعمل البارود حسب آخر ابتكار لصنعه .

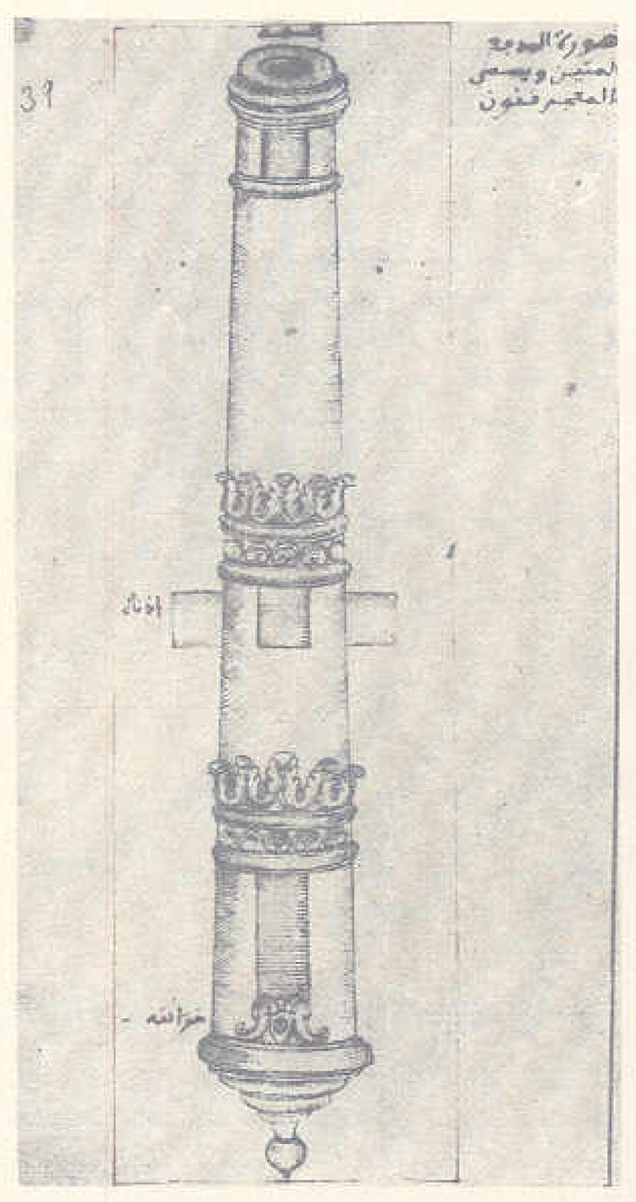
هذه أهم المواضيع الرئيسية للكتاب الذي وضحه المؤلف برسوم تحمل طابعا اسبانيا ، وتبلغ 70 رسما لاشكال المدافع وتوابعها .

وقد جاء فى آخر الباب 48 : ان المؤلف ابتدا كتابة النص الاسباني – فى حصن حلق الوادي من مدينة تونس – عام 1040 هـ / 1630 م ، ثم اكمله فى 22 ربيع النبوي عام 1042 هـ / 1632 م (53) .

اما اسلوب الترجمة فواضح سهل ، تتخلله تعابير عامية ، ومن حسن الحظ ان هذه الترجمة تمت بتعاون بين المؤلف والمعرب الذي كان مهما اشكل عليه شيء فى النص الاسباني ، يرجع الى المؤلف ليستوضحه ثم يثبت الترجمة طبق تفسيره (54) .

والكتاب مذيل بخاتمة من وضع المعرب ، وهي مما انفرت به النسخة التي اعتمدها هذا البحث ، وهي – ايضا – اهم مراجعنا عن حياة الحجري ، وقد تحدث فيها عن جوانب من حياته بالاندلس والمغرب ، وذكر رحلته للشرق وتونس التي تعرف فيها بمؤلف الكتاب المترجم ، وقد قص حديث ترجمته لهذا الكتاب وخطته فيها ، كما سجل اعجابه بوالي تونس الداي ابي المحاسن مراد « اسطا مراد » واسهب فى ذكر سيرته ومنشآته الدفاعية ، وسوى هذا ، فان الخاتمة تلم ببعض مظاهر العلاقات بين المسلمين والمسيحيين آنذاك .

وقع الفراغ من الترجمة وخاتمتها فى 10 ربيع الثاني عام 1048 هـ (55) / 1638 م ، عدد اوراق مجموع الترجمة والخاتمة : 117 (56) ، مسطرة 22 ، مقياس 300 / 210 ، خط اندلسي يميل للتونسي ، وهو خط جميل واضح ملون مصحح .



من رسوم كتاب « العز والمنافع »

ويوجد – بعد الخاتمة – ملحق يشتمل على ثلاثة تنويهات بالكتاب : الاول صادر عن المفتي الحنفي بالديار التونسية السيد احمد الشريف الحنفي (57)،

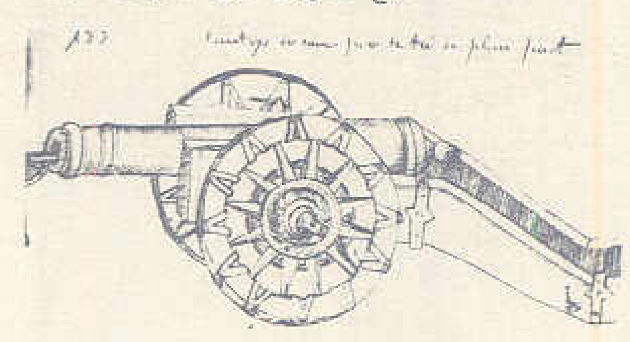
---

(53) « العز والمنافع » ورقة 108 ا .
(54) المصدر ورقة 114 ب .
(55) المصدر ورقة 108 ا .
(56) تبتدىء الخاتمة اثناء ورقة 112 ب وتنتهي اثناء الورقة 117 ب .
(57) تركي ولد بتونس ودرس بها ، وله ترجمة فى شرح « الرجزية الموضوعة فى المفتين الحنفية بتونس النظم والشرح لمحمد بيرم الثاني التونسي : ص 117 – 120 من المجموع الذي يشتمل على هذا الشرح ، والمحفوظ بالخزانة العامة بالرباط تحت رقم ك 1102 . وتوجد ترجمته – ايضا – فى « ذيل بشائر اهل الايمان » ص 75 – 76 .

ومكتوب بخطه الشرقي ، وفيه يشهد بأنه طالع الكتاب – برغبة من معربه – فوجد فيه نفعا للمسلمين ، وارشادا للمعلمين والمتعلمين ، من اهل صناعة المدافع ورماة المسلمين .

الثاني عبارة عن قصيدة دالية من بحر البسيطء تقع في 11 بيتا ، وهي من شعر الاديب التونسي عبد الرحمان بن مسعود الجبالي (58) ، الذي ذيل بها التنويه الاول ، وكتبها بخطه التونسي ، وفيها يمدح الكتاب ومؤلفه ابراهيم غانم ، ويقول في مطلعها :

هذا المدافع عنا كل مهلكة
من العدو اذا ما امنا وعدا
اهدى لنا حكما تبدى للتنا
نهج الحروب على شكل وما عهدا



احد رسوم كتاب « العز والمنافع للمجاهدين بالمدافع »

الثالث كتبه بخطه التونسي محمد بن عثمان الحشاشي الشريف (59) متفقد خزائن الكتب بالجامع الاعظم والمكلف بتراتيبها .

وهو متاخر عن التنويهين السابقين ، حيث ان هذا انما كتب في 2 محرم سنة 1320 هـ / 1902 م وفيه يعرف بقيمة الكتاب ، ويردد ما قاله المعرب : من ان هذه الترجمة اول كتاب ظهر بالعربية في هذا الفن ، كما يسجل ان بواسطته تعلمت ملوك تونس اعمال المدافع والبارود وآلات الحرب .

هذا ولا يفوتنا ان نذكر ان هذه النسخة التي ندرسها مصدرة بفهرس موسع للابواب ، كما يوجد على أولها ملكية بخط شرقي ، تحمل اسم : « محمود باكير » .

❋

وتتجلى قيمة الكتاب في جدة الدراسات التي قام بها عن الآلات المدفعية وتوابعها ، وفي تصنيف هذه الدراسات ، برسم العالم الاسلامي الذي كان – اذ ذاك – في حاجة ماسة لها .

ويزيد في اهمية الكتاب ان تكون مواده مقتبسة من معارف دولة كانت – آنذاك – تعد في مصاف الدول الطليعة في الميدان المدفعي ، فان المعلومات التي دونها المؤلف في كتابه ، انما استمدها من مخالطته للمدفعيين الاسبانيين ، ومن مباشرته للعمل المدفعي تحت انظارهم ، ومن دراسته لكتب مدفعية اسبانية .

وبهذا يقدم الكتاب آخر ما وصل اليه تطور الفن المدفعي في اوربا اوائل عصر النهضة .

وهكذا يكون في ترجمته للعربية افادة ثمينة للعالم الاسلامي ، وفي صدد هذه الافادة يقول المعرب عن الترجمة العربية : « وظهر لي انه اول كتاب الف بالعربية في هذا الفن (60) .

ومما يدل لتطلع الملوك المسلمين – آنذاك – للاستفادة من مثل هذا الكتاب ما ذكره المعرب عن الملك المغربي زيدان السعدي من انه كان يبذل تشجيعات شخصية لمسيحي أطلعه على بعض اسرار الفن المدفعي ، على حين ان هذا السر لا يعدو ان يكون مسألة واحدة بين المواضيع المدفعية الكثيرة التي درسها هذا الكتاب (61) .

والى جانب المعلومات المدفعية فان مقدمة وخاتمة الكتاب تقدمان معلومات نادرة عن حياة كل من المؤلف والمعرب ، مع بعض احوال الاندلس والمغرب وتونس حينئذ .

كما ان الباب الاول من الكتاب ، يتحدث عن تاريخ اختراع البارود ، ويدقق انه انما وقع اكتشاف سره سنة 768 هـ / 1366 م ، كما يصحح انه فيما

(58) لم اقف على ترجمته .
(59) له ترجمة في « الاعلام » لخير الدين الزركلي ج 7 ص 146 ، وفي « معجم المؤلفين » لمحمد رضا كحالة ج 10 ص 282 .
(60) « العز والمنافع » ورقة 114 ب .
(61) المصدر الاخير ، ورقة 116 ب .

قبل هذا التاريخ لم تعرف آلات بارودية وانما كانت حيل على وجوه عديدة نارية وغيرها (62).

اما اثر هذه الترجمة فقد ظهر في تونس بالخصوص، فقد سجل محمد بن عثمان الحشاشي التونسي في تقريظه المشار له آنفا: أنه بواسطة هذا الكتاب تعلمت ملوك تونس أعمال المدافع والبارود وآلات الحرب.

وبالنسبة للمغرب وغيره من الدول الاسلامية الاخرى فان موضوع تاثير الكتاب بها لا يزال بحاجة الى دراسة، على انه من المحقق أن هذا الكتاب كان معروفا بالمغرب في عهد قريب من تاريخ ترجمته، وكان قد وقف عليه ابو زيد عبد الرحمان بن عبد القادر الفاسي المتوفي سنة 1096 هـ / 1685 م، فان هذا نقل عن كتاب « العز والمنافع » أواخر شرحه على النظم الذي وضعه في العمليات الفاسية، وذلك لما تعرض لمسالة عمل الرصاص في الذكاة، فقد ذكر في هذا الموضع ما نصه:

« ... لحدوث الرمي بهذه المدافع بحدوث البارود حسبما ذكر بعضهم في تاليف له في الجهاد وقتال العدو بالمدافع، وانه استخرجه حكيم كان يستعمل الكيميا، ففرقع له، فاعاده فاعجبه، فاستخرج منه هذا البارود سنة .. وستين وثلاثمائة والف عجمية، ويوافقه في العربي سنة ثمان وستين وسبعمائة ».

فهذه الفقرات تلخيص واضح لما ذكره كتاب « العز والمنافع » في الباب الاول عن اكتشاف البارود (63).

وبهذا يتضح أن هذا الكتاب عرف بالمغرب في زمن قريب من عهد ترجمته.

ب ـ ترجمة الرسالة الزكوطية :

الى جانب ترجمة كتاب « العز والمنافع » ـ وهو في فن المدفعية ـ قام الحجري بتعريب مؤلف في علم التعديل، وهو رسالة زيج زكوط.

توجد نسخة من هذه الرسالة بالمكتبة الملكية بالرباط، وتقع ضمن مجموع يحمل رقم 1433. ومنها يستفاد قيام الحجري بهذه الترجمة، كما يوجد بنفس المجموع جداول متصلة بالرسالة، وهي نفس الزيج المنسوب لزكوط.

ان زكوط هذا او اركوط كما يلقبه البعض (64)، هو اسرائيلي يسمى ابراهيم (65)، وينتسب الى مدينة اندلسية هي مدينة سلمنكة (66) التي وضع

---

(62) تاريخ اختراع بارود المدافع وتعيين مخترعه مسالة شغلت بال طائفة من الباحثين، وبالخصوص رجال الاستشراق، الذين يذكر منهم على سبيل المثال: يوسف أشباخ، في « تاريخ الاندلس في عهد المرابطين والموحدين »: الترجمة العربية، ج 2 ص 58، وص 246 ـ 247، وسيديو في «تاريخ العرب العام»: الترجمة العربية، ص 489 ـ 490، الثالث غوستاف اوبون، في « حضارة العرب »: الترجمة العربية ص 576 ـ 580، وانظر « الاستقصا » ج 2 ص 18 الطبعة الاولى، و « تاريخ التمدن الاسلامي » لجرجي زيدان ج 1 ص 180 ـ 182.

(63) ورقة 3 ب.

(64) هو المعدل عبد الكريم اغبال في رسالته الآتية.

(65) المصدر الاخير.

(66) الرسالة الزكوطية التي تصف سلمنكة بانها مدينة العلوم ببلاد الاندلس. وهذه المدينة هي المعروفة عند العرب بطلمنكة، وتعرف ـ اليوم ـ بـ « شلمنقة »، وهي قصبة الولاية الاسبانية المعروفة بالاسم نفسه، موقعها على ضفة اليمنى لنهر تورمس، على بعد 172 ميلا بالسكة الحديدية شمال غربي مدريد، اشتهرت بجامعتها التي أسسها الفونسو التاسع ملك ليون سنة 1220م واستمرت حتى سنة 1812 م ارجع الى « دائرة المعارف الاسلامية » ـ الترجمة العربية، ج 13 ص 356 ـ 357.

الزيج على طولها (67) ، وكان يعيش في القرن التاسع الهجري وبالضبط كان يكتب زيج رسالته سنة 877هـ 1472 م (68) .

اما الزيج فهو الجداول المذيلة بها الرسالة ، والموضوعة لتعديل الكواكب ، وقد بلغ عددها 248 جدولا موزعة على 248 صفحة ، حيث ينقسم كل جدول – طولا وعرضا – الى مربعات ، يرسم بداخلها الاعداد المعنية بالامر .

ووظيفة هذه الجداول : أن يستخرج – بواسطتها – الحركات الطولية والعرضية ، للكواكب المرصودة ، حتى يعرف موضع الكوكب المرصود في دائرة فلك البروج لاي وقت فرض ، كما يعرف منها – ايضا – زمن حصول الكسوف للشمس ، والخسوف للقمر ، وما الى ذلك .

هذا هو الزيج الزكوط ، وهو – ايضا – مدلول سائر الزيجات الفلكية .

اما رسالة الزيج فهي مدخل ارشادي يوضح خطة العمل في الجداول ، وهي التي قام الحجري بترجمتها الى العربية (69) ، وقد جاءت هذه الترجمة – حسب النسخة الوحيدة التي نعتمدها – خالية من الخطة التي قد تشرح باعث الترجمة ومنهجها وزمنها ومكانها ، وفي آخرها ورد اسم المعرب هكذا : « احمد ابن قاسم بن الفقيه قاسم بن الشيخ الحجر (تصحيف الحجري) الاندلسي »

وهذا يصحح نسبة هذه الترجمة للحجري ، وقد تأكد هذا في خطبة « تحفة المحتاج في علم التعديل بالازياج » وهو مؤلف سنتحدث عنه بعد .

وكلا المصدرين يقرران الرسالة الزكوطية حررها مصنفها بالعبرانية ، ومنها نقلت الى اللغة اللاتينية ، ثم نقلت عنها الى الاسبانية ، وهي اللغة التي قام الحجري بالترجمة منها الى العربية .

تشتمل هذه الترجمة على 24 بابا معنونة هكذا :

الباب الاول في معرفة الطالع وتسوية البيوت الاثنى عشر على اقرب وجه ، الباب الثاني في معرفة موضع الشمس من البروج ، الباب الثالث في معرفة دخول الشمس بأوائل البروج الاثنى عشر ، الباب الرابع في معرفة موضع القمر من البروج ، الباب الخامس في تعديل راس التنين ، الباب السابع في معرفة حركة القمر ، الباب الثامن في معرفة الاجتماعات والاستقبالات ، الباب التاسع في الكسوفات الباب العاشر في تعديل موضع زحل المحقق ، الباب الحادي عشر في معرفة حركة زحل لكل يوم ، الباب الثاني عشر في معرفة عرض زحل ، الباب الثالث عشر في تعديل المركز والحصة بعد مضي الدور الاول ، الباب الرابع عشر في معرفة حركة موضع المشتري ، الباب الخامس عشر في معرفة حركة عرض المشتري ، الباب السادس عشر في معرفة الحركة المحققة للمشتري ، الباب السابع عشر في معرفة موضع

---

67) الرسالة الزكوطية .

68) المصدر الاخير ، هذا ونذكر ان الاخ الدكتور عبد السلام الهراس تكرم فعرب لي في هذا الصدد – عن الاسبانية – ما يلي :
ابراهيم زاكوط اليهودي : ولد في سلمنقة حوالي 1450 م .
عاش في اسبانيا الى ان طرد اليهود في سنة 1492 م ، ذهب – حينئذ – للبرتغال حيث اقام الى نهاية 1496 م ، وفي هذا التاريخ هاجر الى شمالي افريقية واقام في تونس ، وبعد سنوات سافر الى تركيا ، ومن ثم اجتاز نحو دمشق ، وهناك توفي في تاريخ غير معروف : يقول البعض انه توفي سنة 1510 م ، ويقول الاخرون 1515 م ، وهناك من يؤكد انه في سنة 1522 م كان ما يزال حيا .
من بين المؤلفات التي كتبها مؤلفات معجمية . وتاريخية . وفلكية ، من ذلك المؤلف المهم المسمى HAJIBBUR HAGADOLO, ALMANACH PERPECTHRIM
المرجع : اهم مرجع : ابراهيم زاكوط . القرن 15 م للمؤلف الدكتور : فرانسكو كانطيرا بوركوش ، وفي صفحات : 92 – 102 توجد مراجع كثيرة عنه

69) لم ندر ما اذا كان الحجري هو الذي قام بتعريب اسماء الجداول وما فيها من الكلمات ، حيث ان محتويات هذه الجداول منقولة – ايضا – الى العربية .

المريخ ، الباب الموفي عشرين في معرفة الموضع المحقق للزهرة ، الباب الحادي والعشرون في معرفة الحركة المحققة لعرض الزهرة ، الباب الثاني والعشرون في الموضع المحقق للكاتب ، الباب الثالث والعشرون في معرفة حركة عطارد ، الباب الرابع والعشرون في معرفة النمودار : وهو معرفة السنة المحققة التي كان فيها ميلاد بطليموس .

هذه ابواب رسالة الزيج الزكوطي المعربة طبق ما وردت بها ، مع تعديلات توضيحية يسيرة مقتبسة من بعض الرسائل المؤلفة حول هذا الزيج (70) .

اما لغة الترجمة فهي واضحة سهلة في الاكثر ، ويقع في بعض تعابيرها تعقيد ، وتوجد هذه الترجمة مع الجداول المتصلة بها ضمن مجموع المكتبة الملكية الآنف الذكر ، عدد صفحات الرسالة 10 ، مسطرتها مختلفة خطها مغربي متوسط ملون مجدول به تصحيف يسير ، وعدد صفحات الجداول 248 حجم الجميع 205/299 .

وتبدو قيمة ترجمة هذه الرسالة ، في تمكينها لقراء اللغة العربية من الاستفادة من الزيج الزكوطي ، وهو قد قرب الاعمال التعديلية اكثر من زيج ابن البنا (71) الذي شاع — في المغرب بصفة خاصة — منذ تاليفه ، وصار مرجعا لدراسة تعديل الكواكب ، حتى اذا ظهر هذا الزيج الزكوطي اخذ يزاحمه ، لما كان لا يحتاج لكثرة الاعمال الحسابية التي يحتاجها زيج ابن البنا .

❋

اما اثر هذه الرسالة المعربة ، فقد كان بارزا في المغرب الاقصى بالخصوص ، فان المغاربة هم واضعوا المؤلفات التي كتبت لتكميل الرسالة الزكوطية وتوضيحها ، وهذه المؤلفات تدل — بدورها — على مدى اشتغال المغاربة بهذه الرسالة وزيجها ، وقد تدل — ايضا — على ان الحجري انما عرب تلك الرسالة اثناء وجوده بالمغرب ، بما أنها اشتهرت به دون سواه من الاقطار .

هذا ، ولكي يتاكد من فعالية الرسالة الزكوطية وزيجها بالمغرب ، نستعرض طائفة من المؤلفات المغربية المشار لها ، واولها : رسالة الفقيه عبد الله اصشاك المراكشي (72) على الجداول الزكوطية ، ثانيا : تعاليق وضعها عبد الله بن عبد القادر ابو شيخ اللخمي القصري (73) ، وهمش بها على الرسالة الزكوطية

---

(70) يتعلق الامر برسالتين سيتناولهما هذا البحث بعد ، وهما « تحفة المحتاج ، في علم التعديل والازياج » مع « رسالة الانوار ، في التعديل بالادوار » .

(71) هو احمد بن محمد بن عثمان الازدي المراكشي المتوفى عام 721 هـ / 1321 م وزيجه هو : « منهاج الطالب ، لتعديل الكواكب » مخطوط محفوظ في عدة خزائن خاصة وعامة .

(72) لم اقف على ذكره الا عند مؤلف « تحفة المحتاج » الذي يصفه بالفقيه المعدل .

(73) ورد ذكره في خطبة كل من « تحفة المحتاج » و « وكنز الاسرار » وهما — معا — مما ستدرسه هذه العجالة ، ويزيد المصدر الثاني في وصف ابي شيخ بانه احد شراح « روضة الازهار ، في علم وقت الليل والنهار » للجادري . وله — ايضا — زيج سماه : « كتاب العلم المخزون المعظم ، والدر المشرق بالنور المنظم ، في معرفة اوقات الصلوات الخمس في كل يوم من الشهر من شهور العجم » وهو مصدر برسالة تشتمل على 24 بابا ، وقد وقع الفراغ من تاليفها ضحوة الاثنين 22 جمادى الثانية ، عام 1101 هـ ، ومن مصادرها : زيج ابن البنا : « منهاج الطالب » ، و « الزيج القويم » لابن الرقام ، وزيج ابن خنذوز ، وفي آخر الرسالة يسمي المؤلف نفسه هكذا : عبد الله بن عبد القادر بن عبد الرحمان بن عبد الواحد ابن عبد الرحمان بن ابراهيم ابي شيخ اللخمي .

توجد — من هذه الرسالة — نسخة خاصة ، بها بتر في اولها ، وتبتدىء اثناء الباب الاول ، يقع الموجود منها في 32 ص ، عدا بعض الجداول ، اما شرح ابن شيخ على « روضة الازهار » ، فهو مؤلف بسيط في موضوعه ، ويقع في جزءين، ثانيهما توجد منه نسخة خاصة ، ومنه نسخة في الخزانة العامة بالرباط رقم ك 2400 ، واخرى بالمكتبة الملكية بالرباط رقم 7077 ، وانظر ترجمة ابي شيخ في « الاعلام بمن غبر من أهل القرن الحادي عشر » لابي محمد عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن عبد القادر الفاسي الفهري ، مخطوطة خاصة .

وعلى الزكوطية وعلى رسالة اصناك المراكشي المذكورة اولا ، وقد ورد ذكرهما – معا – في مراجع « تحفة المحتاج » تالية الذكر ولم اقف عليهما .

الثالثة : « تحفة المحتاج ، في علم التعديل والازياج » كتبها مؤلف مغربي لم يذكر اسمه ، وضمنها تكميلات وتوضيحات للرسالة الزكوطية ، ورتبها على ثمانية ابواب ، مصدرة بخطبة أبانت عن قيمة الزيج ومنهاج العمل في تحفة المحتاج ، وهذا اهم ما جاء في الخطبة :

« .. وبعد : فاعلم – رعاك الله وحفظك – اني لما رايت (تصحيف اردت) الشروع في علم التعديل والاخذ فيه ، ووقفت على بعض الازياج التي الفها زكو (ط) ، فرايتها سهلة المأخذ ، لا تحتاج الى كثرة الاعمال الحسابية ، كما يحتاجها زيج ابن البنا ... وقد كنت اطلعت على رسالة الزيج التي الفها مصنفها باللسان العبراني ثم حولت الى لغة اللتين ، ومن اللتين حولت الى لسان الزمنض ، الى لغة العرب (كذا) عبد الله ... احمد بن قاسم بن حمود بن الفقيه قاسم الجمدري (تصحيف الحجري) الاندلسي ... هكذا وجدته بخط سيدي عبد الله بن عبد القادر ابي شيخ الحمي رحمه الله تعالى ، فرايت هذه الرسالة ، قد اخلت بكثير من الابواب المهمة ، المحتاج اليها في كثير من الجداول ... الى ان وقفت على رسالة الفهما الفقيه المعدل ، سيدي عبد الله اصناك المراكشي على الجداول المذكورة ، قد اشتملت على كثير من الابواب التي خلت منها رسالة المؤلف المذكور ، غير انها – ايضا – قد خلت من بعض الابواب المهمة التي يتوقف على معرفتها العمل ، ويحصل بها الامل ، فرايت – لاجل ذلك – ان اجمع رسالة تشتمل على كلتا الرسالتين ، واثبت فيها جملة الابواب المهمة ، واضيف الى ذلك ما يتوصل به الى ادراك تاريخ المسيح عليه – وعلى نبينا – افضل الصلاة والسلام ، لان الاعمال كلها متوقفة عليها (كذا) ، فهو من الامور الواجبة ، لابد منه لكل طالب ، فمن لم يعرف التاريخ المذكور ، لا يستقيم له في هذه الازياج عمل ، واثبت فيها ايضا ما وجدت من الطرر مكتوبا على الرسالتين ، بخط سيد عبد الله ابي شيخ ، زيادة في الايضاح والبيان ، كما ستقف على ذلك كله ، ان شاء الله تعالى ، وجعلت فيه من الابواب ثمانية ... »

هذا اهم ما ورد في افتتاحية « تحفة المحتاج ، في علم التعديل والازياج » .

توجد نسخة منها اول مجموع المكتبة المكلية الآنف الذكر ، والذي يحمل رقم 1433 ، خطها مغربي متوسط ملون مجدول ، به بعض تصحيف ، مسطرة مختلفة ، مقياس 290 / 205 ، عدد الصفحات 7 .

الرسالة الرابعة « رسالة الانوار ، في التعديل بالادوار » تاليف ابي الربيع سليمان بن احمد الفشتالي الفاسي 72 المتوفى سنة 1208 هـ / 1793 م

قال في خطبتها : « وبعد : فلما كانت صناعة الزيجات ، من اجل ما توصل بل الاحوال الخنس والمستقيمات ، وكان كتاب ضوابط الادوار في الحركات لزكاط ، في ذلك وحيدا كفيلا بالغايات ، رايت ان اتحف طالبه بما يلح به على المخدرات ، متحريا هجنة المترجم ، مع فوائد وزيادات في هذه الرسالة » .

عدد ابوابها سبعة عشر ، ومنها نسخة بالخزانة العامة بالرباط آخر مجموع يحمل رقم ك 1468 ، من ص 278 الى ص 303 ، خط مغربي متوسط ملون ، مسطرة 25 ، مقياس 200 / 150 .

فهذه اربع رسائل شاهدة للاثر الذي اثرته – بالمغرب – الرسالة الزكوطية المعربة وزيجها .

4 – المعلم يوسف الاندلسي

ان هذا ينسب له البعض تعريب الرسالة الزكوطية ، ويعني بهذا البعض : المعدل عبد الكريم بن علي اغبال في « رسالته » التي وضعها على زيج زكوط ، فقد ذكر ان المعلم يوسف الاندلسي ترجم الرسالة الزكوطية من الاسبانية الى العربية بمدينة مراكش ، وانه اول من قام بهذه الترجمة .

فهل هذا يعاكس ما اسلفته هذه العجالة من نسبة تلك الترجمة للحجري ، نسبة مستقاة من نفس هذه الى العربية ، وبديهي ان هذه الترجمات الثلاث

يبدو ان لا معاكسة ولا معارضة ، وان هناك ترجمتين اثنتين للرسالة الزكوطية : الترجمة الحجرية مع هذه التي قام بها المعلم يوسف ، ويؤيد هذا ما ذكره اغبال : من وصف هذا المعلم بانه أول من قام بتعريب الرسالة الزكوطية ، فان هذه الاولية تؤذن بترجمة اخرى لهذه الرسالة بعد ذلك ، وهي الترجمة الحجرية ، وعلى هذا نستفيد ان تلك الرسالة عربت مرتين ، كما نستفيد اسما جديدا ورابعا لاحد رجال التعريب بالمغرب ، وهو المعلم يوسف الاندلسي نزيل مراكش ، والذي لم يحدد المصدر الذي اورده : تاريخ قيامه بهذه الترجمة .

على انا اذا حاولنا معرفة هذا التاريخ ــ ولو على جهة التقريب ــ ينبغي ان نتذكر تعريب الرسالة الزكوطية وقع بعد سنة 877 هـ / 1472 ، وهي تاريخ كتابة الزيج ، ونتذكر ــ ايضا ــ ان هذه الرسالة وضعت باللغة العبرانية ثم ترجمت عنها الى اللاتينية ، ثم من هذه اللغة الى الاسبانية ، وهي التي وقع النقل عنها الى العربية ، وبديهي ان هذه الترجمات الثلاث لم تقع في ازمنة متصلة ، وانما وقعت في فترات متقاطعة ، يدل لهذه قول رسالة اغبال عن الرسالة الزكوطية : « وكانت اولا مكتوبة بالقلم العبراني ، ثم كتبت بخط اللطين ، ثم نقلت منه بخط روم اسبانية »

فهذا التعبير بثم يفيد ان التعريب وقع بعد تاريخ النص العبراني بزمن ليس باليسير .

كما ينبغي ان نتذكر ــ مع ذلك ــ أن هذه الترجمة سابقة على الترجمة الحجرية التي يقدر انها وقعت خلال النصف الاول من القرن 11 هـ .

وهكذا يستنتج من هذه التقديرات ان ترجمة المعلم يوسف وقعت في القرن العاشر او اوائل القرن 11 هـ ، اي قرب العصر السعدي او في نفس هذا العصر الذي يبتدىء حدود سنة 930 هـ في مدينة مراكش البلد الذي كانت فيه الترجمة .

اما نص هذه الترجمة فلم اقف عليه ، وانما اشارت له الرسالة الاغبالية ، التي ذكرت ان المعلم يوسف الاندلسي لم يقم بترجمة الرسالة الزكوطية ، وانما عرب منها ما قدمته الرسالة الاغبالية في تسعة عشر بابا هكذا :

الباب الاول في معرفة الطالع وتسوية البيوت الاثنى عشر ــ الباب الثاني في معرفة موضع الشمس ومعرفة دورها وتعديلها ــ الباب الثالث في معرفة ميل الشمس وحقيقته ، وهل هو شمالي او جنوبي ــ الباب الرابع في معرفة حلول الشمس بأوائل البروج ودوره وتعديله ــ الباب الخامس في معرفة موضع القمر ودوره وتعديله ــ الباب السادس في معرفة الاجتماعات والاستقبالات ودورهما وتعديلهما ــ الباب السابع في معرفة تحقيق ساعات الاجتماع والاستقبالات ــ الباب الثامن في معرفة عرض القمر ــ الباب التاسع في معرفة استخراج حصة القمر ودورها وتعديلها الباب العاشر في معرفة حركة الجوزهر74 ودوره وتعديله ــ الباب الحادي عشر في معرفة بعد الشمس عن الجوزهر ــ الباب الثاني عشر في معرفة كسوف الشمس ــ الباب الثالث عشر في معرفة حدود خسوف القمر ــ الباب الرابع عشر في معرفة موضع زحل ودوره وتعديله واستقامته ووقوفه ورجوعه ومعرفة مركزه وحصته وعرضه ــ الباب الخامس عشر في معرفة موضع المشتري ودوره واستقامته ووقوفه ورجوعه ومعرفة مركزه وحصته وعرضه ــ الباب السادس عشر في معرفة موضع المريخ ودوره واستوائه في البروج واستقامته ووقوفه ورجوعه ومعرفة مركزه وحصته وعرضه ــ الباب السابع عشر في معرفة موضع الزهرة ودورها وتعديلها واستقامتها ووقوفها ورجوعها ومعرفة مركزها وحصتها وعرضها ــ الباب الثامن عشر في معرفة موضع عطارد ودوره وتعديله واستقامته ووقوفه ورجوعه ومعرفة مركزه وحصته وعرضه ــ الباب التاسع عشر في معرفة المطالع الاستوائية .



واذا حاولنا ان نتعرف الاثر الذي اثرته هذه الترجمة ، فلا نعدم أصداء لها ــ بدورها ــ في بعض الموضوعات المغربية .

واول ذلك رسالة المعدل اغبال (75) المتكررة الذكر، وقد عنيت بدراسة الابواب 19 الآنفة الذكر ، بعد ما مهدت لهذه الدراسة بافتتاحية عن اصداء « الرسالة الزكوطية » وعن مصادر ومنهج المؤلف ، وهي التي نقتطف منها ما يلي :

« قال كاتبه ومؤلفه : عبد الكريم بن علي اغبال ، رحمه الله ... وبعد : فهذه رسالة فائقة لطيفة ، في كيفية التعديل بالزيج الذي وضعه ابراهيم اليهودي المعروف بازكوط ...

---

74) الجوزهر هو النقطتان اللتان تتقاطع عليهما الدائرتان من الافلاك اللتان تسميان العقدتين ، وهي كلمة فارسية بمعنى صورة الجوز او صورة الكورة ــ « صحيفة معهد الدراسات الاسلامية في مدريد » . مجلد 6 ص 23 .

75) لم اقف على ترجمته .

76) له ترجمة في « السلوة » ج 3 ص 115 ــ 116 .

وهذه الرسالة قد جمعتها من رسائل عديدة ، وكلها فى غاية ما يكون من الاختصار ، حتى ان من تمسك بالبعض منها لم يحصل على طائل ، وهي كلها ماخوذة من رسالة مؤلف الزيج وكانت — اولا — مكتوبة بالقلم العبراني ، ثم كتبت بخط اللطين ، ثم نقلت منه بخط روم اسبانيا . ووجدت بيد نصراني اسمه زمنض، واخذها من عنده المعلم يوسف الاندلسي، وهو اول من ترجمها بالعربية فى مدينة مراكش ، فأخذ الناس منها ما قدروا على اخذه ، لصعوبة لفظها ، واختصروها غاية الاختصار ، حتى اجحفوا بالكثير من عملها ، وها نحن الآن بعون الله وقوته جمعنا ما فى تلك الرسائل ولفقنا بعضها لبعض، بعد مشورة من اخذنا عنه هذا العلم ، وموافقته على ذلك ، وقد بذلنا المجهود فى بيان معانيها ، وترتيب ابوابها : الاول فالاول » .

تقع هذه الرسالة ضمن مجموع بالخزانة العامة بالرباط تحت رقم د 2014 من ص 1 الى ص 55 ، مسطرة 18 ، مقياس 190 / 150 خط مغربي مستحسن ملون مجدول .

الرسالة الثانية : « كنز الاسرار » ، وفيض الانوار ، فى تعديل النيرين والخمسة المتحيرة بالادوار تأليف محمد المعطي بن احمد الطيب بن محمد مرين الرباطي الاندلسي (77) المتوفى سنة 1223هـ/1808م.

وهي — بدون شك — موضوعة على هذه الترجمة المتحدث عنها ، وسنرى — فى خطبة هذه الرسالة — انها تحادي — كثيرا — افتتاحية الرسالة الاغبالية الآنفة الذكر ، والموضوعة بخصوص تلك الترجمة .

الفها استجابة لرغبة الفقيه المشارك السيد التهامي بن العلامة الشهير سيدي علي بن احمد الوزاني اليملحي الحسني (78) الذي طلب منه ان يضع رسالة على الزيج الزكوطي ، تكون جامعة لمعانيه ، ضابطة لقواعده ومبانيه .

تشتمل هذه الرسالة على 18 بابا ، مصدرة بافتتاحية عن منهج المؤلف وقيمة هذه الترجمة ، ومما جاء فيها :

« ... ولفقت هذه الرسالة ، بعد ان طالعت على هذا الزيج رسائل عديدة ، غير انها فى غاية ما يكون من الاختصار ، حتى ان من تمسك بالبعض منها أو كلها ، ربما لم يحصل على طائل لانها ماخوذة من رسالة مؤلف الزيج ... فأخذ الناس ما قدروا عليه منها لصعوبة لفظها ، فوضعوا على هذا الزيج تلك الرسائل مختصرة جدا ، حتى جحفوا بالكثير من عملها ، فمنها رسالة الامام الجياني الاندلسي ، وهي اجلها ، ورسالة الامام البركة سيدي عبد الرحمان الفاسي ، ورسالة سيدي عبد الله بن سيدي عبد القادر ابي شيخ اللخمي القصري ، شارح « روضة الازهار ، فى علم وقت الليل والنهار » ، ورسالة الفقيه المعدل سيدي عبد الكريم المعروف باغبال ، رحم الله الجميع بمنه آمين ، وليس ذلك جهلا منهم — رضي الله عنهم — وانما ذلك من عدم تبيين المترجم عن رسالة المؤلف ، لان نقل التاليف من لغة الى لغة صعب جدا ، لاسيما اذا لم يكن المعرب عارفا بالالسن ، وقد زعم كثير من الناس ، ان هذا الزيج سهل عمله ، وقريب مهمه ، وليس كما زعم ، ثم اني لم اثبت — فى هذه الرسالة — عملا الا بعد ان امتحنته ، وثبتت لدي صحته » .

قال فى آخر الرسالة : « وافق الفراغ من جمعها بزاوية وزان — كلأها الله بمنه — وذلك بعد غروب الشمس بنصف ساعة معتدلة ، من ليلة الاحد الثاني من ذي الحجة الحرام بحساب العلامة ، الاول منه بحساب الرؤية ، من عام احد عشر ومائتين والف، من سني الهجرة النبوية ، على صاحبها افضل الصلاة وأزكى السلام ، الموافق للسابع عشرة مايه من سنة سبعة وتسعين وسبعمائة والف ، من تاريخ السيد المسيح ، عليه السلام » .

تقع ضمن مجموع بالخزانة العامة بالرباط ، تحت رقم د 2027 من ص 83 الى ص 118 ، مسطرة 23 ، مقياس 175/220 ، خط مغربي متوسط به تصحيف .

وهكذا نتبين — مرة ثانية — الآثار التي كانت لهذه الترجمة الاخرى للرسالة الزكوطية .

---

(77) له ترجمة فى « الاغتباط ، بتراجم اعلام الرباط » .

(78) له ترجمة فى « الكوكب الاسعدي » المطبوع — على الحروف — بفاس ، بهامش « تحفة الاخوان » ص 185 — 186 ، وفى « الروض المنيف فى التعريف باولاد مولانا عبد الله الشريف » ، ج 2 ، خ ، ع ، ك 2304 .

اما المعلم يوسف القائم بهذه الترجمة فلم اقف على ترجمته ، وهناك فيلسوف اندلسي يحمل اسم « يوسف الحكيم » ، وقد كان بفاس اوائل القرن الحادي عشر للهجرة ، والغالب انه نفس المعني بالامر هنا ، ولهذا سنورد ما جاء عنه في كتاب « ازهار البستان في مناقب الشيخ ابي محمد عبد الرحمان(79) » في آخر الباب الثالث :

« وكان رجل اندلسي يقال له « يوسف الحكيم » ـ ممن له خبرة بالعلوم الحكمية كالطب والتنجيم ـ خرج من عدوة الاندلس فارا من النصارى ... واتصل بارباب الدول ، وكان يتردد الى الشيخ : « يقصد ابا زيد الفاسي العارف » ، وكان حكيما شهد له الشيخ بالتقدم في علم الكلام والفلسفة ... »

هذا : وستكون خاتمة حديثنا الزيج الزكوطي ما جاء في بعض « مقيدات (80) » العلامة الكبير ابي اسحاق ابراهيم بن محمد التادلي الرباطي (81) ، المتوفى عام 1311 هـ / 1894 م ، فقد ذكر انه درس احد ابواب « الزيج الزكوطي » على بعض علماء .. الرباط .. وهو « محمد الرطل » الطبيب المعدل الموسيقي ، الذي اخذ عنه تعديل القمر بطريقة هذا الزيج .

وهو لم يبين الترجمة العربية التي اعتمدها في هذه الدراسة ، ولم يوضح هل هي الترجمة الحجرية أو ترجمة المعلم يوسف الاندلسي ، وايا ما كان فان هذا يدل على ان الترجمة العربية للزيج الزكوطي ورسالته ، امتدت دراستها بالمغرب حتى النصف الاخير من القرن الثالث عشر الهجري .

5 ـ السلطان زيدان ابن احمد المنصور السعدي

ان هذا لم يقم ـ شخصيا ـ بالترجمة ، وانما كان يشرف على حركة تعريبية يقوم بها المسيحي الايرلندي « انطوان » ، الذي ترجم لهذا السلطان ـ وهو أسير بمراكش ـ كتبا لاتينية الى اللغة القشتالية ، ثم نقلها بعض الاعلاج الى اللغة العربية ، هذا ما ورد في بعض المصادر الاجنبية (82) دون تقديم اية ايضاحات عن هذه الكتب المترجمة التي لم يعثر عليها لحد الآن ، والله ـ سبحانه ـ ولي التوفيق .

الرباط ـ **محمد المنوني**

---

79) لابي زيد عبد الرحمن بن ابي السعود عبد القادر الفاسي الفهري ، نسخة المكتبة الملكية بالرباط ـ رقم 583 .

80) توجد ضمن كناش بمكتبة العلامة الجليل محمد بن بوبكر التطواني بسلا . حيث وقفت عليه اثناء سنة 1374 هـ / 1955 م .

81) من مصادر ترجمته : « الاغتباط ، بتراجم اعلام الرباط » مع « مجالس الانبساط بشرح تراجم علماء وصلحاء الرباط » .

82) بواسطة المعجم التاريخي للاستاذ عبد العزيز بنعبد الله ص 11 .

جولة في المخطوطات العربية باسبانيا

للأستاذ محمد ابراهيم الكتاني

(4)

ومن مخطوطات المكتبة الوطنية بمدريد .

101) — كتاب التكملة لابن الخطيب ، بخط بعض الاوروبيين وبآخره فهرس ، ويظهر أنه كان يعده للطبع ، يقع في 161 صفحة والفهرس في 21 ورقة ، في حجم كبير وورق شاطبي جيد وخط واضح مملوء بالاخطاء والتصحيف .

اوله : المقرئون والاصليون (كذا) : موسى بن عبد الرحمن بن يحيى العربي الحمري من اهل غرناطة — وآخره : عبد الواحد بن عثمان بن سعيد ابن عبد السلام الاموي الالبيري .

وقد ذكر ديرانبورغ في ملاحظاته النقدية على المخطوطات العربية بالمكتبة الوطنية بمدريد (باريس 1904) ص 11 ان هذه النسخة منقولة من مخطوطة الايسكوريال رقم 1674 وانها شبيهة بالنسخة رقم 1673 ، ولكن مخطوط الايسكوريال يحمل عنوان (الاحاطة) .

ومن المترجمين في هذا الجزء :

عبد العليم بن الحسن بن عبد الملك بن عبد الله ابن يحيى ابن تادرارت التينمالي ، نزيل مالقة المتوفى بها سنة احدى واربعين وسبعمائة ، وقد اربى على الثمانين ، كان شيخا سليم الصدر ، قليل التصنع ، فاضلا مستظرفا فقيها مناضلا عن مذهب الامام ابي محمد ابن حزم متشيعا له ، متعيشا من الشهادة المخزنية ، مجروحا بهنة المعاقرة ، مرحوما من عقلاء الناس ، مكرما لبيته .

وابو محمد عبد الله بن سهل الغرناطي (كان حيا سنة ثلاث وخمسين وخمسمائة) عنى بعلم القرآن والنحو والحديث ، ثم شهر بعلم المنطق والعلوم الرياضية وسائر العلوم القديمة وعظم بسببها ، وامتدح من اجلها ، فاجمع المسلمون والنصارى واليهود ان ليس في زمانه مثله ولا في كثير ممن تقدمه ، وبين هذه الملل الثلاث ما عرف .

وكانت النصارى تقصده من طليطلة للتعلم منه ايام كان ببياسة .

وله مع تسيسهم في التناظر (مجالس) حاز فيها قصب السبق ، وله تآليف .

وابو عيسى لب بن عمر بن جرح الانصاري ، نشأ بمراكش وتوفى بسبتة ثاني شوال عام ثمانية وثلاثين وستمائة ودفن بمقبرة زجلو ترا بغرناطة وبسبتة .

وابو محمد عبد الله بن علي بن عبد الله ابن يزيد السعدي — ابن الاديب — من قلعة يحصب، وانتقل الى الفندق فسكن بها ، وتوفى سنة سبع وخمسين وخمسمائة .

كان من اهل المعرفة التامة بالعربية والادب، حفظ كتاب سيبويه مثل حفظه الفاتحة ، وله معرفة بالفقه والقراءات ومشاركة في علوم جمة .

ومن المترجمين به ابو القاسم السهيلي .
وابو القاسم بن رضوان (ترجمة حافلة) .

102) — ومن مخطوطات المكتبة الوطنية بمدريد مجموع من رسائل الدروز من تاليف حمزة ابن علي بن احمد وهو من اعظم الائمة عندهم ، يشتمل على :

السجل الذي وجد معلقا على المشاهد في غيبة الامام الحاكم ، والسجل المنهى فيه عن الخمر .

وخبـر اليهود والنصارى وسؤالهم للحاكـم عن شيء من أمر دينهم ، ونسخة ما كتبه القرمطي الى الحاكم عند وصوله الى مصـر .

وميثـاق ولـي الزمـان .
والكتـاب المعروف بالنقض والخفر .

والرسالة الموسومة ببدىء التوحيد لدعوة الحق وتاريخها 408 الهجري ، وميثاق النساء ورسالة البلاغ والنهاية في التوحيد ، الى كافـة الموحدين المتبرئيـن من التلحيـد .

ثـم الغايـة والنصيحـة .
ثم كتاب فيه حقائق ما يظهر قدام مولانا جل ذكره (كذا !) مـن الهزل .

ثـم السيـرة المستقيمـة .
ثم كشف الحقائق .
ثم سبب الاسباب والكنـز لمـن يقن واستجاب وبآخره : ثم الجزء الاول ، وهو بخط شرقي .

103) — ومن مخطوطات المكتبة الوطنيـة بمدريد ، ديوان علي بـن سودون المسمـى (قـرة الناظر ، ونزهة الخاطر) وهو مـن اهل القاهرة . في القرن التاسع الهجـري .

104) ومنها مختارات شعرية ، مـن امالـي الزجاج ، ومن شعر أبي محمد عبد الله بن محمد بن سعيد بن مثاف ، ومن كتاب المختار من نوادر الاخبـار لمحمد الانباري ، ومن كتاب ريحـان الالباب وريعـان الشباب ، ومختارات لـم تنسب لكتـاب وانما نسبت لقائلها (184 ورقـة) .
ومنهـا مجموع ، من جملـة ما بـه .

105) كتاب درة الاسرار وتحفة الابرار لابـي القاسم الحميري شهر بابن الصباغ ، وهو في اخبـار ابـي الحسن الشاذلي ومناقبه وآثاره كتب سنة 977.

106) — وانس الفقيـر وعز الحقيـر لابـن تنفـذ القسنطينـي .

107) — ومقصورة المكودي، مقابلة على نسخة بخط ناظمهـا .

108) — وشرح زورق على نونية الششتري ، بخط احمد بن احمد بن علي الاغصاوي كتبه مـن نسخـة بخط المؤلـف .

109) ومنظومة عبد الله محمد بن محمد المجاصي في غريب القـرآن .

110) ومن مخطوطات المكتبة الوطنية بمدريـد ديوان ابـن المقرب مبتور من اوله وآخره ، وهـو بغدادي من اهل القرن السـابع .

111) — ومنها مفردات العرب ، وهي 1850 بيت من الشعر مرتبة على الحروف ، ثم جمعها سنـة 1718 لـم يسـم جامعهـا .

112) ومنها (لغة مرقاة) وهو قامـوس عربـي فارسـي .

113) ومنها مجلد في الطبيعيات ، الغالب أنـه للحفيـد ابـن رشـد مبتور الاول .

فيه خمسة فنـون : في الفن الاول خمس مقالات:

الاولى — في المبادىء العامة (الثانية) في الحركة وما يجري معها (الثالثة) في الطبيعيات من جهة الكـم (الرابعة) في تناهي الاجسام (الخامسة) في الحركة .

الفـن الثاني — من الطبيعيات في القـوى والاجسام ، وهو مقالـة واحـدة .

الفن الثالث — من الطبيعيـات في الكـون والاستحالة ، وهو مقالة واحـدة .

الفن الرابع — من الطبيعيات في الافعـال والانفعالات الكليـة وفيه مقالتـان .

الفن الخامس — في علل اكوان الكائنات التـي لا نفسر لها ، مما يكون فوق الارض .

مجلد ضخم ، بخط اندلسي ، ضاع منه النصف الاسفل من الورقة الاخيرة كما ضاع من أوله أوراق لا ادري عددهـا .

114) ومن مخطوطات المكتبة الوطنية بمدريـد كامل الصناعة الطبية المعروف بالملكي مجلد ضخم .

115) ومنهـا الاسطقسات لجالينوس ترجمـة حنيـن بـن اسحـاق .
ومنهـا مجمـوع ، بـه :

116) القرطـاس .

117) والتفريـغ لابـن الجـلاب .

118) واجوبـة محمد بـن سحنون ، مبتـورة الاخـر .

119) ومنها اجوبـة ابـن رشد الجـد .

ومنهـا مجموع في حجم صغيـر للجيب ، بخط شـرقي بـه .

120) لب الغيث الذي انسجم فى شرح لامية العجم ، ملخص من شرح الصفدي ، بخط ابي السعود محمد بن مصطفى الطراوي ، فى محرم 1234 .

121) والرسالة المفصحة عما يتعلق بالاسطحة ، لحسن بن ابراهيم الجبرتي الحنفي ، نقلت من مسودة مصنفها فى ذي الحجة 1237 وقوبلت على الاصل .

122) واخصر المختصرات ، على ربع المقنطرات، لحسن بن ابراهيم الجبرتي ، نسخ فى حجة 1237هـ

123) ومنها مقتطفات من الانيس المطرب وهو روض القرطاس لمحمد بن عبد الحليم الغرناطي مع ترجمتها للاسبانية .

124) ومنها السفر الثالث من المحرر الوجيز لابي عطية .

اوله سورة المائدة ، وينتهي بانتهاء سورة الكهف، نسخة جيدة بخط مغربي جميل .

125) ومنها ديوان شعر لعبد القادر ، من تربة البلاوك، فى الذات الالهية ، والمدح النبوي والوعظ مخمسات ومربعات ونحو ذلك فى حجم صغير للجيب، بخط مشرقي .

126) ومنها كنوز الافادة ، فى الترجمات المعتادة ، للخوري ارسانيوس الفاخوري البيروتي س 1830.

وهو نماذج من الرسائل والوثائق الرسمية ونحوها بخط مشرقي فى حجم صغير للجيب للسيوطي بخط مشرقي ، وعلى ورقة منه سطر بخط مغربي .

127) ومنها مجموع به عدة رسائل .

128) ومنها الاجوبة الناصرية مبتورة .

129) ومنها شرح دلائل الخيرات مبتور من اوله.

130) ومنها الشرح المختصر للمنجور على « المقاصد » لابن زكري فى العقائد لخصه من شرحه (نظم الفرائد ، ومبدىء الفوائد) فى شرح المقاصد ، مبتور من آخره .

131) ومنها شرح على نظم فى العقائد ، مبتور من الاول والآخر .

132) ومنها الجزء الثاني من شرح المقصورة للشريف السبتي ، مبتور الاول .

133) ومن مخطوطات المكتبة الوطنية بمدريد (منتهى المدارك ومشتهى كل عارف وكامل وسالك) لعثمان سعد الدين سعيد الفرغاني ، وهو شرح على التائية الالفية المسماة (نظم السلوك فى مسامرة الملوك) لابن الفارض .

مجلد ضخم جدا ، فى قالب كبير ، بخط مغربي ، به ثمانية اوراق بيضاء فى الوسط .

134) ومنها كتاب نسب قريش للمصعب بن عبد الله بن المصعب بن ثابت بن عبد الله بن الزبير بخط مغربي جميل ملون ، مبتور من اوله وآخره .

135) ومنها كتاب استطلاع الغيب من الكتب ، لابي سعيد والاطرابلسي ، بخط مغربي كثير التصحيف والتحريف ، مبتور الاخر ، فيه 82 ورقة .

136) ومنها التفريع لابن الجلاب ، نسخة حديثة مختلفة الخطوط ، مبتورة الآخر .

ومنها مجموع اوراق مختلطة مختلفة يضمها سفر، ومن جملة ما فيها :

137) جواب لاحمد بن محمد البعل ، فى ثلاثة اوراق .

138) ووصلة المنقطع ، وبهجة المتبع لاحمد بن القاسم ابن عبد الرحمن بن محمد الخلوف لقبا الحميري نسبا ؟ وهي قصيدة فى المدح النبوي والتشوق الى البقاع الطاهرة ، واولها :

سلوا النار عما شب بين الاضالع
ولا تسالوا عما جرى من مدامع

وتوجد منها اربعة اوراق ، مبتورة الآخر .

139) وقصيدة لعبد الهادي بن عبد الله بن علي بن طاهر الحسني اولها :

بانت قباب قبي فالجسم متبول
عن النهوض بقيد الوزر مكبول

وهي فى ورقتين .

140) ومنها كتاب فى التاريخ ، مبتور الاول والآخر بخط مغربي كبير الحجم ، عظيم الجرم ، خال من العلم .

141) ومنها كتاب الدول ، واخبار آثار الاول ، تاليف الشيخ احمد بن يوسف بن احمد القزماني نزيل دمشق الشام مجلد فيه 399 ورقة بخط شرقي مذهب ملون ، وهو حاطب ليل .

142) ومنها اوراق فى الكيمياء ، بخط مغربي مبتورة .

143) ومنها مجموع بخط مغربي ، فيه مؤلفات ابي بكر الرازي أولها المنصوري أمر بتأليفه منصور ابن اسحاق بن احمد فلقب به ، وفي الاخير : تم كتاب (المدخل الى علم الطب لابي بكر الرازي .

144) ومنها الحاوي للرازي ، أوله بعد البسملة: قوانين استعمال الاطعمة والاشربة لحفظ الصحة ، ومضار الجوع والعطش ومنافعهما ، ودفع مضارهما ، ومضار التخمة وعلاجها . نسخة اندلسية بخط جميل .

145) ومنها حاشية عبد الرحمان الفاسي على الحزب الكبير .

146) ومنها جزء اخير من الاحاطة بخط سقيم لبعض الاوربيين .

147) ومنها بضعة كراريس من تفسير واعراب القرآن لمكي بن ابي طالب القيسي .

148) ومنها تحفة الاخبار في فضل الصلاة على النبي المختار لمحمد بن قاسم الرصاع .

149) ومنها حواشي عبد الرحمن بن محمد الفاسي على الجلالين نسخة لا بأس بها .

ومنها مجموع ، فيه :

150) شرح حزب البحر لزروق .

151) ومقامات الزمخشري .

152) ومنها اشعار قيل عنها انها درزية ، فيها تمجيد للخالق سبحانه ، ومدح في النبي صلى الله عليه وسلم وآله الاكرمين .

153) ومنها تفسير بعض مفردات القرآن مقتطف من ابن جزي وابن عزيز السجستاني لم يسم جامعه ، صغير بخط مغربي .

154) ومنها مجموع في الطرب واشعاره وفيه :

155) الروضة الغناء في اصول الغناء .

156) ومنها عمل من طب لمن حب ، لابن الخطيب ، مبتور الاخر يصل الى اثناء الباب الثالث عشر في نهوش الحيات وعض الانسان والكلب .

نسخة حديثة مختلفة الخطوط .

157) ومنها شرح العربي الفاسي على الشقراطيسية بخط عمر بن يوسف الفاسي عام 1102.

158) ومنها كتاب لعبد الحق ابي الخراط الاشبيلي ثم البجائي ، قال انه جمع فيه احاديث في الايمان وفضائل الاعمال والادب والترغيب والترهيب والثواب والعقاب والرقائق والحكم والمواعظ وغير ذلك . ولعله هو الذي سماه مترجموه كتابا في الرقائق .

وفي الفهرس انه الاحكام الكبرى !

مبتور الآخر وبين الورقتين الاولى والثانية بتر ايضا .

159) ومنها نوازل ابن تركاط الغرناطي ، تقع في 79 ورقة فيها اجوبة لابي سعيد ابن لب ، وابي اسحاق الشاطبي ، وابي عبد الله ابن علاق ، وابي عبد الله الحفار ، وابي القاسم ابن سراج ، وابي عبد الله المنتوري ، وابي عثمان الايري ، وابي عبد الله الصناع ، وابي القاسم ابن فتوح ، وابي عبد الله السرقسطي ، وفيها مسألة من كلام ابي العباس القباب ، ومسألة من كلام العبدوسي مفتي فاس .

وتوجد بالاسكوريال نوازل بعنوان (الحديقة المستقلة النظرة ، في الفتاوي الصادرة عن علماء الحضرة) لم يسم مؤلفها والغالب على الظن انها هي هذه ، وسنتكلم عن نسخة الايسكوريال من بعد بحول الله .

160) مجموع فيه نصوص منقولة من عدة كتب ، ربما كان جامعه ممن كانوا تحت الحكم المسيحي وهو ينقل من :

تجريد الصحاح ، لابي الحسن ابن رزين بن معاوية ، وكتاب كنز اليواقيت ، وكتاب عقد الجواهر لابن الحاجب ، واجوبة مفتي غرناطة عبد الله الانصاري الحصار ، ومن كتاب اصول الفتيا لمحمد بن الحارث ، ومن وثائق ابن سلمون ، ومن كتاب الكافي ، ومن كتاب الواضح (في الفقه) ومن كتاب التمهيد ، ومن كتاب البخاري صحيح (كذا) ومن سفر التاسع من شرح الموطأ ، ومن كتاب خصال ابن زرب ، ومن كتاب الاحكام ، ومن كتاب البرادعي، ومن كتاب المدونة، ومن النوادر ، ومن موطا مالك ، ومن كتاب المفيد ، ومن كتاب الجدار ، ومن رجز سليمان بن حكم في الفقه المالكي (ازيد من ثلاث ورقات) ومن كتاب الزاهي لابن شعبان ، ومن كتاب منتخب الاحكام ، ومن العتبية، ومن كتاب الايمان لاحمد بن نصر ، ومن كتاب المجموعة، ومن كتاب المسائل ومن السفر السابع من كتاب التقريب ، ومن مختصر الواضحة ، ومن تفسير

يحيى ابن سلام ، ومن درر الغواص ، ومن كتاب الاستغناء ومن كتاب المبسوط للقاضي اسماعيل ، وشرح ابن رشد ، ومن المجالس ، ومن المقدمات ، ومن مسائل ابن الحاج ، ومن مختصر جامع من الدعوى والانكار ، ومن الاستذكار ، ومن الاحياء ، والمنظم لابن سلمون ، ومن الجلاب ، ومن اختصار التبيين . ومن كتاب النور وسنن ابي داود ، ومن وثائق ابن القاسم ؟ ومن مختصر مالك ؟ ومن كتاب محمد ابن عبد الحكم ، ومن كتاب المسائل التي صدرت عن الامير العزيز ، ومن شرح الجذامي ، ومن كتاب عبد الرحمن بن القاسم ، ومن كتاب التلقين . ومن المؤلفة لابن لبابة ، ومن المختصر الصغير ، ومن منظومة الغافقي في الفرائض ، ومن وثائق ابن العطار ، ومن مسائل عبد الله ابن سلام ، ومن شرح الرسالة المسمى بمنهاج الدلال (كذا) ، ومن نوازل ابن رشد ، ومن كتاب الباجي ، ومن احكام احمد السرقسطي ، ومن كتاب ابن مغيث ، ومن كتاب محمد بن سحنون ، ومن كتاب عبد الغني ، ومن كتاب عقد المنظم (كذا) ، ومن اجوبة ابن لب ، ومن كتاب الشفا ، ومن شرح ابن الحاجب ، ومن الرسالة ، ومن لزوم التحقيق ، ومن مختصر الجامع لابن القداح ، ومن كتاب الفراهدي ، ومن شرح التفريع للشرمساحي ، ومن كتاب فضائل الاسلام ، ومن كتاب محمد بن ابي الحسن الرعيني ، ومن كتاب الاعلام بنوازل الاحكام ، ومن احكام ابن زياد ، ومن كتاب ابن المواز ، ومن مسائل ابن زرب ، ومن تفسير ابن أبي زمنين ، ومن الناسخ والمنسوخ .

وفى المكتبة الوطنية بمدريد عدة لفافات تشتمل على اوراق مختلطة لا رابطة بينها ولا اول لها ولا آخر .

161) يوجد فى احداها 89 ورقة من صحيح البخاري فى رق الغزال فيها اوائل الاجزاء 34 — 35 — 36 — 37 — 38 ، وعليها تملك احمد بن محمد الازدي ، ثم محمد بن عمر بن يوسف بن سعيد ابن القاسم القليبي .

162) وفى اخرى كراسة من ديوان الدغوغي شاعر الزاوية الدلائية .

163) وفى لفافة اخرى اشعار مغربية .

وفى اخرى .

164) مناسك الحاج علي بركة التطواني .

165) وقطعة فى مدح مدينة فاس مطلعها :

ان خص ثغر جهاد   شكرا ليغنم اجرا
ففاس خير بلاد   فضلا، وحسنا، وسرا !

وفى لفافة اخرى :

166) اشعار مغربية من عهد السلطان سيدي محمد بن عبد الله .

167) ورسالة من احد سلاطين المغرب الى والي الجزائر يحتج فيها على تطاول حاكم تلمسان على اهل فيكيك .

168) واشعار لابن سهل .

169) ومن مخطوطات المكتبة الوطنية بمدريد رقم الحلل لابن الخطيب وفى الفهرس تسميته بالحلل المرقومة .

170) ومنها مقنعة السائل لابن الخطيب .

171) ومنها المرض الوافد لابن خاتمة .

172) ومنها ريحانة الكتاب لابن الخطيب .

ومنها مجموع به :

173) رقم الحلل .

174) والصلة لابن شكول .

ومنها مجموع ، من جملة ما به :

175) بيان الطريق فى رياضة الصبيان .

176) واجوبة ابي اسحاق التونسي .

177) ومنها بيوع ابن جماعة .

178) ومنها مجموع من جملة ما به : كتاب الخصال الصغير لابن يعلى احمد بن محمد العبد البصري .

179) ومنها الدر الحسن لابن الحسن الزجلي .

180) ومنها كتاب الفجرافية (كذا) فى مساحة الارض وعجائب الاصقاع والبلدان .

اوله : فصل ، ومما يلي شمال هذه المدينة بلاد جليقية ، وينتهي بفصل فى ذكر البحر الرومي . 27 ورقة بخط حديث ، وفى الاخير فهرسة باسماء المدن الواردة فى الكتاب ، يظهر انه مأخوذ من كتاب فى الجغرافية ، ولكن لا توجد فى هذه النسخة اشارة لاسم الاصل .

181) ومنها مقدمة ابن بابشاد المصري فى النحو .

182) ومنها الجزء الاول من جامع الادوية المفردة لابن البيطـــار بخط بعض الاوربيين .

183) ومنها بغية الملتمس للضبي بخط بعـــض الاوربيين .

184) ومن مخطوطات المكتبة الوطنية بمدريـــد كتاب التفريع لابن الجلاب فى الفقه على مذهب المالكية بلغة الخامياد و (العجمية) ، مكتوبة بحروف عربيـــة ، نسخـــة جيدة فى قالب كبير وورق ابيض صقيل وخـــط جميـــل .

185) ومنها كتاب فى الفقه ايضا بالخاميادو ، فى حجم صغيـــر وورق ابيـــض جيد .

186) ومنها مجموع للجيب كله بالعربية والعجمية ومن جملة ما به البردة للبوصيري بالعربية ومعهـــا ترجمتهـــا للعجميـــة .

وفى كتاب آنخيل جنثالث بالنثيا الذي ترجمه حسين مؤنس باسم تاريخ الفكر الاندلســـي حديث مفيـــد عن ادب المستعجمين (ص 507 — 529) كمـــا تكلم عنه العلامة المستعـــرب الروسي كراتشكوفسكي فى تاريخ الادب الجغرافي العربى (461/1 — 462) .

وعلى آثار تبين فى جملتها مدى الجهود العظيمـــة التي بذلها فقهـــاء مسلمون مجهولون رحمهم اللـــه ورضي عنهم فى سبيل المحافظة للمسلمين المستعجمين على ثقافتهم الاسلامية بعد ما نكبوا بفقـــد لغتهـــم العربيـــة .

وبقية الحديث عن المكتبة الوطنيـــة بمدريـــد فى العدد المقبـــل بحـــول اللـــه .

الربـــاط — محمد ابراهيـــم الكتاني

احيـــاء المـــوتـــى

ادعى احدهم النبوة ، فلما احضر امام الخليفة المامون ساله : من انت .

فاجاب قائلا : « انـــا ابراهيم الخليل . فقال لـــه المامون : ان معجزة ابراهيم الخليل كانت الالقاء فى النار ، وها نحن نلقيك فيها لنرى حالك ، ونختبر نبوتك .

فقـــال الرجل : اريـــد واحـــدة اخف من هذه .

قـــال المامون : فبرهان موسى اذ القى عصاه فصارت ثعبانـــا .

قـــال : وهذه أصعب علي من الاولى . فقـــال المامـــون : فبرهان عيســـى وهـــو احيـــاء الموتـــى .

قـــال : مكانك وصلت ، انـــا اضرب رقبة القاضي يحيى بن أكثم واعيده حيـــا بعد قتله فى هذه الســـاعـــة !!

فهب القاضي يحيى يقول : انا أول من آمن بك ، وصدق نبوتك !!

فضحك المامـــون واعطـــاه جائـــزة .



تحليل موجز لمقدمة ابن خلدون

للأستاذ: ابراهيم حركات

كان لابن خلدون صاحب المقدمة المشهورة مؤلفات في علوم مختلفة تدل على سعة افقه الفكري وتنوع ثقافته . فان له من المؤلفات غير المقدمة والتاريخ والتعريف كتبا اخرى ذكرها صاحب الاحاطة:

1 ـ شرح قصيدة البردة
2 ـ تلخيص المحصل للرازي
3 ـ شرح ارجوزة في الفقه لابن الخطيب
4 ـ رسالة في المنطق
5 ـ رسالة في الحساب
6 ـ تلخيص بعض رسائل ابن رشد .

اما مميزاته كعالم ومفكر ، فهي بالاضافة الى سعة اطلاعه : 1) حريته الفكرية التي تتجلى في دراسة كتب تختلف نزعات اصحابها . 2) اتزانه في التفكير وبعده عن العاطفة والغرور . 3) قدرته على استعراض الآراء والتمييز بين صحيحها وفاسدها . 4) شدة الملاحظة والقدرة على استخراج القوانين العامة 5) خبرته الواسعة في الحياة السياسية والادارية للدول

وكما قال بعض الباحثين ، فهو سلفي يرى قصر العقل البشري عن ادراك الامور الالهية وان المعول على الشرع فيما يخص البعث والروح والوجود ؛ وما عدا ذلك فهو فيلسوف عقلي طبيعي يرى خضوع الامور لنواميس معينة .

والمقدمة كما هو معلوم ، مدخل لعلم التاريخ بجميع فروعه ، وهي بالتالي مدخل الى كتاب العبر الذي لايخلو من مزايا خاصة على الرغم من انه لايزال مهملا بالمرة كموضوع للنقد بوصفه مصدرا تاريخيا .

ولست ابالغ اذا قلت بادىء ذي بدء : ان كلا من المؤرخ وعالم الاجتماع والمربي والمتخصص في الاقتصاد السياسي وحتى البيولوجي سيجد فيه كثيرا من النظريات التي لاتخلق جدتها ؛ فالرجل لم يكن يدري وهو يؤلف هذا المرجع الرائع ، انه لم يضع مؤلفه لمعاصريه ، وانما وضعه لمن بعده بقرون ، ونحن نعيش اليوم في خضم النظريات التي عرضها بعمق وبصيرة ناقبة .

وتقع المقدمة في ستة فصول رئيسية مصدرة بتمهيد مطول . وكل من هذه الاقسام الستة يتفرع الى فصول صغرى :

التمهيد :

من أهم آرائه ونظرياته هنا :

1 ـ فن التاريخ يوقفنا على احوال الماضين من الملوك والامم لاستخلاص العبر من سياستهم ومصائرهم ؛ ولا يحكم التاريخ على الاخبار وحدها؛ فلا بد من الحكم على العادات وقواعد السياسة وطبيعة العمران مع تحكيم النظر في كل ذلك

2 ـ حمل على المسعودي الذي زعم ان موسى احصى القادرين على حمل السلاح في التيه من اسرائيل فكانوا ستمائة الف . وهو يستبعد ان يقع قتال بمثل هذا العدد ، ويحتج بان الفرس كانوا اعظم من بني اسرائيل ولم يثبت انهم كانوا يتوفرون على ما يقاربه . ثم حمل على من يبالغون من معاصريه في تقدير تعداد الجنود والنفقات وعد ذلك من ولوع النفس بالغرائب.

3 ـ لم يقبل انتماء البربر بما فيهم صنهاجة وكتامة الى حمير ، ولكنه ذكر في « العبر » ان نسابة صنهاجة يعزون انفسهم الى حمير ، ويتابعهم في ذلك ابن حزم . ونفى في المقدمة ان يكون افريقش الحميري قد وصل الى افريقيا ، اذ ان التبابعة لم يتجاوزوا

شبه الجزيرة العربية ، فضلا عن الصعوبات المادية التي قد تعترضهم . وقد نفى ما حكاه الطبري والزمخشري وغيرهما من المفسرين عن ارم ذات العماد التي نسبت الى عاد وان مكانها عدن . وقال: ان المفسرين ظنوا ان العماد هي الاساطين فتأكدوا انها مدينة مبنية ذات اساطين ، والمقصود بالعماد فى نظره عماد الخيام (؟)

4 ـ نكبة البرامكة لم تكن بسبب العباسة ، بل لاستبدادهم .

5 ـ الرشيد لم يكن مخمرا اذ كان يحج سنة ويغزو اخرى وهذا دليل على تقواه ، ولكنه كان يشرب نبيذ التمر على مذهب أهل العراق ، ولم يكن يتخذ مظاهر الزينة والحلية فى مواكبه . ولم يكن يحيى بن اكثم سكيرا ؛ كما حمل ابن خلدون على من يقدحون فى المهدي بن تومرت .

6 ـ الدول مثل الامم والاشخاص يعتريها التطور والهرم ، وأهل كل دولة ياخذون عن عوائد من قبلهم حتى ينتهي الامر الى تباين تام بين الدول المتأخرة والمتقدمة .

7 ـ لايرى فائدة كبيرة فى الطريقة التي درج عليها المؤرخون المتاخرون فى ذكر وزراء وحجاب ومساعدي كل ملك ، كما فعلوا فى شأن بني امية والعباسيين، ما لم يكن هؤلاء الموظفون من ذوي الشهرة كالمنصور بن ابي عامر .

ولا نريد ان نناقش بعض ما ادلى به من آراء ونظريات جديرة بالتمحيص ؛ وقد نشير الى بعض تناقضاته فيما بعد .

وبعد هذا التمهيد ، تاتي الفصول الستة الرئيسية كما يلي :

1 العمران البشري على الجملة :

يستعرض فيه أهمية الاجتماع الانساني وضرورته ، ويتحدث فى لمحة جغرافية عن الاقاليم السبعة ومناخها وطبيعتها ، ثم يذكر اثر الهواء فى التكوين الفيسيولوجي والسلوك الاخلاقي ، واثر البيئة الاقليمية فى الحياة الاجتماعية ، ويقحم بعد هذا كلاما فى شؤون الغيب والوحي والكهانة والرؤيا .

ومن اهم نظرياته فى هذا القسم :

ا ـ ان الانسان مضطر الى حياة اجتماعية ، ويعبر عن ذلك بقول الحكماء : الانسان مدني بالطبع فالمدنية والاجتماع والعمران عنده متقاربة المعنى . ولكي يضمن الانسان عيشه يضطر الى البحث عن الادوات والوسائل التي تسهله له ، فيحتاج الى التعاون ؛ وبما انه جبل على الظلم ايضا ، فلا بد من سلطة تحدث توازنا بين افراد المجتمع ، وهذه السلطة هي الملك الذي تمثله بعض المجموعات الحيوانية كالنحل والجراد .

ب ـ الطقس له اثر عظيم فى عمران القسم الشمالي ونقصان القسم الجنوبي من الكرة الارضية . وهكذا فالبلاد المعتدلة اكثر سكانا من البلاد المفرطة فى الحر او البرد . واذا افرط الحر فى ارض اسود جلد اهلها وغلبت عليهم الخفة والطيش وكثرة الطرب . اما سكان البلاد الباردة فيغلب عليهم التفكير والاحتياط حتى ليدخرون قوت سنتين . والافراط فى النعيم يورث قلة المناعة فى الجسم ؛ والبلاد المجدبة اقدر على احتمال المجاعات . والمتغذون بلحوم ولبان الحيوانات الضخمة تنشأ اجيالهم كذلك .

2 العمران البدوي :

استعرض فيه المميزات الاخلاقية والاجتماعية لاهل البادية ، واسبقية حياة البداوة على الحضارة ؛ كما ذكر ما يمتاز به البدو من شجاعة على اهل الحضر، وتحدث عن نشأة العصبية واحتفاظ البدو بأنسابهم وكيفية اختلاط الانساب ودور العصبية القبلية في الحياة الاجتماعية والسياسية وظروف انحطاطها وضعفها وأسباب انهيار الامم ودور القبائل العربية فى الميدان السياسي .

وهذا القسم من اهم اقسام المقدمة ، حتى ليكاد كل فصل من فصوله يمثل نظرية اساسية فى ميدان علم الاجتماع ، ومن اهم نظرياته هنا :

ا ـ لابد من وجود حياة البادية بما تشمله من اشتغال بالفلاحة وتربية الماشية ؛ الى جانب حياة المدينة التي لاتتسع للزراعة .

ب ـ البدوي يتعيش بالضروري ، والمدني يضيف اليه الكماليات ترفها . وحياة غير المتحضر اما من الرعي أو من الزراعة ، ولم يذكر الصيد .

ح ـ الاجتماع نوعان : بدوي وحضري ؛ والاول سابق مادة وضرورة ، وكلاهما ضروري ولكن البدو اقرب الى الخير لانهم اهل فطرة .

د ـ لابـد للدولة من عصبية (أي حـزب يشد ازرها ، وقد كانت العصبية يومئذ قبلية او عائليـة) وقلما تعدو الدولة عظمة الملوك الاربعة الاولين .

هـ ـ لابد من عصبية اسرة معينة ضمـن العصبية الكبرى لتتم الرئاسة لاهلها ، وتنتقل من رئاسة القبيلة الى ما فوقها حتى تنتهي الى الملك بالاستبـداد او المظاهـرة .

و ـ الترف والافراط في الحضارة يخرب الدول .

ز ـ من اهم مقومات الملك خدمة المصلحة العامة ، ويعبر عن ذلك بـ « التنافس في الخـلال الحميدة » ويدخل في ذلك تجنب الدس والمكر ، والمحافظـة على العهد ، واكرام رجـال العلم والدين ، والعـدل بين الرعيـة .

ح ـ الامـم الغير المتمدنة يتسع ملكها اكثر من المتحضرة . ومثل هنا بالتبابعة الذين قال انهم بلغـوا العراق والمغرب والهند ، مع انه حمل بشدة على المسعودي في هذا الموضوع ونفى خروج التبابعة من شبه الجزيرة في بدايـة مقدمتـه كما مـر .

ط ـ المغلوب يقلد الغالب في زيـه واحوالـه .

3 تطـور الدول ونظمها السياسية والحربيـة ، وخـرابهـا :

يتحدث فيه عن تأسيس الدولة ونموها وانتقالها من الضعف الى القوة ثم الى الضعف مرة اخـرى ثم يتحدث عن اختصاصات رئيس الدولة خليفة وسلطانا، وعن نظام البيعة وولايـة العهـد والتنظيم المالـي والعسكري وشارات الملك ، واخيرا ، انهيار الدولـة ومـراحلـه .

ومن نظرياته في هذا الفصـل :

ا ـ ان الدولة قد تستغنى عن العصبية القبليـة بتقادم العهد وانقياد الرعية ، كما حـدث في عهـد العباسيين اذ انتهت العصبية العربية منذ عهد المعتصم، ولكنهم تحولوا الى عصبية الترك والفـرس ، على ان فقدان العصبية الاساسية ادى الى خراب الدولة

ب ـ الدعوة الدينيـة تزيد الدولة في اصلها قوة على قـوة العصبيـة .

ج ـ الدولـة يتسع نطاقهـا وملكهـا على اساس كثرة المتعصبين لها (أي عصبيتها) ، وكلمـا كثرت القبائل والاوطان في بلد صعب استحكام الدولة فيه فان الشام سهل انقياده على العرب اذ هم اهل حضارة، وهم عرب على الاكثر ؛ وتعذر لامد طويل خضوع البربر لكثرة قبائلهم وعصياتهم وبداوتهم ، وتعذر على هؤلاء اقامة دولة واحدة لامد طويـل .

د ـ الدولة لها اعمار طبيعية كالاشخاص .

هـ ـ اذا خشيت الدولة على نفسهـا اصطنعت الموالي الغرباء ، ثم ينقلبون عليها .

و ـ ما قيل عن عظم اجسام الدول الماضية كعـاد وثمود من قبيل الاساطير ، فمآثر الدول في الحضارة على قدر قوتها المادية وقابليتها للمدنيـة .

4 عمـران المـدن والامصـار :

تحدث عن استقرار الدولة بالامصار ، وعن بناء المدن وقلة المباني في الدولة الاسلاميـة واسواقهـا واسعارها وتطور حضارتها وخرابها .

ومن استنتاجاته في هذا الباب :

ا ـ ان الدولـة في طـور تاسيسهـا تضطر الى الاستيلاء على الامصار لامرين ؛ احدهما لتسد نقصا في الحضارة والعمران ، والثاني لكي تحتمي بهـا عنـد الحـاجـة .

ب ـ ان الهياكل والابنية العظيمة لايستقل ببنائها ملك واحد ، وقد لاتستقل الدولـة الواحدة ببنائها، ومثل باهرام مصر وآثـار الفـرس ورباط الفتـح وغيـر ذلك .

ج ـ ان المباني في الامة الاسلامية قليلة ، لان العرب عريقون في البداوة ، وعلى يدهم قامت الدولة ، ولكـن عصبيتهم لم تطل آلاف السنين ولا مآتها ، فلم يبـق الحكم بأيديهم ايام الامويين والعباسيين الا عقـودا ، وليس كذلك امم الفرس والرومان .

د ـ اذا كثر سكان مدينة رخصت اسعار قوتهـا الضروري وغـلا سعر سلعهـا الكمالية ، وان قـل سـاكنوهـا فبالعكس .

5 وجـوه المعاش والصنائـع :

تحدث فيه عن حاجة السكان الى ابتغاء الرزق والسعي فيه وانواع المعاش من تجارة وفلاحة وصناعة ومهن ، وعن تطـور الصنائـع واضمحلالها ومختلف شعبهـا .

ومن استنتاجاته هنا :

ا ــ ان الوظائف الصغرى المرهونة بظروف الترف لاتعتبر معاشا طبيعيا .

ب ــ ان رجال الدين تعظم ثروتهم فى الغالب ، كرجال القضاء والفتيا والامامة والخطابة ، ولكنه هنا لم يتعرض للرشوة ، وبما ان الامر يتعلق بوظائف اسلامية فهو لم يتحدث عن رجال الكنيسة وقد كانوا اغنى الناس فى عصره .

ج ــ كلما بعد بلد وتعذرت المواصلات اليه كلما غلت السلع المجلوبة منه .

د ــ اذا كثر العرض رخصت السلع الى حد الافراط فيتضرر المحترفون الصغار وتكسد البضائع فيتوقف هؤلاء عن العمل . كما ان الغلاء المفرط مضر كذلك بالطبقة الشعبية ، والمواد الضرورية خصوصا الحبوب الزراعية الاساسية يحمد فيها الرخص .

هـ ــ الصنائع منها ما هو مركب ، ويحتاج فيه للكماليات ، وما هو بسيط يحتاج فيه للضروريات وهو اسبق . اما تطور الصنائع فيحتاج فيه الى زمن واجيال ولا يتم اتقانها الا بمقدار الطلب عليها ، وقد رسخت الصنائع فى الامم التي مضى على تطورها فى الحضارة عدة اجيال كبني اسرائيل والصين والهند واليونان ، وليس كذلك العرب .

و ــ من حصلت لها ملكة فى صناعة فقل ان يجيد غيرها .

6 طرق التعليم وأصناف العلوم :

هذا اطول اقسام المقدمة ، اذ ياخذ ازيد من ثلثها ، وفيه يتحدث عن طرق التعليم المتعارفة في عصره ، ويدلي بآرائه ، ويتحدث عن تطور مختلف انواع العلوم من دينية وطبيعية ورياضية وادبية .

ومن نظرياته فى التعليم :

ا ــ ضرورة مراعاة عقل المتعلم .

ب ــ التدرج فى تلقين التعليم على ثلاث مراحل .

ج ــ يحسن الاشتغال بالعلوم واحدا واحدا .

د ــ الشدة على المتعلمين مضرة بهم .

هـ ــ الرحلة فى طلب العلم مفيدة .

و ــ لايعاق المتعلم بكثرة التآليف كما ان كثرة المختصرات مضرة .

ز ــ التعليم من جملة الصنائع .

ومن آرائه عن العلم والعلماء :

ا ــ العلوم تنمو حيث تنمو الحضارة .

ب ــ حملة العلم فى الاسلام اكثرهم عجم .

ج ــ العلماء من ابعد الناس عن السياسة .

ولم يترك فى هذا القسم علما معروفا فى زمنه لم يتحدث عنه ، كالتفسير والفرائض والفقه والكلام والتصوف والجبر والهندسة والهيئة والمنطق والسحر والكيمياء والروحانيات والتنجيم والفلسفة والنحو والادب واللغة والبيان والموسيقى .

ومن اهم النظريات الثورية التي لم يبلغ الى علمي ان المعتنين بمشاكل العربية قد انتبهوا اليها ، والتي سبق اليها هذا العالم الفذ ، دعوته الى اصلاح اللغة العربية عن طريق تعويض حركات الاعراب أو تيسيرها . وفى ذلك يقول بالحرف فى الفصل الخاص بـ « أن لغة العرب لهذا العهد لغة مستقلة مغايرة للغة مضر وحمير » (ص 511 ــ المطبعة البهية ــ مصر) :

« لعلنا لو اعتنينا بهذا اللسان العربي واستقرينا احكامه ، نعتاض عن الحركات الاعرابية فى دلالتها بأمور اخرى موجودة فيه ، فتكون لها قوانين تخصها ؛ ولعلها تكون فى أواخره على غير المنهاج الاول فى لغة مضر . فليست اللغة وملكاتها مجانا ، ولقد كان اللسان المضري مع اللسان الحميري بهذه المثابة ، وتغيرت عند مضر كثير من موضوعات اللسان الحميري وتصاريف كلماته . »

هذا عرض مبسط لمقدمة ابن خلدون . وتكاد تكون كل من نظريات هذا الفيلسوف الاجتماعي تشكل موضوعا قائما بذاته . على أن بعض هذه النظريات قابل للمناقشة والرد ، ، والبعض الآخر لم يعد صالحا . والباقي وهو الاكثر يكتسي صبغة الاستمرار والتعميم وتلك قاعدة العلم الرئيسية .

سلا ــ ابراهيم حركات



عندما حاولت دراسة رحلة ابن بطوطة دراسة موضوعية مركزة ، اعتمدت على آثار معاصره (البلوي) فصححت كتابه (تاج المفرق) لاتعرف على صدق مرويات ابن بطوطة واخطائه ، ولذلك سأتبع نفس الطريقة لدراسة مقدمة ابن خلدون دراسة موضوعية وابن خلدون اليوم اصبح حديث الساعة تصدر عنه مختلف الدراسات المتعددة الاتجاهات ، وأصبح كثير من المغرضين يجعلون منه خصما للعرب ، كما اصبحت بعض الهيآت تتخذ من آرائه التاريخية أحكاما ضد العروبة ، بل ان كثيرا من العنصريين جعلوا منه نموذجا للتفكير الغربي المحلل والمؤلف على غرار الفكر الغربي ، وليس من الصدفة فى شيء ان يتكلم الماركسيون اليوم كثيرا عن تفسيرات ابن خلدون المادية للتاريخ ونظرياته فى الفائض المالي وغير ذلك من آرائه المسايرة لاتجاههم ، ولهذا اصبح لزاما ان ندرس مقدمة ابن خلدون دراسة موضوعية على أساس جديد لنتعرف على حقيقة آرائه كما هي ، وذلك بالاعتماد على ما يأتي :

اولا ـ تحديد مفاهيم المعجم الخلدوني تحديدا تاريخيا ، وذلك بدراسة كتاب محمد ابن الازرق المسمى (بدائع السلك) ذلك المخطوط الذي أتمنى ان ينشر قريبا ليتعرف المشتغلون بابن خلدون على مدى تأثير كتاب المقدمة فى عصره ، واستعمال المعاصرين له لنفس تعابيره واصطلاحاته ومفاهيمه ، واستخدامهم الاسلوب المتعارف فى زمانه ؛ فابن خلدون ليس بدعا فى القرن الثامن ببلاد افريقيا ، وانما كان واحدا فى اعلامها الكثيرين الذين ضاعت آثارهم .

ثانيا ـ بتحليل آراء ابن خلدون والبحث عن مصادرها الفكرية والعاطفية ، ثم تركيبها من جديد حتى تفهم كما ارادها الكاتب الكبير ، فرأيه فى العرب يجب ان نعتمد فيه على ما وصف به العرب ، ونبحث تاريخيا عن الذين وصفوا بما قيل عنهم لنعرف حملته ما اذا كانت على العنصر العربي ، ام على بعض القبائل العربية .

ثالثا ـ بالرجوع الى المصادر التي اعتمد عليها ابن خلدون فى مقدمته وتاريخه ، فنحن نعرف ابن خلدون كان يعرف شيئا من اللغة اللاتينية ، وينقل ما كتبه مؤرخو الرومان والبربر عن المغرب ، ومن المعلوم عنه انه تأثر بالمؤرخ البربري (فلوروس) الملخص لمشرات (طيطس) والذي عاش فى روما مؤرخا وكاتبا ذائع الصيت ، معروفا برأيه فى تحديد حياة الدولة فى اربعة عصور ؛ عصر النشأة والعظمة والانحطاط والاندثار التي اقتبسها عنه ابن خلدون فيما بعد ، كما انه كان يحسن اللهجة البربرية وبالاخص الهنتاتية (1) المستعملة فى بلاط الحفصيين ، واستفاد مما كتبه البربر باللغة البونيقية ، ومما كتبه نسابو البربر المطماطي والنفوسي وابن كيداد وابن الوراق ، والبرزالي ، والنضرومي ، بالاضافة الى ما اخذه عن ابن كلبي فى كتاب الانساب وابن قتيبة فيما كتبه عن اخبار افريقية والطبري فى تاريخه ، والمسعودي فى مروج الذهب ، وابن حزم فى الجمهرة ، وابراهيم الرقيق القيرواني مؤلف انساب البربر ، والجرجاني فى تهذيب التاريخ ، والبيهقي فى كتاب الاسماء والصفات ولا شك ان معرفته باللغة الاسبانية مكنته من الاطلاع على فلسفة الاغريق وبالاخص على ارسطاطاليس (1) .

اما عن الموضوع الاول وهو تحديد مفاهيم المعجم الخلدوني فكتاب ابن الازرق الذي بين يدينا يعطينا حجة على ذلك ، وسأقدم ابن الازرق حتى نتعرف عليه قبل ان ندخل فى تحليل كتابه التاريخي العظيم فمن هو ابن الازرق ؟

1) راجع كتاب « البربر » عثمان الكعاك

هو ابو عبد الله شمس الدين محمد بن علي بن محمد المشهور بابن الازرق ؛ ولا يذكر المؤرخون تاريخ ولادته وانما يذكرون تاريخ وفاته ، ونعرف مما ذكره عبد الرحمن بن مجير الدين الحنبلي (المتوفى سنة 927) في كتابه « الانس الجليل ؛ في تاريخ القدس والخليل » (ترجمه الى الفرنسية Henri Santaine وطبع بباريس سنة 1876) في (ج 2 ص 91) ان ابن الازرق توفي سنة 896 هجرية وله من عمره 64 سنة فيكون تاريخ ولادته على ذلك سنة 832 هجرية الموافقة لـه 1427 ميلادية اي بعد موت ابن خلدون بعشرين سنة، ونشأ بقرطبة حيث اخذ عن كثير من الاعلام ، وبالاخص عن الاستاذ ابراهيم ابن احمد بن فتوح الذي درس عليه النحو والاصلين والمنطق كما درس عن ابي عبد الله محمد بن محمد السرقسطي ، وعن الخطيب ابي الفرج عبد الله بن احمد البقني (ويشك محمد محيي الدين في نفح الطيب في ضبط اسمه شكا لامبرر له) كما اخذ عن الشهاب قاضي الجماعة بغرناطة ابي العباس احمد بن ابي يحيى بن شرف التلمساني ، وعن قاضي الجماعة ابي القاسم بن سراج ، وبعد دراسته اصبح من علماء المذهب المالكي وقاضيا بغرناطة ، ويحدثنا مؤلف تاريخ القدس ان ابن الازرق كان حسن الشكل من اهل العلم والصلاح ، عليه حلة الابهة والوقار ، وكان عهد نشأته وشبابه بغرناطة اليما ، كان مسيحيو الشمال يجهزون على غرناطة لاستئصالها نهائيا ، ولم يبق على ملك قشتالة واراجون (فرديناندو وايزابيلا) بعد احتلالهما لسائر الثغور والقواعد الاندلسية الجنوبية والشرقية الا ان يستوليا على (غرناطة) التي لم يكن في وسعها بعد ان انهكتها الفتن الداخلية لتقاوم قوة الاسبان المسيحيين ، لذلك اخذ كثير من المسلمين يغادرون الاندلس حفظا لدينهم ومكانتهم واستنجادا بالمسلمين وقد هددت غرناطة عمليا بعد سقوط مدينة (لوشة) في يد النصارى ، وتسليم بسطة ووادي اش سنة 895، فتوجه كثير من اعلامها لمسلمي افريقيا والعالم الاسلامي لانقاذ مدينتهم الاخيرة ، وكان من بينهم ابـن الازرق الذي توجه اولا الى تلمسان ثم الى القاهرة حيث اتصل بالملك الاشرف قايتباي المولود سنة 1410 والمتوفى 1496 والذي حكم مصر سنة 1468 الى 1496 وهو من المماليك البرجيين ، جركسي الاصل ، اشتهر بعدله ومنافسته لاتراك الاناضول ، وبالآثار العمرانية في القاهرة وحلب والمدينة ، فوجد ملك مصر قتبـاي مشغولا بقتال الروم ، وبصراعه مع العثمانيين ، ولذلك لم يستطع تلبية دعوته ، وحسبما يقوله المقري فقد كان كمن (طلب بيض الانوق والابيض العقوق) ولما طال انتظاره ، توجه الى مكة لاداء الفريضة فحج وجاور بالمدينة ثم رجع الى القاهرة سنة 896 ، وعاود طلبه من سلطان مصر ، غير انه دافعه عن عاصمة مصر وشغله بوظيفة قاضي القضاة في بيت المقدس ، بعيدا عن القاهرة عوضا عن القاضي ابن مجير ، وكان ذلك في رابع رمضان سنة 896 فتوجه ابن الازرق الى القدس التي وصلها يوم الاثنين 16 شوال سنة 896 واقام بها نحو شهر ولكنه مرض بها مرض وفاته يوم الجمعة بعد الصلاة في آخر ذي الحجة الحرام من نفس السنة وصلى عليه بالمسجد الاقصى ودفن الى جانب حوشي البسطامي من جهة الغرب ، ويقول عنه صاحب (انس الجليل) انه كان عدلا نزيها . ومن الاتفاق أن يتوفى السلطان قايتباي في نفس هذه السنة ، وان تستلم غرناطة في الثاني من ربيع الاول سنة 897 موافق 2 يناير 1492 اي بعد سنة من وفاته . ولاشك ان المقري وكثيرا من المؤرخين المغاربة حين يذكرون انه رحل من الاندلس بعد استيلاء النصارى عليها انما يريدون بذلك تهديد النصارى لغرناطة قبل أن يستولوا عليها نهائيا ، ويدل على ذلك قصيدته العينية التي يصف فيها نزول النصارى ببرج غرناطة كما حول على ذلك موته ببيت المقدس قبل سقوط غرناطة ولا ضرورة ليشك المقري في ازهار الرياض عما اذا كان ابن الازرق دخل تلمسان قبل القاهرة او بعدها .

وابن الازرق كاتب لامع ، شهد اسلوبه المتين بقوة عارضته وجزالة تعبيره ، وتمكنه من ناصية البيـان ، وهو الى ذلك ذو عقلية منهجية يقسم موضوعه بدقة تقسيما مركزا ، كما يلاحظ في كتابه بدائع السلك ، ووصفه المقري في ازهار الرياض انه كان خطيبا مؤرخا راوية ، وقد ترك لنا عدة تآليف منها بدائع السلك في طبائع الملك (وهو مخطوط لم يطبع بعد ، توجد منه في المغرب ثلاث نسخ فيما اعلم) ، ويقول المقري عنه ، انه كتاب حسن مفيد في موضوعه ، لخص فيه كلام ابـن خلدون في مقدمة تاريخه وغيره ، مع زوائد كثيرة ، وزاد في ازهار الرياض (ج 3 ص 318) انـه زاد على ابـن خلدون زيادات كثيرة نافعة ، وله كتاب (شفاء العليل في شرح مختصر خليل) ، ويظن سعيد المقري ان اسمه (شفاء الغليل) دفعا للتوارد مع كتاب ابن غازي المسمى بنفس الاسم ؛ ويقول المقري انه رآه بتلمسان ويظن انه في عشرين مجلدا . كما يقول عنه انه لم ير في شروح خليل مع كثرتها مثله) .. وترك كتاب (روضة الاعلام ، بمنزلة العربية من علوم الاسلام) وهو مجلد ضخم يقول المقري لم يؤلف في هذا الفن مثله ، وكان موجـودا في

تلمسان فى عصر المقري ، كما الف الابريز المسبوك فى كيفية اداب الملوك) . وكتاب (تحبير الرياسة) ، وصفه ابن عسكر بانه كتاب رائع لم يؤلف فى فنه مثله .

ولابن الازرق تلامذة متأثرون بعلمه وفقهه ، ومنهم الوادي اشي المشهور الذي ترك غرناطة بعد سقوطها الى تلمسان حيث استولى عليها الاسبان وقد ترجم له المقري فى ازهار الرياض ترجمة حافلة (ج 3 ص 305)

ونتساءل عن توجه ابن الازرق الى تلمسان والقاهرة هل كان بصفة شخصية حيث راى بلاده تتساقط امام الغزو المسيحي وضعف الملوك النصريين عن مواجهة النصارى ، ام انه توجه فى سفارة رسمية الى مصر ، والنصوص التاريخية لا تسعفنا بشيء من هذا ، ولا شك انه لم يتوجه لتلمسان لطلب العون من المرينيين الذين كانوا يعانون تطاحنا داخليا وانما كان متالما بصفته قاضي العاصمة لمصير غرناطة ، وضعف ملوكها فتوجه الى مصر بصفة شخصية للاتصال مع الملك قيتباي ، وحسب ما نجده فى المعيار (ص 11) من انتقاد المواق وابن الازرق لمبايعة ابن السلطان يؤكد لنا استياءه من حالة غرناطة وحكامها ، كما ان تسمية الملك الاشرف قايتباي لابن الازرق قاضيا بالقدس يدل على انه لم يكن سفيرا رسميا ، وان الملك الاشرف كان يعرف نهاية غرناطة ، فصرفه عنها الى ولاية القضاء بالقدس تقديرا لعلمه .

والملك الاشرف سلف له ان تلقى سفارة رسمية من الاندلس الى مصر فى ذي القعدة سنة 892 هجرية (نوفمبر 1487) . تطلب رغبة ملوك الاندلس ان تبعث مصر بتجردة عسكرية لتعينهم على قتال نصارى الافرنج المشرفين على غرناطة ، ولكن ملك مصر لم يكن فى وسعه تلبية رغبتهم وانجادهم عسكريا ، وانما اعانهم دبلوماسيا فوجه سفارة مصرية الى البابا مكونة من راهبين من رعاياه وهما القس انطنيو ميلان ورئيس دير القدس فرنسيين ببيت المقدس ، وعهد اليهما بكتب الى البابا (نوصان الثامن) وملك نابل (فرديناند الاول) والى (فرديناند وايسابيلا) ملكي قشتالة واراجون . وفى هذه الكتب يعاتب سلطان مصر ملوك النصارى على ما يصيب المسلمين من ابناء دينه فى مملكة غرناطة ، فى حين ان رعاياه النصارى فى مصر وبيت المقدس وهم ملايين من النصارى يتمتعون بحرياتهم ، ولهذا يطالب (ايزابيلا وفرديناند) بالكف عن الاعتداء وعدم التعرض للاندلسيين ، ويطالب البابا وملك نابل ان يتدخلا لرد ملك قشتالة واراجون عن اعتداءاتهما ، والا فان مصر سترد العدوان وستقتص من الرعايا النصارى ببلاد الاسلام ، وتبطش بالاحبار وتمنع دخول النصارى الى بيت المقدس ، وستهدم قبر المسيح ، والاديار والمعابد المسيحية (1) .

وتوجه الوفد المسيحي المبعوث من مصر الى روما ونابل ثم توجه الى اسبانيا ، فوجد النصارى امام اسوار (بسطة) يحاصرونها ثم توجه بعد ذلك الى الملكة (ايزابيلا) فى مدينة جيان ، ولاشك ان الفاتيكان كان يعرف ان مصر انما تهدد كلاميا فقط ، لانشغالها فى صراعها مع العثمانيين ، ولبعثها وفدا من الاحبار المسيحيين الى اخوانهم فى الدين ! ومما لاشك فيه ان فرديناند وايزابيلا ، استغسرا السفارة المصرية الاخوية فى الدين عن حقيقة وضعية الملك الاشراف قيتباي ومشاكله فى الصراع مع الاتراك ، فاكدت السفارة الاخوية ان التهديد مجرد كلام ، ورجع الوفد بهدايا وكلمات معسولة الى مصر ، ووجد السلطان قيتباي فى صراعه ضد بايزيد الثاني ، وضد غارته المتكررة على الحدود الشمالية .

غير انه بجانب هذا التدخل الرسمي كان المسلمون فى العالم الاسلامي يتألمون لمصير الاندلس ويتتبعون عن كثب مأساته الاليمة ، ونرى فى حوليات ابي اياس مؤرخ مصر تسلسل الاحداث الغرناطية من سنة 886 الى سنة 890 والى سنة 891 ، كما نلاحظ يأس المؤرخين المسلمين من تدخل رؤساء المسلمين واضحا فى عبارات تند من اقلام المؤرخين كالمقري الذي يقول عن ابن الازرق (انه كان كمن يطلب بيض الانوق او الابيض العقوق) .

والمؤرخون الغربيون كانوا يخشون ان يتوحد المسلمون بسبب ازمة غرناطة لمحاربة المسيحيين ، ولذلك فقد ذكروا ان بايزيد الثاني سلطان الترك الاشراف قايتباي سلطان مصر ، تهادنا وعقدا محالفة لانقاذ الاندلس واتفقا فيها ان يرسل الخليفة بايزيد الثاني اسطولا قويا لغزو جزيرة صقلية التي كانت تحت حكم اسبانيا حتى يشغلا اهتمام فرديناند وايزابيلا ، وان تبعث مصر سريات كثيرة من الجند من مصر

1) (انظر ابن اياس تاريخ مصر ج 3 ص 246) ، وانظر كتاب فرديناند وايزابيلا ص 228 عن نهاية العرب فى الاندلس محمد عبد الله عنان ص 208)

وافريقيا تجوز البحر الى الاندلس لانقاذها (1) ولاشك ان هذا مجرد اشاعات لان المؤرخين المسلمين لم يذكروا شيئا من ذلك ، بل بالعكس كانوا يجارون من تهافت الحكام ونسيان انقاذ الاندلس .

وكان المسيحيون ينتظرون ذلك اليوم الذي تسقط فيه غرناطة ليعوضوا سقوط قسطنطينة في يد الاسلام ، وفعلا فقد اقيم قداس ديني عظيم في الفاتيكان تخليدا لسقوط غرناطة .

كما ان ملكي اسبانيا المسيحية بعثوا بوفد الى مصر ليطمئن حكامها على المسلمين الاندلسيين بعد سقوط غرناطة وانتقد المسلمون بشدة ان يستقبل حكام مصر وفدا من المسيحيين الذين يؤذون اخوانهم في الدين ولذلك فقد استقبل ملك مصر الوفد سريا .

ولسنا ندري متى غادر ابن الازرق غرناطة غير انه لاشك ان يكون ذلك بعد سنة 892 ، فالوادي آشي يذكر في بعض فتاويه الفقهية (ج3 ازهار الرياض ص 316) ان الامام قاضي الجماعة محمد بن الازرق كان يرى فيمن ارتهن دارا ثم اذن للراهن ان يسكنها او يكريها لم تخرج من الرهن ويرى الزام الكراء ، ويقول الوادي آشي ان ابن الازرق حكم في هذه القضية عام تسعين وثمان مائة 890 ، ويزيد ان الامام ابن الازرق تكلم في هذا الموضوع بمجلس درسه الذي يحضر فيه الوادي آشي وناقش استاذه في هذا الموضوع .

ويقول المقري في ازهار الرياض (ج 3 ص 38) ان ارتحال ابن الازرق لتلمسان كان بعد التسعين وثمان مائة بلاشك واذا فقد غادرها بعد سنة 892 حين اشتد تكالب النصارى على غرناطة وبعد الفتنة الاهلية بحي البيازين الذي ناصر ابا عبد الله محمد الداعي الى عقد الصلح مع الاسبان حفظا على مصالح الغرناطيين ، وكان حي البيازين مع ابي عبد الله محمد ولم تلبث غرناطة ان ايدته بعد خروج السلطان محمد ابن سعد (الزغل) الى معركة (بلش) ، وعند عودته منهزما الى العاصمة وجدها دخلت في طاعة ابن اخيه الصغير ابي عبد الله محمد ، ولاشك ان ابن الازرق كان ملتزما لبيعة محمد بن سعد الزغل وساءه خروج الغرناطيين عن طاعته ، وربما خلعه هذا السلطان (اي) ابو عبد الله محمد لهذا الموقف ، فتوجه الى تلمسان ، وحسب ما يذكره الونشريسي صاحب المعيار من أن ابن الازرق والمواق وقعا على عريضة جواب فقهاء غرناطة على قبح فعل من كتب بيعة ابي الحسن النصري ، والمعروف ان ابا عبد الله محمد جلس مكان ابيه على عرش غرناطة اواخر سنة 887 ، وبقيت مالقة وعرب الاندلس على طاعة ابيه فلا يبعد ان يكون ابن الازرق توجه الى مصر بايحاء من محمد ابن سعد الزغل الذي اصبح اميرا على وادي آش واعمالها والذي يئس من نصره الغرناطيون لمقاومة الاسبان سيما بعد تربع ابي عبد الله محمد على عرشها وهو صديق للمسيحيين والموقع على معاهدة الاتفاق مع الاسبان ولذلك لما هوجمت مالقة سنة 892 وكانت تحت طاعة محمد بن سعد الزغل لم يهب للدفاع عن عاصمته خوفا من ان يضربه ابن اخيه من خلفه فتركها تلاقي المصير المحتوم ، وكتب الى ملوك الاسلام في افريقيا ومصر وقسطنطينة يستغيثهم للدفاع عن الاندلس ، وربما كان ابن الازرق في هذه السفارات التي لم تكن تكتسي صبغة رسمية .

ابن الازرق الشاعر :

كان ابن الازرق زيادة على ثقافته الفقهية المالكية ودرسه في الافتاء شاعرا مفلقا ترك لنا عدة مقطعات صغيرة في مختلف المناسبات ونروي له قصيدة عصماء تعتبر من بديع نظمه مدح بها شيخه الامام ابا يحيى بن عاصم ، ويشك راويها المقري في الازهار ما اذا كانت له او لابن الازرق المترجم في روضة الاعلام ، ومطلع هذه القصيدة هو :

خضعت لمعطفه الغصون الميس
ورنا فهام بمقلتيه النرجس
ذو فهم زهر الربا في كتبه
متنافس عن طيبه متنفس
ومورد من ورده اونواره
يتنعم القلب العميد وييأس
فالورد فيه من دموعي يرتوي
والنار فيه من ضلوعي تقبس
كملت محاسنه فقد ناضر
ولواحظ نجل وثغر العس
صعب التعطف بالغرام حبيبه
فالحب يحبى والتعطف يحبس
غرس التشوق ثم اغرى الوجد بي
فالوجد يفري والتشوق يغرس

1) انظر عبد الله عنان ص 205 في نهاية الاندلس ، نقلا عن المؤرخ Irving, Conquest at Grenade

ما كنت اشقى لو حللت بجنة
من وصله تحيا لديها الانفس
الحاظه ورضابه وعـــــذاره
حور بها او كوثر او سندس

ومن شعره :

مشوق بخيمات الاحبة مولع
تذكره نجد وتغريبه لعلع
مواضعكم بالأثمين على الهوى
فلم يبق للسلوان فى القلب موضع
ومن لي بقلب تلتظي فيه زفرة
ومن لي بجفن تنهمي منه ادمع
رويدك فارقب للطائف موضعا
وخل الذي من شره يتوقع
وصبرا فان الصبر خيرغنيمة
ويافوز من قدكان للصبريرجع
وبت واثقا باللطف من خير راحم
فالطافه من لمحة العين اسرع
وان جاء خطب فانتظر فرجا له
فسوف تراه فى غد عنك يرفع
وكن راجيا لله فى كل حالة
فليس لنا ، الا الى الله ، مرجع

وله قطعة ارسلها الى شيخه الحافظ قاضي الجماعة ابي القاسم بن سراج وكان قد طلب منه الاجتماع به فى وقت كانت الفتن مضطرمة فظن ابو سراج انه يريد ان يستخبره عن سر من اسرار السلطان فباعده معتذرا ، فلامه بهذه القطعة الدالة على مدى سوء الظن والحذر الذي عم غرناطة فى آخر عهدها ، والابيات هي :

فديتك لا تسال عن السر كاتبا
فلتقاه فى حال من الرشدعاطل
وتضطره اما لحالة خائن
امانته او خائض فى الاباطل
فلا فرق عندي بين قاض وكاتب
وشى ذا بحق او قضى ذا بباطل

ومن شعره فى وصف المجبنات وهي ضرب من الحلوى الاندلسية :

ورب محبوبة تبدت
كانها الشمس فى حلاها
فاعجب لحال الانام من قد
احبها منهم قلاها

ومن شعره :

عذري فى هذا الدخان الذي
جاور داري واضح فى البيان
قد قلتم ان بها زخرفا
ولا يلي الزخرف الا الدخان

ومن شعره :

تأملت من حسن الربيع نضارة
وقد غردت فوق الغصون البلابل
حكت فى غصون الدوح قسا فصاحة
لتعلم ان النبت فى الروض باقل

ومن شعره :

وقائلة صف لي الربيع محاسنا
فقلت وعندي للكلام بدار
همى ببطاح الارض صوب من الحيا
فللشيب فى وجه الزمان عذار

ومن شعره :

تعجبت من يانع الورد فى
سني وجنة نبتها بارض
ولم لا يرى وردها يانعا
وقد سال من سوقها العارض

وقال يرى والدته

تقول لي ودموع العين واكفة
ما افظع البين والترحال يا ولدي
قلت اين السرى ؟ قالت لرحمةمن
قد عز فى الملك لم يولد ولم يلد

ومن شعره موريا

من تكن صنعته الانشاء لا
ينكر الرزق لاقصى العمر
ولو استعلى على السبع الذرا
ري لما فى فمه من درر
فانا الكاتب لكن لو يبا
ع لي العتق لكنت المشتري

ابن الازرق عند المترجمين :

وقد ظل اسم ابن الازرق مشهورا عند المترجمين، وذكره الونشريسي فى المعيار (الجامع ج 11) .

كما تحدث عنه ابن عسكر فى دوحة الناشر (ص 91) ، وقال انه انتقل الى تلمسان بعد تغلب العدو على غرناطة (وهو غلط) كما قال عنه انه الف كتابا سماه ((تحبير الرياسة)) جمع فيه بين سياسة الدين والدنيا، واتى فيه باسلوب عجيب لم يؤلف فى فنه مثله ، وهو اقوى دليل على قوة مؤلفه وتحصيله واطلاعه ، وترجم له المقري فى نفح الطيب وفى ازهار الرياض (ج 3 ص 317) ولم يخل فى ترجمته من اخطاء . كما تحدث عنه احمد بابا السوداني فى كتابه نيل الابتهاج (ص 324) ومؤلف كتاب شجرة النور التركية (ص 261) والمقري فى ازهار الرياض فى اخبار القاضي عياض (الجزء الثالث ص 318) والمقري فى نفح الطيب الجزء الثاني (ص 287) والبغدادي فى ايضاح المكنون (الجزء الاول ص 170) وكتاب الانس الجليل الجزء الثاني (ص 591) والسخاوي فى الضوء اللامع (1427 ـ 1496) والتبر المسبوك ، وبروكلمان فى الجزء الثاني من الملحق (ص 962) وكتاب الاعلام للزركلي (ج 7 ص 218 ـ 281) . ومعجم المؤلفين لرضا كحالة .

(يتبـــــع)

الرباط ـ **الحسن السائح**

الحب الاول ...

كان اشعب ياكل ، وقينته الفاتنة « رشا » تنظر اليه . فسألته : اتحبني؟ فلم يلفظ حرفا ، ثم ارادت ان تحتال عليه وتحرجه

فقالت اتحب ابا بكر الصديق ؟

فبلع لقمة ، وشرب جرعة ماء ، ونظر اليها نظرة المعتذر المشغول عن الجواب ، غير انها مضت فى تضييق الخناق عليه

ـ اتحب عمر بن الخطاب ؟

وصادفت اشعب فترة فراغ بين لقمة واخرى ، فاجابها على عجل ، ويده مسرعة الى الخوان :

ما ترك الطعام فى قلبي حبا لاحد ! !



ابن الأبار وقصائد ثلاث

للدكتور عبد السلام الهراس

منذ سنوات سألني احد الباحثين عن صاحب قصيدة يبكي فيها الاندلس، ويستنهض بها همم المسلمين بتونس، وهي موجهة لابي زكرياء يحى الحفصي، وقد اوردها المقري في نفح الطيب في الباب الثامن المعنون بخروج الاندلس من يد المسلمين، وقدم لها بقوله :

«ولم يزل اهل الاندلس بعد ظهور النصارى ـ دمرهم الله ـ على كثير منها يستنهضون عزائم الملوك والسوقة لاخذ الثار، بالنظم والنثار، فلم ينفعهم ذلك حتى اتسع الخرق، واعضل الداء اهل الغرب والشرق، فمن القصائد الموجهة في ذلك قول بعضهم لما اخذت بلنسية يخاطب صاحب تونس ابا زكريا ابن عبد الواحد بن ابي حفص»

ثم اورد نص القصيدة، ومطلعها :

نادتك اندلس فلب نداءها
واجعل طواغيت الصليب فداءها

وهكذا لم يسم صاحبها (1)، وبقي مجهولا يثير التساؤل، وقد حاولنا اذ ذاك في عجالة ان نتبينه . واين الصرخة المفعمة بالحزن والاسى المنبعثة من اعماق شاعر هزت النكبة مشاعره كانت تلح علينا في التعرف على قائلها، ولكننا لم نهتد اليه . غير ان ذلك الالحاح ظل يلاحقني، ويتسرب الى تفكيري من حين لاخر، الى ان قدر لي ان اقف على مخطوطة ديوان ابن الابار التي اكتشفت بمكتبة القصر الملكي، اذ اشار علي الاستاذ البحاثة السيد العابد الفاسي ـ شكر الله له ـ ان اتخذ هذا الديوان موضوع رسالتي للدكتوارة، فكانت المفاجأة سارة عند ما استقبلني الديوان في اول ورقة منه بالقصيدة التي تبتدىء فيه بقول ابن الابار :

كيف السبيل الى احتلال معاهد
شب الاعاجم دونها هيجاءها

فاذا هي القصيدة التي كنت ابحث عن صاحبها، وان كانت هنا مبتورة الاول، حيث ضاعت منها ابيات مما يدل على ضياع ورقة او اكثر من اول الديوان . وهكذا ارضيت ذلك الالحاح المحتد، واصبح للقصيدة شاعرها المعروف بعد ان ظل الناس يرددونها طيلة سنين دون معرفته انه هو ابو عبد الله محمد بن الابار القضاعي البلنسي المتوفى سنة 658 هـ . ومن المهم ان نشير الى ان السينية المشهورة القاها ابن الابار بين يدي ابي زكرياء الحفصي بتونس عند حصار «دون خايمي» الفاتح لبلنسية في رمضان سنة 635 هـ، حيث توجه شاعرنا على رأس الوفد الذي بعثه الامير زيان ابن مردنيش حاكم بلنسية الى تونس طلبا للنجدة واغاثة المسلمين المحاصرين . فمتى القى هذه القصيدة التي نتحدث عنها؟ ان تقدمة المقري للقصيدة لا تفيد انها كانت مع السينية او بعدها،

1) انظر نفح الطيب 6 / 222 ـ 228 ـ عنان : عصر المرابطين والموحدين 455 ـ شكيب ارسلان : الحلل السندسية 3 / 537 ـ د عبد المجيد . ابن الابار حياته وكتبه ص 84 .

بل تترك باب الاحتمالات مفتوحا ، ولكن بقراءتنا للقصيدة نستخرج هذا البيت :

مولاي هاك معادة ابناءها
لتنيل منك سعادة ابناءها

وهو يدل على ان القصيدة كانت بمناسبة اخرى ، اعاد الشاعر فيها انباء الامير الحفصي عن الحالة في شرقي الاندلس على الخصوص ، وعن الاندلس عموما. فهل لابن الابار رحلة ثانية في مهمة سياسية لتونس ؟ ذلك ما انتبناه في دراستنا لحياة ابن الابار .. ولعل هذه القصيدة انشأها بمناسبة هذه الرحلة وهو يحمل بيعة بلنسية ودانية للامير الحفصي وذلك في رجب سنة 636 ه ولم تكن هذه الرحلة بقصد الالتجاء كما وهم البعض ، لكنها كانت سفارة سياسية عاد ابن الابار بعدها للاندلس، حيث نجده في مرسية آخر سنة 636 ه التي انضوت تحت لواء الحفصيين وبايعت الامير زيان ابن مردنيش (1) باسمهم .

هذه هي القصيدة الاولى التي كان صاحبها مجهولا لدينا ، فاصبحنا نعرف نسبتها له كما حاولنا تحديد زمن ميلادها .

اما القصيدتان الاخريان فاولهما مطلعها :

لم تدر ما خلدت عيناك في خلدي
من الغرام ولا ما كابدت كبدي

وثانيهما مطلعها :

زارني خيفة الرقيب مريبا
يتشكى القضيب منه الكثيبا

وكلتاهما في الغزل غير انه عفيف عذري في الاولى ، وفاحش جسدي في الثانية .

وقد نسبهما ـ غلطا ـ ابن شاكر الكتبي لابن الابار القضاعي البلنسي عند ترجمته له (2) ، وقد تبعه في هذا الغلط كل من المرحوم الدكتور عبد العزيز عبد المجيد، والدكتور الطباع ، والمستشرق بونس بويكس الذي نقل ترجمة الاولى عن المستشرق فاليرا (3) واذا كان الدكتور عبد المجيد قد شعر بانه في ورطة لان احدى القصيدتين لا تتفق واخلاق ابن الابار مما جعله يعلق بقوله :

« فان سلوكه في القصيدة الغزلية الثانية مخجل وجرأته على اعلان هذا السلوك اكثر خجلا

ومن السهل ان يقول قائل : ان هذه القصيدة ليست لابن الابار ، ولا تتفق ووقاره وخلقه ودينه وتقواه . هذا امر سهل القول ولكنه ليس سهل الاثبات ، ومن حفظ ، حجة على من لم يحفظ » .

قلنا اذا كان هذا قد شعر بالورطة ، وحاول ان يشك في نسبة هذه القصيدة لابن الابار القضاعي البلنسي، فان الدكتور الطباع امن ايمانا صادقا بما جاء في الوفيات ، وصار يتحدث عن هذا العالم الجليل كأنما شاهده في الحانات وبين احضان عشيقته ، وقد فعل الدكتور الطباع حسنا اذ لم يتهمه تهما اخطر من ذلك حسبما ورد في القصيدة الثانية في فحش واستهتار !! وكان بامكان الباحثين المحترمين ان يصلا الى صاحب القصيدتين ببذل قليل من البحث في بعض المراجع التي اعتمداها في كتابيهما ، فابن بسام في الذخيرة يثبتهما معا لابي جعفر احمد الخولاني الاشبيلي الذي اشتهر هو ايضا بابن الابار شاعر المعتضد ابن عباد ، وابن بسام توفي سنة 542 ه فهو اقدم من ابن الابار البلنسي بنحو قرن ، كما ان ابن الابار الاشبيلي عاش قبل ابن الابار البلنسي بنحو قرنين .

والغريب ان الدكتور المرحوم عبد المجيد انتفع كثيرا بنفح الطيب ولم ينتبه الى ما وقع فيه ابن شاكر

1) عالجت هذا الموضوع في دراستي لحياة ابن الابار كمقدمة لديوانه الذي حققته وقدمته رسالة للدكتوراه
2) انظر فوات الوفيات 2 / 451 ـ 52 .
3) انظر د. عبد المجيد : ابن الابار ... ص 352 ـ 353 . د . الطباع : الحلة السيراء صفحات 57 ، 133 ـ 134
و ص : 294 ر ... Ensayo Bio-Bliografico

من الخلط ، كما ان الدكتور الطباع جعل من مراجعه الذخيرة والنفح ، وبحث عن ابن الابار الاشبيلي لاشتراكه في اللقب مع ابن الابار البلنسي (1)، ومع ذلك لم يهتد الى تصحيح ذلك الغلط .

ولم تنفرد الذخيرة بنسبة هاتين القصيدتين لابي جعفر احمد الخولاني بل هناك مراجع اخرى تنسبهما لصاحبهما الحقيقي (2) .

ثم لو لجأ الباحثان الى النقد الداخلي للقصيدتين لأدركا بسرعة انهما لا تتفقان وشعر ابن الابار ، وكذا عصره ، وبالاخص القصيدة العفيفة .

وهكذا تنفي عن ابن الابار البلنسي هاتين القصيدتين ، وبذلك يصبح كل استنتاج وحكم مبني على تلك النسبة ملغى لانه غير ذي موضوع .

تطوان — عبد السلام الهراس

---

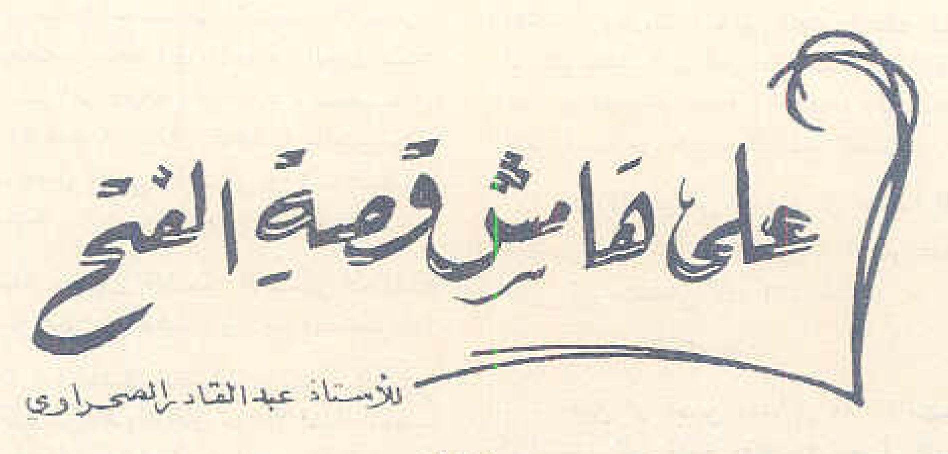
1) يبدو ان د. الطباع يجعل من شخصية ابن الابار الاشبيلي شخصيات ثلاثة ، انظر دراسته عن الحلة السيراء ص 37 ، (الهامش) .

2) انظر الذخيرة ورقات 85 ـ 89 ـ 90 (م) نسخة بغداد . مصدرة المعهد المصري بمدريد . ومسالك الابصار 16 / 120 (مخطوط) مصدرة المعهد السابق . وابن خلكان 1 / 54 .

خبر ظريف

حدث ابو نصر ، قال : « رأيت ابا نواس يوما ، وهو يكنس مسجدا ، فهالني الامر ، وعجبت لذلك الشاعر الماجن المعروف بالمنكرات ، كيف اراه على هذه الصورة .. ؟ فقلت له : « ما هذا يا ابانواس ؟ »

فأجابني : « اردت ان يرفع الى السماء في هذا اليوم خبر ظريف ! ! » .



(2)

رودريك آخر ملوك القوط فى اسبانيا

كانت اسبانيا فى ذلك الوقت تحت حكم القوط، والقوط فى اصلهم قوم من برابرة الشمال الذين اجتاحوا الدولة الرومانية، وورثوها فى مستعمراتها وذلك بعد حروب طويلة وخطوب جسام، ولكنهم ما لبثوا أن اعتنقوا الديانة المسيحية، وأن تاثروا فى أساليب حياتهم بالحياة الرومانية، بالقدر الذي استطاعوا أن يهضموه منها.

ولن يعنينا هنا فى شيء، أن ندخل فى تفاصيل تاريخ القوط، ولا أن نعرف كيف استقروا باسبانيا واصبحوا سادتها وحاكميها.

انما يكفي أن نعلم هنا، أن الجالس على العرش القوطي فى الفترة التي نتحدث عنها، وهو الملك رودريك كما سبق أن عرفنا من قبل، لم يكن وارثا شرعيا للعرش، وانما كان دخيلا عليه.

فقد كان مجرد ضابط قوي النفوذ فى جيش الملك السابق، وعندما توفى هذا الاخير، اعتلى (رودريك) العرش عن طريق القوة وحدها، مستغلا فى ذلك بعض العوامل المساعدة

من هذه العوامل أن ابناء الملك السابق كانوا صغار السن جدا، وانهم لم يجدوا فى رجال الدولة، رجلا فى مثل قوة رودريك، يقف فى وجهه، ويدافع لهم عن حقهم فى عرش والدهم، والدهم الذي تذكر بعض الروايات التاريخية انه لم يمت ميتة طبيعية، وانما قتله رودريك نفسه فى ظروف غامضة،

ومن هذه العوامل ايضا، أن نظام الوراثة في العرش الوطني الاسباني، لم يكن نظاما دقيقا، بل كان يتدخل فيه عامل الانتخاب، والانتخاب كما يعني الاختيار، فانه يعني الفرض بالقوة فى بعض الاحيان.

* * *

المهم ان الجالس على العرش القوطي فى طليطلة، عاصمة اسبانيا اذ ذاك، كان هو الملك رودريك

والمهم ايضا، أن رودريك، زيادة على كونه مغتصبا للحكم، فقد كان عنيفا اشد العنف، ميالا الى البطش، وانه كان ماجنا مستهترا لايكن اي احترام للدين والاخلاق والتقاليد والاعراف.

وقد جثم رودريك بكل هذه الصفات على صدر اسبانيا مدة طويلة، مدة كانت كافية لان يكبر اولاد الملك السابق، وأن يصبحوا ضباطا فى الجيش — جيش رودريك نفسه — كما كانت هذه المدة كافية لان تتجمع قوى كثيرة داخلية ضد رودريك، وأن تصبح هذه القوى تعمل على تنظيم العمل بينها للتخلص منه

* * *

وقد سبقت الاشارة الى ان هذه القوى كلها، كانت على اتصال بالكونت (جوليان) حاكم سبتة، وانها كانت تعلق عليه آمالا كثيرة، نظرا لاعتبارات تقدمت الاشارة اليها.

هذا عن العرش، وعن القوى المتصارعة على الحكم فى اسبانيا؛

والشعب ؟

اما الشعب الاسباني فقد كان له شان آخر غير ذلك كله، لا فى عهد (رودريك) فقط، بل وفي عهود جميع الملوك القوط السابقين عليه

كان القوط حكاما اجانب عن الشعب الاسباني، لاتربطهم به اية رابطة ، فبالغوا في ظلمه ، والجور عليه، واستعباده ، واستنزاف دمائه وامواله ، وتسخيره في الاعمال الشاقة المرهقة ، واثقال كاهله بالضرائب الفادحة ، مع استعمال اقسى الوسائل في استخلاص هذه الضرائب منه

كانوا بالجملة يعاملون الشعب الاسباني معاملة الرقيق ، كما كانت تفعل من قبلهم روما مع مستعمراتها

ومع ذلك ، فباستثناء الضباط وقادة الجيش الكبار ، فان الدفاع عن الدولة كان موكولا لهذا الشعب الذي يعامل معاملة الرقيق ، لان « انفار » الجيش، انما كانوا من هذا الشعب نفسه !

* * *

يقول الدكتور (غوستاف لوبون) الذي يرى ان ا من مظاهر الدم القوطي ، ما نجده الآن في اسبانيا من اصحاب الشعور الشقر الكثيرين) يقول عن الشعب الاسباني في هذه الفترة التاريخية :

« وكان سكان البلاد الاصليون من الارقاء الذين ليس لهم شيء يدافعون عنه ، والذين كانوا مستعدين لقبول اي سلطان عليهم ، فلم يكن الجيش المؤلف من امثال هؤلاء مما يعتمد عليه » .

* * *

تلك كانت حال السكان الاصليين لاسبانيا بصفة عامة في ظل العدالة القوطية

ولكن فريقا معينا من هؤلاء السكان ، كان يتعرض زيادة على ذلك لانواع اخرى خاصة من الاضطهاد

اولئك هم اليهود ، الذين امتحنوا في دينهم في ظل هذه العدالة امتحانا عسيرا ، وبلغ الامر ببعض الملوك القوطيين ان الزمهم فيها بالخروج من دينهم واعتناق الديانة المسيحية

اما من كان منهم لايريد ذلك ، فما عليه ــ بكل بساطة ــ الا ان يغادر البلاد

هكذا كان الشعب يعيش في اسبانيا مع حكامه القوطيين جميعا ، وعلى عهد « رودريك » بصورة خاصة

ولا شك انه كان يترامى الى اسماع هذا الشعب البائس المسكين ، أن هنالك حركات مختلفة تعمل ضد الملك « رودريك » ولكن الذي لاشك فيه ايضا ، انه لم يكن يعلق كبير امل على هذه الحركات ، فهي لاتعدو كلها ان تكون نزاعا على الحكم ، وليست بقادرة على ان تغير شيئا من طبيعة الوضع القائم

فماذا سيبقى له بعد كل هذا الا ان يصبر ، ويصبر ، وينتظر ما عسى ان تسفر عنه الايام ، وما عسى ان تتمخض عنه الاحداث .

بيت الحكمة

قبل ان نسير قدما في هذه «التهميشات» نرى أن نشير الى قصة وردت في جل المصادر التاريخية التي تحدثت عن الملك القوطي رودريك ، وعن ظروف اعتلائه العرش

تلك هي قصة بيت الحكمة

ونحن لانوردها على انها تاريخ صحيح ، فان عنصر الاسطورة فيها واضح كل الوضوح ، ولكنها ــ ككل أسطورة ــ لابد ان تكون لها دلالتها ، ولابد ان تكون لها قيمتها الرمزية .

* * *

كان هنالك في كنيسة في طليطلة ، او في القصر الملكي نفسه ، بيت قديم يدعى بيت الحكمة ، كان احد الملوك السابقين قد رصده ، ووضع على بابه قفلا ، وعلق المفتاح بالقفل ، واوصى الا يفتح هذا البيت ابـــدا !

بل اوصى زيادة على ذلك ، بأن على كل ملك يأتي من بعده ، أن يضع قفلا آخر جديدا على هذا الباب ، وأن يعلق هو ايضا المفتاح بالقفل ، وهكذا دواليك

ونفذ الملوك التالون الوصية كما وصلت اليهم ، حتى تم عدد الاقفال ستة وعشرين قفلا ، بعدد الملوك الذين تعاقبوا على العرش ، منذ ذلك الملك الاول ، على كل قفل مفتاحه حسبما ورد في الوصية .

* * *

وعندما اعتلى رودريك العرش ، واستقر به المقام في القصر الملكي بطليطلة ، واصبح ملكا ، احب من احب وكره من كره ، تقدم اليه افراد حاشيته ، يرجون منه ان يفعل كما فعل الملوك الستة والعشرون السابقون عليه ، أي ان يضع بدوره قفله على بيت الحكمة ، وأن يعلق المفتاح بالقفل

وتساءل رودريك عما عسى ان يكون فى هـذا البيت السري الغريب ، فلم يستطع احد ان يجيبـه عن سؤالـه ، فليـس هنالـك من يعـرف سـره على الاطلاق ، وانما هي وصية توارثها الخلف عن السلف، ونفذوها جميعا دون سؤال عن السر ، او دون الحاح فى السـؤال عليـه

لكن «رودريك» كان من طينة اخرى ، فامتنع من ذلك ، واصر على ان يفتح البيت ليعرف ما فيه

وتوسلت اليه حاشيته الا يفعل ، ولكنه كـان يبدو مصمما على عزمه ، فافهموه انه اذا كان يتوقـع ان يجد فى البيت مالا او نفائس او ذخائر ، فانهــم مستعدون ان يجمعوا له من كل ذلك ما يريد

لم يفد شيء من ذلك كله فى ان يثني رودريك عن عزمه ، واقدم على تنفيذ ما كـان يريـده ، ولم يجـد صعوبة فى ذلك ، فقد كانت الاقفال الستة والعشرون يحمل كل قفـل منها مفتاحـه

* * *

فماذا وجد رودريك فى بيت الحكمة ؟

لاشيء ابدا مما كان يريده او يتوقعه !

فالبيت خال موحش ، وجدرانه قديمة باليـة ، وقد فعلت الرطوبة فعلها فى هذه الجدران ، ونسجت العناكب عليها خيوطها ، ولكـن رودريك ومن معـه ، استطاعوا مع ذلك ان يميزوا على الجدران آثار صور ملونة باهتة ، تمثل رجالا يركبون الخيل ، ويحملـون السيوف والرماح ، وتغطي رؤوسهم العمائم ! !

نعـم ، يوجد فى اقصى البيت صندوق قديـم ، امر رودريك بتحطيمه ليرى ما فيه ، فاذا هـو ايضا خال الا من ورقة قديمة مطويـة ، فتحت ، وقـرىء ما فيها ، فاذا هو كما يلي :

« اذا فتح هذا البيت ، دخل القوم الذين توجـد صورهم على جدرانه ، بلاد الاندلس »

وواضح ان المراد بالقوم هنا هو « العرب » فهم الذين يغطون رؤوسهم بالعمائـم ، وهم الذين كانـوا يقولون عن انفسهم : « العمائم تيجان العرب »

* * *

هذه هي حكاية بيت الحكمـة . او هـذه هـي اسطورة بيت الحكمة ، واذا صح ما نظنه من ان هـذه الاسطورة كانت شائعة بين الشعب الاسباني ابان الفتح الاسلامي ، وان ذلك هو الذي حمل المؤرخين العرب على تسجيلها فى كتبهم ، فان لذلك دلالته التي لايمكـن ان يستهـان بهـا

ان الاسطورة لون من الوان الادب الشعبي ، تعبر بها الشعوب ـ كما تعبر بالامثال وغيرها ـ عـن آمالها وآلامها واحسـاساتها ومشاعرها

وقد كان الشعب ـ كمـا اسلفنـا ـ يعيش في اسبانيا وضعا ظالما قاسيا ، وكان فى غالب الظن يتتبع باهتمام تطورات الاحداث على الضفة الاخرى للبوغاز.

ولا شك ان الفساد الذي بلغ غايته ومنتهاه على عهد رودريك ، كان بالنسبة للشعب الاسباني ، ايذانا بأن دولة القوط على وشك الزوال ، وان العـرب لـن يلبثوا أن يتجاوزوا البوغاز ليضربوها الضربة النهائية القاضية ، ويحرروا الشعب من ظلمها وفسـادها .

* * *

فاذا صحت كل هذه التخمينات ، وهي صحيحة فى الغالب ، فان اسطورة بيت الحكمة لم تكن الا تعبيرا شعبيا عن هذا الجو كله قبل دخول العرب الى اسبانيا

ودخل العرب اسبانيا ، فوجدوا هذه الاسطورة شائعة بين الناس ، ونقلها المؤرخـون منهم بعد ذلك، على انهـا تاريـخ .

رودريك يعتـدي على .. فلوراندا

ننتقل الآن الى قضية تاريخية ، ترتبط بما سبقت الاشارة اليه عند الحديث عن الكونت جوليان ، حاكـم سبتة الاسباني القوطي

لقد عرفنا انه كانت للكونت جوليان بنت شابـة جميلة ، تدعى فلوراندا ، كانت تعيش كوصيفة شرف فى قصر الملك رودريك بطليطلة

وعرفنا ان هذا الملك الماجن المستهتر احب هـذه الفتاة حبا ماجنـا مستهتـرا على طريقتـه ، اي انـه اشتهـاهـا !

* * *

ولعله طاردها بحبه فى رحاب القصر اياما طويلة، وتوسل اليها بالوسائل المختلفة ليخضعها لنزواته ، فلم يجد معها شيء من ذلك .

واخيرا ، وبعد ان اعيته الحيل ، هاجمهـا فـي حجرتها الخاصة ، واعتدى عليها اعتداء شنيعا !

ارغمها بالقوة على النزول عند ارادته ، وارضاء الحيوان المتوحش الذي يضج في اعماقه .

* * *

يقول ابن عبد الحكم ، مجملا كل هذه القصة المخزية الطويلة المتشعبة ، في اسلوب بسيط موجز صريح ، يقول :

« وكان « يليان » قد بعث بابنته الى «للذريق» صاحب الاندلس ، ليؤدبها ويعلمها ، فاحبلها » !!

* * *

ويقول صاحب نفح الطيب :

« واحبها حبا شديدا ، ولم يملك نفسه حتى استكرهها ، وافتضها !!

الكونت يعلم

قد يبدو ان قصة فلورندا مع رودريك ، ربما كانت دخيلة على هذا الموضوع الذي تكتبه «تهميشا» على قصة فتح العرب للاندلس ، وبسطا لبعض الظروف والملابسات التي احاطت بهذا الفتح .

ولكنها في الواقع ليست دخيلة عليه ، بل هي مرتبطة به اشد الارتباط .

ذلك ان معظم المؤرخين القدماء ، يرون ان اعتداء الملك رودريك الوحشي على فلوراندا بنت الكونت جوليان ، واحتيالها هي حتى استطاعت بوسائلها السرية ان توصل خبر الاعتداء الى والدها في سبتة ، هو الذي دفع الكونت جوليان الى ان يضع يده في يد العرب بصفة نهائية ، وان يعقد معهم حلفا صريحا ضد رودريك ، وان يكون لهم عونا في افتتاح اسبانيا ، انتقاما من رودريك لشرف ابنته

* * *

بعض المؤرخين المحدثين لاينظر نظرة ارتياح الى هذه القصة من اساسها ، فقد تكون مفتعلة

ولكن الواقع انه ليس هنالك ما يحمل على انكارها فهي محتملة الوقوع ، وقد لانعدم لها نظائر واشباها في التاريخ

* * *

نعم ، نستطيع ان نستشف من دلالات الاحداث والوقائع التاريخية ، ان قصة فلوراندا لم تكن هي السبب الوحيد ـ وان كانت سببا معقولا ـ في حمل والدها الكونت جوليان على محالفة العرب ، والسير معهم في حرب رودريك الى النهاية

لقد سبقت الاشارة الى ان الكونت كان على اتصال مع الحركات التي تعمل للانقلاب على رودريك داخل اسبانيا نفسها ، وان هذه الحركات كانت تعلق عليه كثيرا من الآمال ، لبعده عن متناول يد الملك من جهة ، ولاتصاله بالقوى الخارجية المعادية من جهة اخرى

وقد تكون قضية «فلوراندا» انما جاءت في الأخير لتدفع الى النهاية حقد الكونت جوليان على الملك «رودريك» ولتحمله على الخروج فورا الى طور العمل الايجابي .

الكونت والملك .. وجها لوجه

لقد احتالت فلوراندا في ابلاغ خبر الاعتداء عليها الى والدها

وقد كان لذلك ـ بطبيعة الحال ـ وقع أليم وسيء في نفس الكونت ، وفي نفس زوجة الكونت ، والدة فلوراندا

ودفعه ذلك الى التصميم على الدخول في مفاوضات صريحة مع العرب والمسلمين لعقد حلف ضد رودريك ، والدخول معهم في حرب مشتركة ضده

ولكنه صمم ايضا على الا يقدم على شيء من ذلك، قبل ان ينقذ ابنته ، وان يستخلصها من بين براثن الملك رودريك

* * *

وهكذا جمع الكونت امره ، وسافر الى اسبانيا، قاصدا طليطلة ، عاصمة المملكة

واجتاز البوغاز في جو عاصف وفي ظروف غير ملائمة للسفر .

وعندما وفد على رودريك ، استقبله هذا بحفاوة عظيمة ، ربما كان مبالغا فيها ، مدفوعا في ذلك بالاحساس بالذنب ، وبالتشكك في حقيقة الدوافع التى حملت الكونت جوليان على تحمل مشقة السفر في مثل هذا الوقت غير المناسب

لكــن جوليان عرف كيف يبدد تشككات الملك بالتظاهر بمظهر الجهل المطلق لحادثة الاعتداء على ابنته

وعندما استطلعه الملك عن دواعي هذا السفــر، اخبره ان زوجته مريضة مرضا خطيرا ، قد يكون مرض الموت ، وان الشوق قد اشتد بها الى ابنتهـا ، وانهـا اصبحت لاتكف عن التوسل اليـه لاحضارها ، حتـى تتمكن من رؤيتها قبل ان تغادر هذه الدنيا الى العالـم الآخــــر

* * *

ولا شك ان الملك لم يقتنــع اقتناعـا كليـا بهذا الكلام ، ولكن الذي لاشك فيه ايضا انه تظاهر بالتأثـر لـــــــــه ! .

وقد حاول رودريك ـ كمـا تروي النصـوص التاريخية ـ ان يحول دون مغادرة فلوراندا لقصـره ، اما لانه لازال لم يشبع نهمه منها بعد ، واما لانه يرى في بقائها في القصر ضمانا للاحتفاظ بالسر

وقد تعلل الملك بانه يرغب في الاحتفاظ بفلوراندا في قصره ، الى ان يتولى بنفسه الاشراف على زواجها من بعض الامراء او الاشراف الكبار ، اكراما لها ولمكانة والدهـا عنـده !

ولكن لكونت جوليان كان مصمما ، متشبثا بحق امراته في أن ترى بنتها قبل أن تموت .

ولم يجد رودريك في النهاية بدا من النزول عند ارادة الكونت ، فاطلق سراح فلوراند ، بعد ان استوثق منها كتمان السر ، وبعد ان حملها كثيرا مــن الهـدايا الثمينـة الغاليـة .

وزيادة في الاكـرام كلف رودريك نفسه مشقـة تشييع الكونت جوليان وابنته فلوراندا وحاشيتهمـا عند السفر ، وذهب معهما في التشييع مسافة طويلة ، وعندما حانت ساعة الفراق ودعها وداعا حارا مؤثرا .

* * *

وهنا تروي كتب التاريخ حوارا خاصا ، راج بين الكونت والملك ، لانورده على انه حوار صحيح تاريخيا، فقد يكون موضوعا قصد به واضعوه التعبير عن لسان حال الكونت ، وعما كان يجول بخاطره ساعة الـوداع

تقول هذه الكتب : ان الملك طلب من الكونت ، اذا قدم عليه في المرة المقبلة ، ان يأتيه بنـوع من صقـور الصـيد ، كان الملك يحبه كثيرا ، ويفضله على غيره

فأجابه الكونت بقولـه :

« لئن بقيت لادخلن عليك صقورا ما دخل عليك مثلهـا قـط »

اي انه كان يوعده في سره بان يدخل عليه العرب .

وربما كان الافتعال واضحا في هذا الكلام ، ولكنه في الواقع تعبير عن لسان الحال ، ان لم يكن لسان المقال

* * *

المهم ان الكونت قد انقذ ابنته كما كان يريد ، وانه قـدم بهـا الى سبتـة .

ومن ثم اصبح مطلق اليد فيما يعتـزم الاقـدام عليه ، وهو التحالف مع العرب ، ضد غـريمه ومنتهك شرف ابنته ، الملك رودريك

ولم يدع الكونت الوقت يضيع منه ، فمـا كـاد يعود الى سبتة حتى بعث برسالته الى طارق بن زيـاد في طنجـــة .

العـرب .. والبحـر

وقبـل ان نـرى كيـف كـان رد الفعـل عند طارق بطنجـة ، او عنـد رئيسه موسـى بن نصيـر بالقيروان ، او عند الخليفة نفسه بدمشق ، نرى لزاما ان نمهد لذلك بكلمة اخرى يقتضيها الموضوع

* * *

لاشك أن العرب والمسلمين لم يكونـوا ينتظرون عرض الكونت جوليان ليبـداوا التفكيـر في اجتيـاز البوغاز ، والمضي في الفتح والدعـوة في ارض جـديدة هـي الارض الاوربيـة .

واذا لم يكـن لدينـا من النصوص التاريخيـة ما يؤكد عزمهم على ذلك من قبل ، فان ذلك لاينفي ان التفكيـر فيه كـان قائمـا في اذهانهـم ، وانهم كانوا ينتظرون بـه الفرصـة المواتيـة .

* * *

ان الدعوة الاسلامية دعوة للناس كافة

والمسلمون مطالبون بالجهاد من اجل تبليغها الى الناس جميعا اينما كانوا ، ماداموا قادرين على ذلك ، بل انهم مطالبون بأن يعدوا العـدة ليكونـوا قادريـن على ذلـك

واذا كانوا لم يستطيعوا ان يسيروا بها غربا فى البحر المحيط لانهم لم يكونوا يعلمون ما وراءه ــ كما قال عقبة بن نافع من قبل ــ فانهم يستطيعون ان يجتازوا بها البوغاز الضيق الى الضفة الشمالية للبحر الابيض المتوسط

نعم يستطيعون ذلك ، فقد كانوا اصحاب اسطول بحري منذ عهد معاوية بن ابي سفيان مؤسس الدولة الاموية

وقد نما هذا الاسطول منذ ذلك الحين نموا مطردا ، وجرب فى حروب متعددة ، فكان النصر حليفه، كما كان حليف الجيوش الاسلامية البرية

* * *

وموسى بن نصير نفسه ، كانت له عناية خاصة بالاسطول ، حملته على تاسيس دار لصناعة السفن الحربية بتونس

وكان موسى صاحب غزوات مظفرة فى البحر. فقد فتح للاسلام قبل هذه الفترة التاريخية جزيرة « قبرص » الشهيرة ، كما كان المسلمون قد غزوا جزائر اخرى ، كجزر « البليار » وصقلية وسردانية وغيرها من الجزر المنتشرة فى البحر الابيض المتوسط

اذن ، فما كان البوغاز ليحول بين المسلمين وبين التفكير فى غزو اسبانيا او الذهاب الى ابعد من ذلك ، فقد كانوا اصحاب اسطول بحري كما راينا ، وكانت لهم تجارب فى البحر لايمكن ان يستهان بها

* * *

نعم ، ان المتتبع للتاريخ الاسلامي ، يستطيع ان يلاحظ ظاهرة مطردة ، وهي ان الخلفاء المسلمين كانوا يحجمون كثيرا قبل الاذن للقادة العسكريين بغزو اراضي جديدة كل الجدة على الجيش الاسلامي

اما تخوفا من اتساع رقعة الدولة اتساعا سريعا، قد يصعب معه ضبط امورها

واما خوفا من استبداد بعض القادة العسكريين ببعض الاراضي التي يتوصلون الى فتحها بعيدا جدا عن مركز الخلافة

واما تخوفا على الجيش الاسلامي ، أن يزج به فى مغامرات عسكرية قد لاتكون مدروسة بالقدر اللازم قبل الاقدام عليها

* * *

وعلى كل ، فلسنا نشك فى ان التفكير فى غزو اسبانيا كان قائما فى اذهان المسلمين منذ فراغهم من امر الشمال الافريقي ، وانهم كانوا ينتظرون به الفرصة المواتية والوقت المناسب

ولعل مبادرة الكونت جوليان لاتزيد ــ بالنسبة للعرب ــ على ان تكون ايذانا بان الفرصة قد جاءت ، وان الوقت المناسب قد حان .

يتبع

الرباط : عبد القادر الصحراوي



منارة حسان ، التي صارت تسمى بصومعة حسان ، معروفة عندنا ، ولكن الذي لا نعرفه منها هو حسان الذي اضيفت اليه المنارة ، او ما صار يدعى بالصومعة.

وقد قلنا : ما صار يدعى بالصومعة ، لان المراجع والمصادر التاريخية التي بايدينا تذكرها بالمنار او المنارة ، وهو ما يذكر به الموجود باشبيلية ومراكش.

وبعد فمن هو حسان هذا ؟

لعله حسان النبطي ، الذي كان يعاصر محمد بن سيرين امتوفى عام عشرة ومائة ، ولا شك ان القاري سيستبعد هذا الذي استظهرناه والذي جعلنا نميل اليه في شيء من الاطمئنان ، هو اننا وجدنا حسان النبطي ، يذكر بصاحب منارة حسان ، وكانت هذه في البطيحة من ارض العراق ، بين واسط والبصرة.

وقد عثرنا على هذا في كتاب الكامل للمبرد ، حيث قال :

ويروى عن حسان المعروف بالنبطي ، صاحب منارة حسان في البطيحة ، قال اريت الحجاج فيما يرى النائم فقلت اصلح الله الامير، ما صنع بك ؟ فقال يانبطي، اهذا عليك ؟ قال فرأيتنا لا نفلت من نقشه في الحياة ومن شتمه بعد الوفاة ، ويروى عن حسان انه قص هذه الرؤيا على محمد بن سيرين ، فقال له ابن سيرين ، لقد رأيت الحجاج بالصحة ».

وقد ورد لحسان هذا ذكر كذلك في كتاب الكامل لابن الاثير ، ففي ذكره لقتل الوليد بن يزيد بن عبد الملك يقول : «اراد الوليد الحج فخاف خالد ان يقتلوه في الطريق فنهاه عن الحج فقال ولم فليخبره . فحبسه وامر ان يطالب بأموال العراق ثم استقدم يوسف بن عمر من العراق وطلب منه ان يحضر معه الاموال وراد عزله وتولية عبد الملك بن محمد بن الحجاج بن يوسف . فقدم يوسف بأموال لم تحمل من العراق مثلها فلقيه حسان النبطي فأخبره ان الوليد يريد ان يولي عبد الملك بن محمد واشار عليه ان يحمل الرشاء الى وزرائه ففرق فيهم خمسمائة الف وقال له حسان : اكتب على لسان خليفتك بالعراق كتابا اني كتبت اليك ولا املك الا القصر ، وادخل على الوليد والكتاب معك مخترما واشتر منه خالد القسري بخمسين الف ، فدفعه اليه فأخذه معه في محمل بغير وطاء الى العراق ... »

كما تردد ذكره في تاريخ الطبري فقد ذكر عند (ذكر سبب عزل هشام خالدا) القسري سنة 120 وقد قال « خالد لحسان النبطي ويحك اخرج الى امير المومنين فزد على فروخ ... » ولما دخل على هشام قال له (ادن مني فدنا منه فقال كم غلة خالد قال ثلاثة عشر الف . قال فكيف لم تخبرني بهذا ، قال وهل سألتني ...) ثم قال « حسان النبطي هيأت لهشام طبيا فاني لبين يديه وهو ينظر الى ذلك الطبيب اذ قال لي يا حسان في كم يقدم القادم من العراق الى اليمن ؟ قال : قلت لا ادري فقال امرتك امرا حازما فعصيته فاصبحت مسلوب الامارة نادما ... » ثم يقول بن ابي بردة لخالد « ان هشاما اعذر منك يقول استعملتك وليس لك شيء ، فلم تر من الحق عليك ان تعرض علي بعض ما صار اليك ، واخاف ان يزين له حسان النبطي ما لا تستطيع ادراكه ... »

ثم ذكر في نفس المعرض الذي ذكره به ابن الأثير مع بعض الاختلاف اليسير في حوادث 126 . وفي فهرس الكامل لابن الأثير طبع ليدن ذكر حسان النبطي بأنه مولى شيبان

وقد عثرت اثناء قراءتي لكتاب العقد الفريد لابن عبد ربه في « باب من نبل بالكتابة » وكان قبل خاملا » ترجمة لحسان النبطي كاتب الحجاج حيث ذكره من هؤلاء .

هذا كل ما نعرف عن حسان النبطي ، صاحب المنارة . فلعل قصته في رؤياه راقت المنصور ، فجعلته يذكر منارته . بما ذكرت به منارة حسان ، او انه ـ وهو الاظهر ـ كان بذلك يتفاءل . في امتلاك الشرق ، واهمه العراق . فقد ذكر المؤرخون ، وعلى راسهم معاصره عبد الواحد المراكشي ، انه كان تواقا الى الشرق ، وانه عمل هذه المأذنة على هيئة منار الاسكندرية ، وفي مصادر اخرى ، انه كان يقول عن مصر : « انا مطهروها ان شاء الله » ولا شك ان هذا التطهير كان في مخيلته يشمل غير مصر من الشام والعراق وغيرهما ، وقصة انتهاء هذا الملك العظيم الى الشام ووفاته به ، تدل في مغزاها الاسطوري على ما كان يختمر في فكر هذا الرجل ، الذي احتبس عنده في ضيافته ذلك العالم الدمشقي ، شيخ شيوخ دمشق ، عبد الله ابن حمويه السرخسي الذي وفد على المنصور عام ثلاثة وتسعين وخمسمائة ، وظل في ضيافته ، ثم ضيافة من بعده الى عام ستمائة .

وذكر عبد الواحد ، هذا المنار بالمأذنة ، لا يدل على انها كانت تسمى مأذنة هكذا ، بل ربما كان تاليفه بالمشرق ولوزير شرقي ما جعله يذكر المنار بالاعرف آنذاك لهؤلاء المشارقة وهو المأذنة ، واذكر انـي ذكرت لاحد اساتذتي بمصر « المأذنة » كما هو مذكور عندنا « بالصومعة » ، فامتعض وقال لي ان الصومعة انما هي للناس لا للمساجد .

والمستفاد من قول عبد الواحد « انه عمل هذه المأذنة على هيئة منار الاسكندرية » هو هذا التقليد فيها . والتقليد لما هو في الشرق ، ولا نعرف عن الاسكندرية ، ان منارة كانت تسمى « منارة حسان » ، بل نعرف عنها « منارة الاسكندرية » التي نسب عبد اللطيف البغدادي خطأ هدمها لعمر .

نعم : ان عبد الواحد لم يات فيها بذكر حسان ، وهذا اما لانه لم تكن له اهمية في الموضوع الذي الف للوزير العراقي ، او لان المؤلف لم ير ذكره لائقا له، خصوصا ان اقامته بالشرق كان يحوطها كثير من الغموض ، كما قيل ، وبقي الافتراض الاخير ، وهو ان المنارة ، لم تكن تعرف على عهده بمنار حسان ، بل جاءت تسميتها هذه بعد ذلك ـ كما جاءت تسمية « لاخير لادي » . فمتى سميت به ، ومن الذي سماها ؟ ولم سميت منارة حسان ؟ .

هذه اسئلة ، نرجو ان نجد لها الجواب عند الدارسين المهتمين بتاريخ الرباط وخططه

محمد بن تاويت

الأدب النسوي في الأندلس

للأستاذ: محمد المنتصر الريسوني

- 8 -

حمـدة بنت زيـاد المؤدب :

شاعرة رقيقة من أهل اللطف والجمال مع صيانة ونزاهة ، ولجودة شعرها ورصانة تركيبه أطلق عليها « خنساء المغرب » على الرغم من أنها لم تشتهر بقول الشعر الرثائي ، والحق أنها خنساء المغرب بلا منازع ، وهي من أهل وادي آش روى عنها ابوالقاسم بن البراق ، ومن شعرها الجميل قولها مصورة أناتها وآهاتها التي جاءت نتيجة الفراق والبعد الذي تسبب فيه الواشون من غير ما ذنب اقترفته وإثم ارتكبته :

ولمـا ابـى الواشـون الا فراقنـا
وما لهم (1) عندي وعندك من ثار (2)
وشنـو على اسماعنـا كـل غـارة
وقل حماتـي عند ذاك وأنصـاري
غزوتهـم مـن مقلتيك (3) وادمعـي
ومن نفسي بالسيف والسيل (4) والنار

وقد نسب بعضهم هذه الابيات لمهجة بنت عبد الرزاق الغرناطية بيد أنني ارجح نسبتها لحمـدة ؛ وذلك لاشتهار حمدة برقة الشعر وحلاوته ، ولمعرفتها لسبك الكلمات في قالب ساحر ولا أجمل ، مما لايتوفر لدى مهجة ، وبالاضافة الى هذا فان الابيات أثبتتـها جل المصادر المعتمـدة في الموضـوع .

وخرجت حمدة أو حمدونة شاعرتنا ذات يـوم الى وادي « شنيل » صحبة صبية ، ولمـا خلعت عنها ثيابها واخذت تسبح حانت منها التفاتة فرات وجهـا وسيما خلب لبها فقالت مأخوذة وفي عينيهـا دمعـة تنقـر جفنيهـا :

ابـاح الدمـع اسـراري بـوادي
لـه في الحسـن (5) آثـار بـوادي
فمـن نهـر (6) يطـوف بكـل روض
ومـن روض يطـوف (7) بكـل وادي
ومـن بين الظبـاة مهـاة انس (8)
سبت لبـي وقـد ملكت فـؤادي(9)
لـهـا لحـظ تـرقـده لأمـر
وذاك الامـر يمنعنـي رقـادي
اذا سـدلـت ذوائبهـا عليهـا
رايت البـدر في أفـق الدآدي(10)
كـأن الصبح مـات لـه شقيـق (11)
فمـن حـزن تسربـل بالسـواد(12)

---

1) في الرايات وليس لهم (2) العجز في التحفة وقد قل اشياعي لديك وانصاري . (3) في التحفة مقلتيه . (4) في المغرب والماء . (5) في التحفة به للحسن وبوادي جمع باد وهو ظاهر . (6) في التحفة والرايات واد . (7) في النفح ومعجم الادباء يـرف ومعناه يهتـز . (8) في التحفة والتكملة رمل . (9) العجز في التكملة سبت لبي وقد ملكت قيادي . (10) العجز في التحفة كمثل البدر في الظلم الدآدي . (11) الصدر في التحفة تخال الصبح مـات لـه خليـل . (12) في التحفة بالحـداد .

ابيات من غير مبالغة تملأ الخاطـــر ، وتتملـك النفس ، وتنساب فى رحاب الخلجات ولا سيما قولها :

كـان الصبــح مـات لـه شقيــق

فمـن حـزن تسربـل بالســواد

وتصف لنا حمــدة الرملــة مــن اراض وادي « آش » وواديا منها وصفا بارعا دقيقا كانك تراه وان لم تكن تراه فتحس برغبة ملحة فى ان تتفيأ ظلالــه وتنعم بجوه اللطيف بين ازاهيره ، ودوحاته المائـلات ترشف على ظمأ زلالا الذ واحلى من المدامة للنديــم ، فيه حصباء لامعة جميلة تروع العــذارى اللابسات الحلي والجواهر فيتلمسن باناملهن الرقيقة ـ دهشة من هذه الحصباء البديعة ـ جوانب عقودهن يحسبن انها قد انتثرت من نحورهن فافترشت ارض الوادي، استمع اليها اذ تقــول معربدة الانفاس :

وقـانـا لفحـة الرمضــاء واد

سقــاه مضاعـف الغيـث العميــم

حللنـــا دوحـــه فحنـــا علينـــا

حنـــو المرضعـــات علـى الفطيــم

وارشفنـــا علـى ظمـــأ زلالا

الــذ مــن المدامــة للنـديـم

يصـد الشمـس انـى واجهتنـا

فيحجبهـــا ويـأذن للنسيــم

يـروع حصــاه حاليــة العــذارى

فتلمس جانـب العقــد النظيــم(1)

هذه الابيات النابضة بالنبرات المعبرة نسبهــا اهــل المشرق لاحمــد ابن يوسـف المنازي ومنهم ابن خلكان ، ولكن اهل الاندلس اثبتوها لحمدة وقت كان المنازي يقتات على سراب العــدم ، ولذلك يحدثنــا الرعيني عن هذا بقوله :

« كانت من ذوي الالباب ، وفحول اهل الاداب حتى ان بعض المنتحلين تعلق بهذه الاهداب ، وادعـى نظم هذين البيتين يعني ولما ابى الواشون الى آخـره لما فيهما من المعاني والالفاظ العذاب وما غره فى ذلك الا بعد دارها وخلو هذه البلاد المشرقية من اخبارها ، وقد تلبس بعضهم ايضا بشعارها ، وادعى غير هــذا من اشعارها وهو قولها : وقانا لفحة الرمضاء واد الى آخره . وان هذه الابيات نسبها اهــل البلاد للمنازي من شعرائهم ، وركبوا التعصب فى جادة ادعائهم وهي ابيات لم يجلبها غير لسانها ، ولا رقم برديهــا غيــر احسانها ، ولقد رايت المؤرخين من اهل بلادنا وهــي الاندلس اثبتوها لها قبل ان يخرج المنازي من العــدم الى الوجود ويتصف بلفظة الموجود » .

وقيل : ان المنازي نظم هذه الابيات ليعرضهــا على ابى العلاء المعري ، وعندما اخذ يقراها عليه وجعل ينشد عليه المصراع الاول من كل بيت كان المعري يسبقه الى المصراع الثاني مما يرجح ان الابيات قيلت قبــل المنازي وانهــا لحمــدة .

هذا وكانت لحمدة أخت اسمها زينب شاعــرة غير انها لم تكن تدرك شانها ومكانتها فى حلبة الشعر .

ويقــال ان شاعرتنــا كانت متصوفــة ، ونحـن لانعارض فى هذا لسببين :

ا ـ قلــة ما وصلنا عن حياتهــا .

ب ـ معرفتنا مسبقـــا ان للهيام الالهــي دروبا متعددة الجوانب فى التعبير الغزلــي كما نجد عنــد اقطاب الادب التصوفي كرابعة العدوية وابن الفارض والحلاج وغيرهم .

ومهما يكن من شيء فان حمدة قد مشت بالغزل مشية لطيفة رائعة جديدة تنم عن شفافيــة النفس ، ورقــة الوجــدان .

الغسانيــة البجانيــة :

شاعــرة من شواعــر بجانــة بالنون نسبة الى (بجانــة) (2) عاشت فى المائة الرابعة كما قال المقري فى « النفح » (3) ، غير أن ابن سعيد فى (المغرب) (4) نقلا عن الحجاري يذهب الى القول بأن شاعرتنا عاشت فى مدة ملوك الطوائف يعني فى المائة الخامســة .

---

1) الابيات نسبها المنفلوطي فى « النظــرات » ج 2 ص 195 الطبعة الثالثة سنة 1338 المطبعة الرحمانية الى قائل مجهول ثم نسبها الدكتور جمال الدين الرمادي فى كتابه « من اعــلام الادب المعاصر » ص 75 الى شاعــر .

2) بجانة بالفتح ثم التشديد والف ونون مدينــة بالاندلس من أعمال كورة البيرة خربت ، وقد انتقــل اهلها الى المرية وبينها وبين المرية فرسخان ، وبينها وبين غرناطة مائة ميل وهي ثلاثة وثلاثون فرسخــا ، انظر معجم البلدان ج 2 ص 61 .

3) ج 2 ص 429 .

4) ج 2 ص 192 .

وهذا التعارض لفت نظر محقق « المغرب » الدكتور شوقي ضيف فعلق عليه مؤيدا ابن سعيد من غير ما حجة فقال بالحرف الواحد :

« ذكرها المقري فى النفح 2 / 539 وقال انها من اهل المائة الرابعة ، ولعل هذا سهو منه فقد كانت — كما يقول ابن سعيد — فى مدة ملوك الطوائف اي فى المائة الخامسة »

وانا ارى ان شاعرتنا عاشت عصرين : عصر الخلافة فى اواخره ، وعصر ملوك الطوائف ، وهذه الخضرمة معروفة فى الادب العربي لاتحتاج الى اقامة البرهان .

وبهذا الفرض الذي اعتقد انه على جانب كبير من الصواب وخصوصا وان سنة ميلاد الشاعرة وسنة وفاتها مجهولتان نتيقن بأن ابن سعيد والمقري على حق فيما ذهبا اليه على نقيض ما جاء فى تعليق الدكتور شوقي ضيف .

وشاعرتنا الغسانية ذكرها الحميدي ولم يسمها وكذلك صاحب النفح والمغرب ، ولها قصيدة لطيفة لم تصلنا منها الا ابيات فى الامير خيران العامري صاحب المرية عارضت بها ابا عمر احمد بن الدراج الشاعر الاندلسي المشهور فى قصيدة طويلة يقول فى مطلعها :

لك الخير قد اوفى بعهدك خيران
وبشراك قد وافاك سحر وسلطان

هو النجم لا يدعى الى الصبح شاهد
هو النور لا يخفى على الشمس برهان (1)

وتقول الغسانية :

اتجزع أن قالوا ستظعن اظعان
وكيف تطيق الصبر ويحك ان بانوا

وما هو الا الموت عند رحيلهم
والا فعيش تجتنى منه احزان
عهدتهم والعيش في ظل وصلهم
انيق وروض الدهر ازهر ريان

ليالي سعد لا يخاف على الهوى
عتاب ولا يخشى على الوصل هجران

وسطو بنا لهو فتعتنق المنى
كما اعتنقت فى سطوة الريح افنان

الا ليت شعري والفراق يكون هل
تكونون لي بعد الفراق كما كانوا

واذا استعرضنا هذه الابيات والقصيدة القسطلية وجدنا ان الغسانية فى ابياتها لا تستطيع ان تتفوق على ابن دراج القسطلي ، بيد أننا لانتسرع فى اقرار هذا الحكم دون أن نضع نتاج كليهما فى ميزان المقارنة ، وذلك مما لايتسنى لان القصيدة الغسانية قد ضاعت مع ما ضاع من النتاج النسوي ولم يبق منها الا الابيات الآنفة الذكر ، ومن اجل ذلك فالمقارنة فى هذه الحالة تستحيل .

مريم بنت ابى يعقوب الانصاري :

شاعرة شلبية على الارجح قطنت اشبيلية وكانت تقوم بمهمة تعليم النساء ، اتسمت بالعفاف والفضيلة والحشمة سلخت من اهاب الزمن سنين طويلة ، ولم تستفض شهرتها الا بعد القرن الرابع الهجري .

بعث اليها يوما المهدي دنانير وكتب اليها :

مالي بشكر الذي أوليت من قبل
لو انني حزت نطق اللسن فى الحلل

يا فذة الظرف فى هذا الزمان ويا
وحيدة العصر فى الاخلاص والعمل

اشبهت مريما العذراء في ورع
وفقت خنساء في الاشعار والمثل

وتجيبه بقولها :

من ذا يجاريك فى قول وفي عمل
وقد بدرت الى فضل ولم تسل

مالي بشكر الذي نظمت فى عنقي
من اللآلي وما أوليت من قبل

حليتني بحلى اصبحت زاهية
بها على كل انثى من حلي عطل

لله اخلاقك الغر التي سقيت
ماء الفرات فرقت رقة الغزل

1) انظر الذخيرة القسم الاول المجلد الاول ص 74 .

اشبهت مـــروان من غـــارت بدائعـــه
وانجـــدت وغـــدت مـــن أحسن المثـــل
مـــن كـــان والـــده العضب المهنـــد لـــم
يلـــد مـــن النسل غير البيض والأســـل

وتبلغ شاعرتنا مريم من الكبر عتيـا ولا تعـــود تقدر على المشي الا بواسطة العصا فتقـــول متحسرة، جريحة النفس ، مصورة حالة الشيخوخـــة كأحسن ما يكـــون التصويـــر :

ومـــا يرتجـــى من بنت سبعيـــن حجـــة
وسبـــع كنسج العنكبـــوب المهلهـــل
تـــدب دبيب الطفـــل تسعى الى العصـــا
وتمشـــي بهـــا مشـــي الاسير المكبل

صفية بنت عبد الله الرفـــي :

هذه الشاعرة الرقيقة لم تعش طويـلا ، ودعت الحياة وهي ما تزال في ميعة الشباب ، ودعتها وهـــي تتالق بهجة وحيوية ونضارة ، وذلك ســـنة 417 هـ وسنها لم يجاوز الثلاثين .

تقول هذه الشاعرة الشابة وقـد عابت خطهـــا امـــرأة :

وعائبـــة خطـــي فقلـــت لها اقصـــري
فسوف اريك الـــدر في نظـــم اسطـــر
وناديت كفـــي كـــي تجـــود بخطهـــا
وقـــربت أقلامـــي وورقـــي ومحبـــري
فخطـــت بـــأبيـــات ثـــلاث نظمتهـــا
ليبـــدو بهـــا خطـــي وقلت لها انظـــري

وذلك كل ما عثرنا عليه من اخبارها وهو قليـــل جد قليل ، قليل قلة الاعوام القصيرة التي عاشتها .

تطـــوان : محمد المنتصر الريسوني

جعـــل الاله خـــدودهـــن نعـــالها

قال احمد بن ابى داود :

دخلت على الواثق فقال : مـــازال قـــوم اليوم فى ثلبك ونقصك ، فقلت : يا امير المومنين ، لكل امريء منهم ما اكتسب من الاثم ، والذي تولى كبره منهم له عذاب عظيـــم ،فالله ولي جزائه ، وعقـــاب امير المومنين من ورائه ، وما ضاع امرؤانت حافظه ، ولا ذل من كنت ناصره فماذا قلت لهم يا امير المومنين ؟ قال : يا ابا عبد الله ، قلت لهم كمـــا قـــال كثيـــر الشاعـــر :

وسعـــى الي بعيب عـــزة نســـوة
جعـــل الاله خـــدودهن نعـــالها

دفاع عن الطرق الصوفية

للأستاذ عبد القادر القادري

في شعبان الابرك من هـذا العام الحاضر قامت فرقة المسرح القومي الجزائري بزيارة للمملكة المغربية عرضت خلالها مسرحيتها « الكراب والصالحين » وهي من تاليف الكاتب الجزائري ولد عبد الرحمن بن عبد القادر الذي اقتبسها من حكاية تروى بتلمسان عنونها رواتها بـ « فاطمة العمياء والصالحين » .

وفى المسرحية المذكورة سخرية ظاهرة بالعارفين الثلاثة : الشيخ عبد القادر الجيلاني . وشيخ المشايخ ابي مدين الغوث دفين العباد بتلمسان . وصاحب القصيدة الطائية :

يا من يغيث الورى من بعد ما قنطوا
ارحم عبيدا اكف الفتر قد بسطوا

وسيدي عبد الرحمن الثعالبي العالم الصالح صاحب التفسير المشهور ودفين الجزائر العاصمة والذي تنسب اليه المدرسة الثعالبية الشهيرة التي تخرج منها فطاحل علماء الجزائر .

ومن العجيب انه بالرغم من أن كثيرا من اهل الجزائر حملوا وما زالوا يحملون اسماء عبد القادر وعبد الرحمن وأبي مدين تبركا بهؤلاء الصالحين حيث تجد ذلك في حمل البطل الجزائري الامير عبد القادر هذا الاسم وحمل كاتب المسرحية نفسه اسم ولد عبد الرحمن عبد القادر فقد اتخذ شخصيات اولئك الصالحين اداة للسخرية بهم .

ولما كان الجيل الحاضر يعتقد اعتقادا جازما أن الطرق الصوفية ليست سوى حلقات ذكر وشعوذة لا اقل ولا اكثر ولا يعرف شيئا عن دورها السياسي والحربي مع الاستعمار ودورها الديني فى نشر الاسلام والثقافة العربية فى ربوع المعمور ، فقد رأينا من الواجب الديني أن نبين ذلك بايجاز خدمة للحقيقة والتاريخ .

ان اهم الطرق الصوفية التي قامت بتلكم الادوار العظيمة هي بحسب اقدميتها : القادرية والنقشبندية وهما طريقتان شرقيتان والتيجانية والسنوسية وهما طريقتان مغربيتان .

القادرية :

مؤسس هذه الطريقة الصوفية هو الشيخ عبد القادر الجيلاني المزداد بمدينة راشت الواقعة على ساحل بحر قزوين Mer Caspienne باقليم جيلان من بلاد ايران سنة 471هـ والمتوفى ببغداد سنة 561 هـ .

وتعد طائفة القادرية يقول الدكتور حسن ابراهيم حسن فيما كتبه بعنوان « وسائل انتشار الاسلام فى القارة الافريقية » فى مجلة « البينة » السنة الاولى — أوسع الفرق الدينية انتشارا . وقد دخلت افريقيا الغربية فى القرن الخامس عشر على أيدي مهاجرين منتوات واتخذوا لواتة (بفتح اللام) أول مركز لطريقتهم ثم لجأوا الى تمبكتو .

وفى مستهل القرن التاسع عشر نجد النهضة الروحية الكبيرة التي كانت تؤثر فى العالم الاسلامي تأثيرا عميقا تدفع بالقادرية الذين كانوا يقيمون فى الصحراء الكبرى وفى السودان الغربي الى حياة ونشاط جديدين وتقوم المراكز الرئيسية لتنظيم دعوة الفرقة القادرية فى كنكا ويمبو بجبال فوتاجالون ومردو (بضم الميم وفتح السين وسكون الراء وضم الدال) ببلاد الماندنجو (بسكون النونين وسكون الدال) وموطنهم على نهر الجمبيا (بفتح الجيم وسكون الميم وكسر الباء) فى غينيا .

وكانت هذه المدن تؤلف مراكز النفوذ الاسلامي وسط شعب وثني رحب بالقادرية باعتبارهم كتابا وفقهاء ومعلمين .

ولم يمض زمن طويل حتى وجدنا فقهاء متقفين وجماعات من المريدين قد انتشروا فى ارجاء السودان الغربي من السينغال الى مصب نهر النيجر . وكان بعض هؤلاء الذين دخلوا فى الاسلام يوفدون لاتمام دراستهم بمدارس القيروان والزيتونة وطرابلس وبجامعتي القرويين والازهر حتى اذا ما اتموا دراستهم الدينية عادوا الى اوطانهم مزودين للعمل على نشر العقيدة الاسلامية بين مواطنيهم . وكان المعلمون الذين تربوا فى سلك نظام الفرق الصوفية التي كانت تقوم على حب الجار والتسامح يؤسسون حتى منتصف القرن التاسع عشر المدارس فى السودان ويقومون بالانفاق عليها .

وكان نشاط هذه الجماعة ــ كما يقول « سير توماس ارنولد» فى كتابه « الدعوة الى الاسلام » ترجمه عن الانجليزية حسن ابراهيم حسن وعبد المجيد عابدين واسماعيل النحراوي ، ذا طابع سلمي للغاية يعتمد كل الاعتماد على الارشاد .. كما كان يعتمد على مبلغ تاثير المعلم فى تلاميذه وكما كان يعتمد على انتشار التعليم فى الوقت نفسه .

وبذلك برهن دعاة القادرية فى السودان على انهم اوفياء لاهم المبادىء التي كانت تسيطر على حياة مؤسس هذه الجماعة وهي حب الجار والتسامح وغيرهما من الصفات الكريمة . وكان المعلم المسلم كلما تكلم عن اهل الكتاب عبر عن اسفه عما كانوا عليه من باطل ودعا الله ان يهديهم سواء السبيل .

وقد نبغ من اتباع الطريقة القادرية قادة حربيون ذاق الاستعمار الاوربي على ايديهم الامرين مثل الامير عبد القادر الجزائري والشيخ ماء العينين والهبة والامام المهدي كما نبغ فى حفدة مؤسس هذه الطريقة ايضا ساسة وزعماء وثائرون وسلاطين مثل الزعيم العراقي الشهير رشيد عالي الكيلاني والمجاهد عبد الرحمن القادري صاحب الاسطول البحري ، وسلاطين مملكة جاوة باندونيسيا ورسول صديق القادري الامير عبد القادر الجزاىري: يقول المستشرق الفرنسي شارل اندري جوليان فى بحث له بعنوان : « التدخل المغربي فى الجزائر غداة احتلال العاصمة الجزائرية سنة 1830 المنشور بمجلة البحث العلمي العدد الثالث السنة الاولى « .... وادى نجاح مهمة الكونت شارل دوفورناي لدى المولى عبد الرحمن بالفرنسيين الى اعتبار قضية احتلال منطقة نفوذ الباي فى المغرب سهلة ، ففي 22 مارس 1832 استقبل الشريف السفير فوق العادة تحت جدران مكناس وذلك فى حفلة كبرى رسمها الرسام الفرنسي الرومانسي دولاكروا الذي كان من ضمن حرس الشرف ، وبعد احدى عشر مقابلة بين السفير الفرنسي وممثلي المخزن وافق السلطان على استدعاء ابن الحمري من تلمسان وايقاف كل عملية فى الجزائر وهذا ما ادى الى انسحاب العملاء الموفودين فى مليانة ومدية وكذلك وافق على عدم تكليف القنصل الانجليزي بالجزائر بالمصالح المغربية وذلك لانه كان يشك فيه بانه ضد الاحتلال وهكذا رجع الوفد الجزائري الذي كان موجودا بالعاصمة الشريفة بدون ان يحصل على الحماية المعول عليها وغادر ابن الحمري تلمسان بعد أن ترك أمر تنظيم المقاومة فى يد جزائري تلقى لقب خليفة السلطان محيي الدين .

وفى اوائل ابريل اختارت قبائل ناحية معسكر كرئيس لها شيخا وهو رئيس زاوية ينتمي الى بني هاشم وزاوية القادريين ، ولكنه رفض لقب ملك ، وكان مسنا فلم يستطع أن يمثل روح الاستقلال عند القبائل ولكن احد ابنائه وهو عبد القادر كسب شعبية كبيرة وذلك لانه حج عدة مرات ولانه لم يكن مهاودا ازاء المستعمرين مما احاطه بهالة من الاساطير ، وفى 24 نونبر 1832 اجتمعت ثلاثة قبائل وهي ؛ بنو هاشم وبنو عامر وقبيلة غرابة فى سهل اغريس واختارت عبد القادر الذي كان عمره 24 سنة ملكا مبعوثا اليها من السماء ، ولكنه رفض لقب ملك واتخذ لقب خليفة عبد الرحمن ثم لقب امير .

الشيخ ماء العينين :

وكتبت جريدة العلم فى ملحقها الخاص باقليم موريطانيا الصادر فى 20 شعبان عامه تقول : « اذا كانت فرنسا قد انتبهت بعد مقتل « كابولاني » الى ان احتلال الاقليم الموريطاني يتطلب الاستعداد الكامل فان مقتل « كابولاني » قد نبه الوطنيين فى الاقليم الى تنظيم جهادهم وخطوات دفاعهم للغزو الاستعماري لهذا ظهر قائد ومجاهد هو الشيخ ماء العينين سنة 1906 الذي جمع رؤساء القبائل وامراءها وتوجه معهم الى فاس حيث استقبلهم السلطان مولاي عبد العزيز .. وبعد عودة المجاهدين الى شمال موريطانيا يحملون معهم السلاح والذخيرة بداوا حملتهم على مدينة « اكجوجت » التي يوجد بها مناجم النحاس والذهب ويستغل الان من طرف شركة سوكيما شقيقة ميفيريا حيث قتل القبطان « ربو » فى 16

مـارس 1908 وفى الثامن من ابريل وقعت معركـة مشهورة بين المجاهدين بقيـادة المجاهـد الشيخ ماء العينيـن وجيش الغزو فى منطقة دمان وكانت الهزيمة شنعـاء بالنسبـة للعـدو » .

وجاء فى دائرة معارف الشباب لفاطمة محجـوب « ... وفى سنـة 1908 ثارت القبائل وهبت موريطانيـا لدفع عدوان المستعمرين وقـام زعيم موريطاني مـن اهل المنطقة الشمالية هو الشيخ ماء العينين فدعـا الى الجهاد وجمع جيشا وامده سلطان المغـرب بالمال والجنـد فاخترق موريطانيا جنوبـا حتـى قلعـة تشكشكـة وحاصرها ... »

الشيـخ الهبـة :

وفى عهد المولى عبد الحفيظ كون الشيخ الهبـة الموريطاني جيشـا وتوجه معهم الى مراكش .

الامام محمد احمـد المهدي :

وفى سنـة 1885 قتل الدراويش اتباع الامـام محمد احمد المهدي السوداني قائد الحملة العسكريـة الانجليزية الجنـرال غوردون بالخرطوم .

رشيـد عالي الكيلانـي :

يقول الدكتور صلاح العقاد فى مجلة الهلال عـدد اكتوبر 1966 فيما كتبه بعنـوان « دراسة فى تاريـخ العراق الحديث حول حركة رشيـد عالي الكيلانـي 1940—1941 « حينما وقعت ثـورة 14 يوليـو 1958 فى العراق دعي رشيد عالي الكيلاني الزعيـم الوطني المخضرم الى العودة الـى بلاده بعد سنيـن طويلـة من حياة المنفـى وهناك استقبل كبطل مـن ابطال الحركة الوطنية . وقد آن الاوان بعـد وفـاة الزعيم الراحل فى العـام الماضي ان نقيـم حركتـه تقييما موضوعيـا ...» وان اهمية الحركـة انمـا ترجع الى انها وقعت اثناء الحرب العالميـة الثانيـة وكانت تجربـة فريدة من نوعها اذ ان حكومة الكيلاني كانت الحكومة العربية الوحيدة التي ارادت ان تستفيد من الفريقين المتحاربين لخدمة القضايا الوطنية العربية... ورغم ان التجربة كانت قصيرة العمر فان كثيرا مـن المؤرخين العراقيين ينظرون اليها علـى انهـا حلقـة فى سلسلة الامجاد الوطنيـة ولا تقـل اهميـة عـن ثورة العراق ضد الاحتلال البريطاني عام 1920 » .

وقالت جريدة لوموند الباريسيـة فى سبتمبـر 1965 : ان رشيد عالي الكيلاني هو العربي الاول الـذي اراد ان يغيـر العقليـة العربيـة » .

وقـال المستشرق فرينـو فى كتابـه القيـم « يقظة العالم الاسلامي » ... ان رشيد عالي الكيلاني وهو احد حفدة الشيخ عبد القادر الجيلاني اراد ان يجدد الطريقة القادريـة على النمط العصري » .

المجاهد عبد الرحمـن القـادري :

وكتب المرحوم امير البيـان شكيب ارسلان فى تعليقاته على كتاب « حاضر العالـم الاسلامي » .. ان المجاهد عبد الرحمن القادري كان له اسطول بحـري اقلق راحـة الاسبـان والهولانديـن والبرتغاليين فى القـرن السابع عشـر بالمحيط الهادي وهذا القادري هو الـذي بنـى مدينـة بونتنبـاك بجزيـرة بورنيـو

سلطنـة جـاوة :

ويقول الاميـر شكيب رحمه اللـه فى كتابـه السالف الذكر انه كانت للقادريين بجاوة باندونيسيـا مملكـة قاومت الغزو الهولاندي لجاوة وبقيت تقـاوم الى ان قضـى عليها الهولانديـون ... »

صديـق رسـول القـادري :

وفى مذكرات القادري فى بيان الـثورة الروسيـة العظمى وايضاح غوامضها لصديق رسـول القادري الثائر الكردي الذي حارب الـروس لانشاء دولـة الكردستـان بالاتحاد السوفياتي والمطبوع ببغـداد عام 1343هـ والموجودة نسخة منه بالخزانـة العامة فى الرباط تحت عدد 3990 بيانات مفصلة عن ثورتـه ضـد الجيش الاحمـر الروسي سنـوات 1920 — 1921 — 1922 فى سبيل الاستقـلال .

القادرية تنشر الاسلام بالصومال والصيـن :

يقول الدكتور عبـد الرحمن زكي فى كتابه الاسلام والمسلمون فى شـرق افريقيـا : « ... واستطاعـت القادريـة ان تتوغـل الى داخل البلاد حوالـي عام 1819 عندما اسس الشيخ ابراهيم حسن جبرو مركزا لها مكان بلدة « بريزرة » الحالية ثم نشر الشيخ عيسى بن محمد البراوي هذه الطريقة فى جوبا العليا وبنـى مسجدا وزاويـة فى قرية « توججلة » عـام 1909 ويقول المستشرقان الفرنسيان ديبون وكولبولاني ان عبد الرزاق القادري هو الـذي ادخل الاسـلام الى جنـوب الصين وقد أراد الاتـراك الاستعانـة بالقادريـة فى محاربتهم السعديين فلم ينجحوا .

النقشبندية :

هذه الطريقة الصوفية اسسها محمد البخاري نقشبند فى القرن الرابع عشر الميلادي (1317 — 1389م) جاء فى المنجد ان هذا الصوفي كان يفضل الذكر بالجنان على الذكر باللسان ، قبره فى بخارى محجة للزوار يؤمونه من اقاصي الصين » (يراجع ما كتبه صاحب هذه السطور عن بخارى المنسية فى مجلة الايمان السنة الثالثة العدد السادس عام 1966)

وتمتاز هذه الطريقة تقول الموسوعة العربية الميسرة بطريقة خاصة فى الذكر ولها فروع فى الصين وتركستان وقازان وتركيا » .

وقد نبغ من اتباع هذه الطريقة قادة عسكريون مثل عصملي والشيخ شامل القوقازي .

(يراجع ما كتب فى شأن هذا المجاهد المنسي فى مجلة دعوة الحق السنة الثامنة العدد الخامس مارس 1965 بقلم كاتب هذه السطور)

التيجانية :

ومن الفرق الصوفية يقول الدكتور حسن ابراهيم حسن فى بحثه السالف الذكر — التي كان لها اثر كبير فى نشر الاسلام فى افريقيا الطريقة التيجانية (بتشديد وكسر التاء) التي انشأها أبو العباس احمد بن محمد المختار بن سالم التجاني (1737 — 1815م) وكان احد اهالي قرية عين ماضي ببلاد الجزائر . وقد تنقل فى البلاد الاسلامية مثل تلمسان ومكة والمدينة والقاهرة . وتلمذ لشيوخها ثم اسس طريقة صوفية جديدة ، وقد رحل



اخذت هذه الصورة الفريدة التي تمثل هذا اللقاء التاريخي ، فى بور سعيد عام 1863 للامير عبد القادر الجزائري (رقم 1) والامام الشيخ شامل القوقاسي بطل الثورة القوقاسية (رقم 2) فى القرن الماضي . ويحف بهما خديوي مصر محمد سعيد ، وفيردناند دوليسبس حافر قنال السويس

جاء فى الموسوعة السالفة الذكر : شامل (1898 — 1871) كان الاما مالديني والسياسي للمجاهدين المسلمين فى القوقاز فى جهادهم المقدس ضد روسيا (1834—1856) ولكنه وقع فى اسر الروس عام 1859 الذين صالحوا تدريجيا العصاة . واعتقل شامل اولا فى سان بطرسبور ثم كالوجا وسمح لـه عام 1870 بالحج الـى مكـة حيث لقي منيتـه . »

الى الصحراء سنة 1782م ثم عاد الى فاس سنة 1798م واتخذها مركزا لنشر دعوته وقضى الشطر الاكبر من حياته متنقلا لتنظيم شؤون طريقته .

وقد اراد الامير عبد القادر الجزائري الاستعانة بالتيجانية فى طرد الفرنسيين الذين استولوا على الجزائر سنة 1830 م ولكن التيجانية اثروا ان يعيشوا عيشة وادعة ولم ينخرطوا فى سلك جيشه

وذلك تمشيا مع الروح الصوفية التي تأبى التدخل في الشؤون السياسية وقد نجحت التيجانية في نشر دعوتهم في مصر وبلاد العرب وبعض اجزاء آسيا ولكن التوسع الحقيقي في عقائد هذه الطائفة كان في السودان وفي افريقيا التي كانت تسمى (الفرنسية) . وبين البدو المقيمين في جنوب المغرب المغرب الاقصى وساعدت كثرة مدارس التيجانية على نشر تعاليمهم التي كانت متأثرة بتعاليم القادرية والمرابطين . وقد قاموا بسلسلة من الحملات بزعامة الحاج عمر وذلك بنشر تعاليمهم بين القبائل الوثنية حول النيجر الاعلى والسودان كما فعل المرابطون في القرن الخامس الهجري والحادي عشر الميلادي .

وتعزى اولى هذه الحملات التي قامت لنشر الدعوة التيجانية الى الحاج عمر الذي ولد بمكان يقع على مقربة من بودور Podor على السينغال الادنى . وكان ابوه من المرابطين . وقد تثقف الحاج عمر ثقافة دينية عميقة واشتهر بعلمه وورعه حين خرج لاداء فريضة الحج في سنة 1827م حيث انتظم في سلك التيجانية على يد احد زعمائها الذي تعرف عليه بمكة ثم عاد الى مصر وعبر السودان الاوسط وظفر بكثير من الاتباع كما نظر اليه الناس كمهدي جديد .

وفي سنة 1841م بلغ الحاج عمر جبال « فوتاجالون » وبدأ سلسلة من الحملات حتى مات في سنة 1865 م ولم تلبث المنازعات الداخلية الى ان قضت على بلاده التي انتقلت الى حكم الفرنسيين .

السنوسية :

ومن الفرق الصوفية — يقول الدكتور حسن ابراهيم حسن في بحثه المذكور آنفا — التي كان لها اثر بعيد في نشر الاسلام في القارة الافريقية : السنوسية التي انشأها الفقيه الجزائري سيدي محمد ابن علي السنوسي في سنة 1837م وهي فرقة دينية تهدف الى اصلاح شأن المسلمين ونشر العقيدة الاسلامية . وقد تأثرت العقيدة السنوسية بعقيدة الوهابية التي نشرها محمد بن عبد الوهاب في بلاد العرب اواخر القرن الثامن عشر الميلادي متأثرا بمبادىء ابن تيمية الدمشقي صاحب المذهب التجديدي المشهور .

وقد انتشرت طائفة السنوسية في افريقيا الشمالية كلها وتنتشر زواياها من مصر الى المغرب وتمتد في الداخل في واحات الصحراء وفي السودان . وكانت واحة جغبوب (بفتح الجيم وسكون الغين) في الصحراء الليبية بين مصر وطرابلس مركز السنوسية ثم انتقل مركزها الى واحة كفرة في سنة 1895م . وكانت زوايا السنوسية الفرعية التي قيل انها بلغت 121 زاوية تتلقى من زاويتهم الرئيسية في جغبوب التعليمات والاوامر في كافة المسائل المتعلقة بالفرقة السنوسية التي كانت تضم في نظام رائع آلافا من الاتباع والمدارس في افريقية الشمالية من مصر الى المغرب الاقصى وفي ارجاء السودان والحبشة والصومال بل اننا نجدهم كذلك في بلاد العرب والعراق وفي ارخبيل الملايو .

ويذكر سير توماس ارنولد ان دعاة السنوسية يعتمدون على نشر الاسلام بفتح المدارس وخاصة في واداي (Wadai) غربي بحيرة تشاد وذلك بشراء العبيد الذين كانوا يعلمونهم في جغبوب فاذا ما تعلموا عقائد الاسلام اعتقوهم واعادوهم الى اوطانهم دعاة للدين الحنيف . وفي سنة 1895 م هاجر الى كفرة سيدي المهدي ... وهو ابن سيدي محمد السنوسي وخليفته لانها كانت اكثر توسطا في جغبوب ولكنه توغل فيما بعد جنوبا الى منطقة بوركو او تليستي حيث توفى سنة 1902م .

ويقول الشهيد السيد قطب في كتابه « المستقبل لهذا الدين » ان الاسلام هو الذي كافح في برقة وطرابلس ضد الغزو الايطالي . ففي اربطة السنوسية وزواياها نمت بذرة المقاومة ومنها انبثق جهاد عمر المختار الباسل .

وقد لقي الاستعمار الايطالي في ليبيا على يد حفدة مؤسس الطريقة السنوسية الامرين مثل السيد محمد السنوسي والملك ادريس الاول . وتذكر الموسوعة العربية الميسرة ان هذا الملك عندما كان اميرا قاوم الاحتلال الايطالي مع طائفة من اعوانه مدة طويلة . وفي اثناء الحرب العالمية الثانية ساعد الحلفاء بنفوذه ورجاله الى ان تم جلاء الايطاليين عن ليبيا فنودي به ملكا عليها .

ويذكر المرحوم شكيب ارسلان في تعليقاته على كتاب حاضر العالم الاسلامي ان كمال اتاتورك طلب من السيد محمد السنوسي اثناء حرب التحرير التركية أن يدعو الله لنصرة الاتراك على الانجليز والفرنسيين واليونانيين الذين احتلوا تركيا عقب الحرب العالمية الاولى .

هذا باختصار الدور السياسي والحربي والديني الذي قامت به القادرية والنقشبندية والتجانية

والسنوسية سقناه الى هذه المجلة الزاهرة لتبديد للغيوم التي تحوم حول كافة الطرق الصوفية بسبب تنفيذ بعض شيوخها مخططات استعمارية غاية في الخطورة .

وهذا التنفيذ لم يمنعنا نحن وغيرنا من ذكر الاعمال الجليلة التي قامت بها الطرق الصوفية عبر التاريخ وهي اعمال تذكر فتشكر .

وقبل ان ننتهي من هذه الكلمة عن القادرية والنقشبندية والتجانية والسنوسية ينبغي لنا أن نذكر بعض ما قالته عن الطرق الصوفية الدكتورة سهير القلماوي في مجلة الهلال عدد اكتوبر 1966 « .... هذه الطرق لعبت دورا خطيرا جدا في تاريخ البلاد العربية وخاصة في عهود الاستعمار . فلقد سجع عليها العثمانيون ثم اهملوها ، ولما جاء الاستعمار الغربي وعرف انها من أكثر ثقل جبار لتجمع الشعب الروحي راح يسدد اليها سهامه فقويت وحافظت على الكيان الاسلامي دينا ولغة وعروبة في جهاد مجيد جبار وكانت ملاذ المجاهدين ووقف بعض شيوخها سافرين في ساحة الوغى يخوضون الحروب ويؤججون الحماس وفتحوا المدارس لتعليم الدين والطريقة وعبأوا الشعور العام تعبئة تعجز عنها ارقى اجهزة الدعاية واكثرها ثراء ورجالا لانها كانت مدفوعة بحماس ديني فدائي يتطلع الى ثواب الآخرة في ايمان جبار صامد .

ثم توالى الزمن وورثت الطرق الابناء ثم الاحفاد وظل الاستعمار يسدد سهامه فاذا المعاقل تسقط واذا الطرق في الجزائر مثلا لا تنصب شيخا رئيسا الا باذن من الفرنسيين ولا تقيم مولدا الا بأمرهم .

وتقلد الشيوخ نياشين الاستعمار واسهموا في اعياد فرنسا وولائمها واستظلوا بالعلم المثلث الالوان

واحس الشعب مرارة الالم الم الخيبة في شيوخ الطرق ولما راح يحرر الطريقة وشيخها لم يستطع ذلك الا على وهج المعركة التي صقلت النفوس فاذا الطرق تعود الى صوابها واذا المريدون لا الشيوخ يرثون الرسالة ويقومون بالثورة المجيدة .

وفي السودان يتطلع شيوخ الطرق او بعضهم الى السياسة وتندمج المهدية في سياسة السودان وتلعب دورا معروفا بخطورته وقوته في تغيير وجه التاريخ في السودان ... ان كل ما اوجدته هذه الطرق من مثل وقيم للحياة ورسم لطرق السلوك فيها هو من صميم نسيج الحياة التي تنفس اجواءها شعراؤنا وكتابنا واحسوا بها واقعا ضخما محركا لموضوعاتهم ولاساليبهم سواء شعروا بذلك وفطنوا له ام شعروا به ولم يفطنوا .

ولقد استهوت هذه الدراسات كثيرين من المستشرقين فالفوا فيها وخاصة مستشرقي فرنسا الذين الفوا عن الطرق في الجزائر ولهم في ذلك مؤلفات قيمة معروفة بل لقد بدا مستشرقوا امريكا يحسون خطورة الموضوع مثل الاستاذ « برجو » في جامعة برنستون وكلهم يريد أن يؤرخ وأن يفهم وقد يريد شيئا آخر وقد يعجز عن فهم بعض النواحي في الموضوع لعلاقته الوثيقة بالدين ولكنه على اية حال مدرك لخطورة الموضوع وضخامة آثاره .

ولحسن الحظ بدات مثل هذه الدراسات تستهوي بعض طلاب الدراسات العليا في الجامعات المصرية. فلقد درس علي – تقول الدكتورة سهير القلماوي – في العام الماضي الطاهر محمد علي السوداني ادب السمانية في السودان وافرد صالح خرفي الجزائري فصلا للطرق الصوفية في الجزائر في دراسته هذا العام عن شعر المقاومة في الجزائر . ويوم ينشران رسالتيهما كتابا سيتشجع غيرهما ويتجه الى دراسة ادب الصوفية في سائر الاقطار العربية والاسلامية فنحن اولى بدراسة انفسنا ولعلنا اقدر ، والذي لاشك فيه اننا اسلم طوية » .

فعسى ان يكون ما سبق بيانه حافزا لهمم المؤرخين المغاربة في التاليف عن الطرق الصوفية في المغرب .

ولحسن الحظ فتح الاستاذ محمد حجي الباب على مصراعيه بتاليفه كتابا عن الزاوية الدلائية ودورها الديني والسياسي والاجتماعي في المغرب .

ولاشك ان مؤرخينا الكرام سيحذون حذوه في هذا الباب والله ولي التوفيق .

الرباط – عبد القادر القادري





للأستاذ محمد بن تاويت

A LITERARY HISTORY OF PERSIA
«FROM FIRDAWSI TO SA'DI»
By
EDWARD G. BROWNE

تاريخ الادب فى فارس ، من الفردوسي الى السعدي ، للمستشرق برون ، من الكتب القيمة التي ساهم بها المستشرق فى ميدان دراساته الفارسية ، وقد ترجمه استاذنا المرحوم الدكتور ابراهيم امين الشواربي بعنوان « تاريخ الادب فى ايران ، من الفردوسي الى السعدي »

واذا ما ذكر الدكتور ابراهيم امين ، ذكرت الدراسات الحافلة التي قام بها فى الفارسية تعريفا وتعر ـا الى جانب ما قام به من تدريس هذه اللغة وآدابها ، فى كلية آداب الجامعة المصرية وجامعة عين شمس

لقد كان الاستاذ رحمه الله كبيرا فى علمه عظيما فى نفسه ، متحمسا فى عمله ، مثابرا غير متوان ولا هياب معتزا بكل ذلك لا يخضع لأحد ولا يطاطىء راسه الا للحق ، فذهب رحمة الله عليه ، وذكره فى عالم الحقائق ثابت ، وفى دنيا المراءاة خافت ، وتلك السنة فى عالمنا الذي قلما ينصف المخلصين العاملين ، فى كل حقل وفي كل عصر ، ولكن الحقيقة وحدها تنتصر ، طال الامد او قصر « فأما الزبد فيذهب جفاء واما ما ينفع الناس فيمكث فى الارض كذلك يضرب الله الامثال »

ان تعريب هذا الكتاب ، التي تناهز صفحاته السبع مائة ، من جملة ما اسداه الى المكتبة العربية استاذنا الفقيد ، وكان تعريبه بتلك النزاهة والدقة اللتين امتاز بهما فى كل أعماله ، واضعا امامه الخلود المثالي ، وفي تواضع العلماء وكبريائهم معا ، يخاطبنا بهذه الكلمة التي نظمها فى بساطة ، وكان يترنم بها وهو يجاهد فى عمله جهاد الابطال :

لقد تعب المؤلف والمترجم
فليتك قدر هذا الجهد تعلم
كلانا دائب يسعى ويشقى
فهل الفيك عند السهو ترحم

هكذا نجد هذا الالتفات من هذه النفس المطمئنة بأعمالها الى هؤلاء الذين لايفتحون أعينهم الا على عورات غيرهم ولا يسرهم الا النظر الى المزلات ، طالبة منهم الرحمة والمعذرة عند السهو ، لا التقصير ، والسهو عنوان هذا الانسان ، مهما عظم فى عمله واحتاط لامره ، وهو ايسر من الخطا واهون من الغلط ، عند الاعتبار ، وكذلك كان من فقيدنا ما السهو مسئول عيه فى غالبه ، وهو جد ضئيل وزهيد ، كما سنرى فيما بعد . . .

جعل المؤلف كتابه هذا فى مقدمة وتسعة فصول

فتعرض فى الفصل الاول الى اللغة العربية ومركزها الفريد ، وفى هذا الفاصل ، ذكر ان الفردوسي لما الف الشاهنامه ، كان ـ كما يظهر ـ متعمدا ان يصوغها فى اقدم العبارات والاساليب ، ومع هذا فلا

يستطيع احد ان يدعي انها خالية من الالفاظ العربية ، كما يظن ذلك بعض الناس ، ممن لاقدرة لهم على التحقيق والتمحيص

وهذه ملاحظة قيمة من المؤلف ، تدعمها نصوص الشاهنامه ، التي قد نجد في البيت الواحد منها الفاظا عربية متعددة ، كما في هذا البيت :

بجز حق دل هيج جيزم نداد
نشد (حاصل) من ازو (غير) باد

وقد عاد المؤلف الى ذكر هذه الحقيقة في مواضع اخرى من الكتاب ، فقال مثلا في الفصل الثاني الذي خصصه لعصر الدولة الغزنوية معللا ذلك بان « الالفاظ العربية : كان قد تأصل في اللغة الفارسية في هذا الوقت ، بحيث اصبح من المستحيل عليه ان يتحاشاها او يتجنب استعمالها »

وهذا بالضبط ما حصل في التركية مثلا ، مما جعل الاتراك في نهضتهم الكمالية ، عاجزين عن تطهير لغتهم ـ كما قالوا ـ من العربية ، وقد كنا ضربنا لهذا العجز امثلة ، فيما نشرناه على صفحات هذه المجلة ، منذ سبع سنوات، بعنوان « فصل العربية عن التركية»

وفي الفصل الثالث الذي تعرض فيه للادب في العصر السلجوقي ، ذكر ان الشيعة الفرس « يعتقدون في ان والدة الامام الرابع « علي زين العابدين » كانت اميرة من امراء البيت الساساني ، ولا شك ان هذا المعتقد كان من اقوى العوامل التي دفعتهم الى اخذ البيعة لهذا الامام ولاعقابه من بعده ، ومن اجل ذلك فقد كان طبيعيا ان يصبح الفرس عماد الحزب الشيعي »

وفكرة الملاءمة بين الوضع الراهن الذي لايرضي وبين الحفاظ على النخوة القومية ، فكرة عرفت عند الفرس قديما ، فقد ادعوا ان الاسكندر الذي دمر مملكتهم وقتل ملكهم دارا ، ما هو الا ابن الملك داراب واخو الملك دارا نفسه .

وذكر في الفصل الرابع الذي خصصه للحديث عن الادب في العصر السلجوقي الاول ، انه « من غير الممكن ـ فيما عدا امثلة قليلة نادرة ـ ان نجزم على وجه اليقين بانه (اي عمر الخيام) كتب رباعية بعينها من هذه الرباعيات الكثيرة التي تنسب اليه »

وهذه ملاحظة لها خطرها ، وتجعلنا في منجاة من تلك المواقف المتضاربة التي تذكر لعمر فيما ينسب اليه من رباعيات .

وفي الفصل الخامس الذي جعله للادب في عصر السلطان سنجر واخوته ، عد « من اهم الشخصيات التي نلاقيها في هذا العصر .... الجغرافي المعروف البكري » كما ذكر فيه ضمن « كتاب العربية وعلمائها الذين توفوا في هذا العصر .... ابن عبدون الذي اشتهر بقصيدته التاريخية الطويلة التي شرحها فيما بعد واحد من مواطنيه هو ابن بدرون »

ومع العلم بان المؤلف لا يجهل ان هذين اندلسيان وقد ذكر بذلك ابن عبدون ، فاننا لاندرك سببا لذكرهما ، وهو بصدد الحديث عن عصر سنجر من الناحية العلمية والادبية وعمن ظهر فيه من مؤلفين فرس او شعراء كذلك ، وان كتبوا او شعروا بالعربية، كالزوزني والتبريزي والجواليقي والابيوردي والطغرائي والحريري ، الا ان يكون الاول ذكر في كتابه « المسالك والممالك » ما تعلق بفارس وما والاها من البلاد وكان بعضها من ضمنها ، وان يكون الثاني ذكر في قصيدته ما اتصل بملوكها وقوادها ، كما في قوله :

هوت بدارا وفلت غرب قاتله
وكان عضبا على الاملاك ذا اثر
واسترجعت من بني ساسان ماوهبت
ولم تدع لبني يونان من اثر
واهلكت ابرويزا بابنه ورمت
بيزدجرد الى مرو فلم يحر
وبلغت يزدجرد الصين واختزلت
عنه سوى الفرس جمع الترك والخزر
ولم ترد مواضي رستم وقنا
ذي حاجب عنه سعدا في ابنة الغير

ومن الطريف في نهاية هذا الفصل ان يذكر المؤلف ان الشيخ محمد عبده ، كان استاذا له وصديقا

وفي الفصل السادس الذي اختص به الشعراء الاربعة التابعون في القرن السادس (وهم الانوري والخاقاني والكنجوي والفاريابي) نلاحظ انه ذكر نصا فارسيا في موضعين لاختلاف المناسبة ، لكنه كرر ترجمته ، من غير مايكون لذلك داع ، خصوصا في صفحات متقاربة 464 ـ 471

وفي الفصل السابع ، الذي خصصه لملكة خوارزم ، ذكر في صفحة 577 ان الحسن بن الصباح قتل ولديه لما خالفاه في بعض تعاليم مذهبه ، مع ان

المؤلف سبق له في صفحة 388 بالفصل الخامس ، ان قتلهما كان للزنى وشرب الخمر

وفي الفصل الثامن الذي جعله لكتاب العصر المغولي الاول ، ذكر ان البنداري لخص الشاهنامه نثرا ، وفاته ان يذكر انه الى جانب التلخيص قد يزيد في الترجمة فياتي بما لا اصل له في النص ، كما نجد ذلك في قصة « الضحاك » او « سهراب ورستم » مثلا وفي هذا الفصل تعرض ايضا لمؤلفين اندلسيين ومغاربة وغيرهم مثل الرحالة ابن جبير والطبيب موسى بن ميمون والصوفي محيي الدين البوني الجزائري وابن البيطار المالقي واحمد بن يوسف التيفاشي القفصي وابن العربي الحاتمي وآخرين من الشام والعراق ومصر ، وقد ذكر عن ابن العربي « أن تاثيره حتى الآن مازال محسوسا في ايران الشيعية ، بل ربما فاق في ذلك كل صوفي آخر »

وفي الفصل التاسع الذي تكلم فيه عن شعراء العصر المغولي الاول ، اتى بقضية لابد ان يتنبه لها اولئك الذين يتصدون لنقد الآثار الادبية في غير لغتهم ، فقال « في مثل هذه الموضوعات يجب ان يكون الحكم النهائي لاهل اللغة انفسهم ، لانه يصعب على الناقد الاجنبي ان ينصف في حكمه كما ينصف الناقد الذي تربطه بالشاعر صلة القرابة واللغة ، ولقد احس انا شخصيا عند قراءتي لاشعار « عراقي » بكثير من المتعة التي لا احسها عند قراءة اشعار « سنائي » ولكن ذلك لايشفع لي في ان ارتفع برايي الشخصي لاجعله في عدد النظريات العامة المقررة »

هذا قول حق ، وكثيرا ما كنت اوجهه نحو الطلبة الذين كانوا يدرسون بكليتنا — وما زالوا — موضوع « الادب المقارن » فهم يتعرضون لمصاعب جمة وخصوصا ان كانوا يستندون على الترجمة ، ولا يحسنون اللغة التي يقارنون بين نصوصها ، فكنت لهذا، وقد اسند الي هذا الموضوع ، سنة 64 — 65 ، اجشمهم واتجشم معهم ، الاطلاع على بعض النصوص في اصولها وكان هذا عملا في منتهى البطء وعدم الغناء به ، بالنسبة الى من كان منهم غير ملم بتلك اللغة

واخيرا ياتي المؤلف بخاتمة قصيرة جدا ، يفتتحها بقوله : « عندما ندرس تاريخ امة من الامم ، او نتعرض على الخصوص لحضارتها وحياتها العقلية ايمكننا ان نصل الى نقطة من النقط نستطيع ان نقف عندها ونقول في دقة وايمان ان هذه النقطة تنتهي بها فترة من فترات تاريخها » ويقول في آخرها « وفي رايي ان الادب شبيه بالحب ، وعليهما جميعا ينطبق المثل التركي « يارسزقاليركيمسنه عيب سزباراستيه بن » اي الصديق الذي يريد له شخصا خاليا من العيوب يبقى بدون صديق

وبانتهائنا من المؤلف ، نتصل بالمعرب ، فنرى من حسناته في هذا التعريب ، زيادة على ما ذكرنا ، انه ياتي بالنصوص الاصلية ، ولا يعتمد غالبا على الترجمة الانجليزية فيها ، وبذلك يربطنا مباشرة بتلك الآثار ، ويجعلنا نتذوقها بقدر مكنتنا ونقارن ما بينها وبين تلك الترجمة ، وقد جرنا هذا الى أن نلاحظ بعض الملاحظات التي نجملها فيما ياتي :

في الصفحة 41 ورد شطر بيت هكذا :

زينهار ازدور كيتي وانقلاب روزكار

فترجم « زينهار » بالحرص الحرص ، والصواب ان يكون « الحذر »

وفي الصفحة 58 ورد الشطر هكذا :

بادا من ترمنت از آن دامن تركش

فترجم « دامن » بالحافة ، والصواب ترجمته هناك « بالذيل »

وفي الصفحة 66 وردت الشطرة :

صبح بد خواه زاحتشام تو شام

فترجم « شام » بالليل ، والصواب ترجمته « بالمساء » ، وخصوصا عند مقابلته بالصبح

وفي الصفحة 73 ورد الشطر :

دهدت كوه بوفرار فرار

فترجم هكذا : وعزمك الشبيه بالجبل يعطيك القرار والثبات لا الفرار

والصواب : يعطيك الجبل القرار على الفرار

وفي الصفحة 80 وردت ترجمة الشطر :

يارب آن سوسن است ياكلنار .

هكذا : يارب هل هذه سوسنة ام هي زهرة الرمان

والصواب : يارب هل تلك سوسنة ام جلنار

وفي الصفحة 136 ورد البيت

تا تواي ماه زير خاك شدى

خاك رابر سپهر فضل آمد

فترجم هكذا :

منذ ان نزلت ايها القمر الى مرقدك فى طيات التراب

وقد اصبحت الارض تعلو رفعة على الافلاك والقباب

والصواب :

منذ ان صرت ايها القمر تحت التراب

فقد صار للتراب فضل على الفلك

وفي الصفحة 184 سقطت ترجمة هذا البيت المذكور فى الصفحة 181 وهو :

هر مهي باشد سي روز وبقرآن شب قدر

بهتر از ماه هزار است زپس فضل وشيم

وترجمته : كل شهر يكون ثلاثين يوما وفي القرآن « ليلة القدر خير من الف شهر » من اجل فضلها العظيم وشيمها

وفي الصفحة 192 وقع ما ياتي :

اولا — سقطت ترجمة البيت المذكور فى 190 وهو :

خويشتن سوزيم هر دوبر مراد دوستان

دوستان در راحتند أزما وما اندر حزن

وترجمته :

كلانا يحرق نفسه لمراد الاصدقاء

فالاصدقاء بنا فى راحة ونحن فى حزن

ثانيا — فى ترجمة بيت آخر مذكور بنفس الصفحة ، وهو :

روى توجون شنبليد بر شكفته بامداد

وآن من جو شنبليد ناشكفته درجمن

فترجم البيت فى الصفحة 192 هكذا :

وان مدامعك لهي الذهب المصهور تذيبينه فوق خدودك الذهبية

واما خدودي فهي الازهار الصفراء الذابلة من بين ازهار الخمائل

والصواب :

وجهك مثل الازهار المتفتحة صبحا

واما وجهي فمثل الازهار غير المتفتحة فى الخميلة

وبهذا نرى انه لايصدق شيء من الترجمة على المصراع الاول ، فالغالب ان المعرب — رحمه الله — اعتمد على الترجمة الانجليزية لا على الاصل الفارسي. والمعتاد من ترجمة « برون » للشعر انه يتصرف فيها تصرفا عظيما ، حينما تكون ترجمته شعرا بالخصوص

ثالثا — اتت فى الصفحة المذكورة 192 هذه الترجمة :

ولقد اصبح من عادتي النوم اثناء النهار لاني من اجلك اديم السهر طول الليل ويثقل راسي بالنوم طول النهار

ولا يوجد ما يقابلها من الابيات الوارد نصها فى الكتاب ، فلعل البيت سقط عند الطبع ، وان كنا لم نعثر عليه فى القصيدة التي وردت فى مصادر اخرى، مثل « تذكرة الشعراء » لدولتشاه

سوى هذا ، هناك ملاحظات اخرى على المترجم مثل اغفاله كتاب « جهار مقاله » حينما ذكر فى الصفحة 146 (بالتعليق) المصادر التي توجد بها قصيدة فرخي الرائية

ومثل ايراده كلمة الاعارة والعارية فى صفحة 365 بدل الاسلاف والسلف ، فقال : يمتنع عن اعارة النقود « لانه يعتبر العارية هبة » ومثل ايراده هذه الترجمة فى الصفحة 674 : فلن يتردد هذا الخبيث عن اهلاكك

بدل : فلن يتاخر هذا الخبيث الخ

وتكرر فى الكتاب وصف الرجل « بالعجوز » بدل « الشيخ » ، كما ورد « واحد من الرجال » بدل (رجل) و « فرخة » بدل « دجاجة » وعبارة (سوف لا) بدل « لن » وكسر ان بدل فتحها والعكس

هذه ملاحظات على الكتاب وتعريبه ، ولا شك ان الطباعة لها دخل فى الموضوع ، واظن انه من ذلك وضع (الحرص الحرص) بدل « الحذر الحذر » مثلا ، او الواو بدل الفاء فى السبك او سقوط ترجمة او اصل من المترجم

تطوان : محمد بن تاويت

نحو لا معقول ستراتيجي :

الستراتيجية الحديثة الى اين تسير ؟

للاستاذ المهدي البرجالي

يعتقد الكثيرون ـ ومنهم اصحاب النظريات السياسية والستراتيجية العسكرية ، ان الامتناع عن الحرب الذي يظهر على كافة الدول الكبرى ، بالرغم عما يوجد بينها من أسباب الخلاف السياسي والاقتصادي والمذهبي على جميع المستويات ـ هذا الامتناع عن الحرب ، ليس له من عامل آخر الا الاعتقاد عند الجميع ، ان اي صراع مقبل لايمكن ان يفيد منه احد الطرفين على حساب الآخر ، بل هناك احتمال متساو لامكانية تعرض الطرفين لانمحاق محقق . لكن ما الذي خلق هذا العامل الفكري الرادع ؟ انه ولا شك السلاح النووي ، الذي يوصف لذلك بالرادع .وهكذا أصبح التسابق نحو التسلح ، والاستعداد للحرب ، هو نفس العامل الجوهري في منع نشوب الحرب ، لكن الى أي حد يحتفظ هذا السباق بمعقوليته على اساس هذا التفكير ؟ أليس مؤد بطبيعته الى حالة عبث ولامعقول ، اذا استمر الامر هكذا ضمن هذه الحلقة المفرغة ؟ لقد قررت الدول الكبرى توقيفا جزئيا لتجاربها النووية ، فهل يجزيء هذا في رفع صفة العبث عن السباق الحاصل لحد الآن ؟

بين الاسلحة التقليدية وغير التقليدية :

عندما تمت اول عملية انفلاق نووي سنة 1939 بالولايات المتحدة ، ربما لم يدرك الكثيرون آنئذ ان العالم قد وقف على عتبة عصر جديد ، يتميز بشتى التقلبات الصناعية ، والستراتيجية ، والمواصلاتية ، وغيرها . لقد مرت الحرب العالمية الثانية ، دون ان يستفيد المتحاربون خلالها من نتائج الانفلاق ، الذي تم ، وهي حينئذ على الابواب ، لكن الخاتمة ، خاتمة الحرب مع اليابان ، وقعت بفضل النتائج العملية الاولى التي ادى اليها انفلاق سنة 1939 ، وحينذاك فقط بدأ الرأي العام الدولي ، يدرك ان العالم على ابواب تحولات عميقة الجذور في الوسائل الحربية والتنظيمات الستراتيجية التي عرفتها الانسانية لحد الآن .

ان الحروب المحلية التي حدثت بعد « قنبلة هيروشيما » كحرب كوريا 1951 كانت على وجه التقريب حروبا تقليدية ، تقوم على استعمال الاسلحة الكيماوية المعروفة ، ولو ان هذه الاسلحة ، قد اصابت هي نفسها تطورا ملحوظا تفرضه التطورات التقنية المتلاحقة في العالم ؛ بيد ان هذه الاسلحة ، تعد ـ مع ذلك ـ تقليدية ، نظرا لاعتمادها في الاساس على الوسائل التي كانت تستعمل قبل ظهور القوة الذرية في الميدان . اي الطائرات والمقذوفات ذات التركيب الكيميائي ، والدبابات والمدرعات والغواصات العادية وغيرها ؛ اما الاسلحة غير التقليدية ، فهي التي تعتمد على الطاقة الحرارية النووية ، ويتم قذفها بواسطة الصواريخ عابرة القارات ، او الغواصات النووية او نحو ذلك كثير . ان ظهور الاسلحة العصرية هكذا كان

من شأنــه ان يقلب موازين القـوى العسكـرية تم السياسية فى العالم ؛ ولعله كان من جملة الاسباب التي ادخلت هذا التغيير الجوهـري على خريطـة الدول الكبرى ذات النفوذ العالمي الواسع ، فادت الى وضـع دول كانت الاولى فى العالم ، فيما قبل الحرب ــ ادت الى وضعها فى مرتبة دول ثانية ، واحالة بالعكس دولا منعزلة وحذرة ، الى درجة الدول الاولى فى العالـم ؛ اما الاوضــاع الستراتيجية فقـد تعرضت ــ هـي الاخرى ــ لتقلبات جد عميقة ، لم يعد معها ، لكثير من التخطيطات الستراتيجية ما كان لها من اهميـة مـن قبل ؛ فسياسة القواعد المطوقة للخصم ، قـد بدات تفقد قدرا من جدواها ، والفاعلية التي تؤمل منهـا فيما سبق ، ذلك ان الفائدة من هذه القواعد ، كـانت تتركز فى وجودها قريبة من الاراضي ، التـي يفتـرض فيها ان تكون اراض معادية ، لكن القرب والبعـد ، لم يعد لهما من اهمية كبيرة ، بعد ان اصبحت الصواريخ عابرة القارات تستطيع ان تنال من حصانة اية نقطة من نقط الارض ، بغض النظر عن موقع انطلاق هـذه الصواريخ ، وما اذا كان بعيدا جدا من الهدف المقصود ام لا ؛ وسلاح الطيران ــ على الرغم مما ناله من تقدم مجاوز للحدود المتوقعة ــ فانه مع ذلك لايحتفظ بكامل فاعليته التي تجعل الاعتماد عليه امرا حيويا جدا ــ الا فى الحروب التقليدية ، كالحرب الدائرة فى الفيتنـام مثلا ؛ اما فى حرب شاملة ، تستعمل فيها الاسلحـة التكتيكية بعيـدة المدى ، فان لـه فيها ــ ولا شك ــ دورا لايستهان به ، ولكنـه سوف لايكـون الدور الحاسم ... الـذي اصبحت تلعبـه المقـذوفات الصاروخية ، والصواريـخ المضادة ، ثم الغواصات الذرية ، والغواصات القطبية وغيرها ؛ وحتى بالنسبة للمواقع والسبل الارضية المستغلـة ستراتيجيا فان هناك اماكن لم تستغل كما يجب خلال الحرب العالمية الاخيرة ، لكن ينتظـر ان تصبح مسالك حيوية وذات قيمة ستراتيجية اولية فى اي صراع عالمي محتمـل ؛ ومن ابرز الامثلة على مثل هذه المواقع منطقة القطب الشمالي ، التي ينظر اليها الآن ، كموقع ستراتيجـي مرموق ، وذلك (اولا) لموقعها الجغرافي الفريد الـذي يجعل الاتحاد السوفياتي والولايات المتحدة اقـرب ما يكونان من بعضهما البعـض بواسطتها (وثانيـا) لوجود اكثرية القارات فى الجـزء الشمالي من الارض قريبة من المنطقة القطبية الشمالية (وثالثا) لان التقنية الحديثة ، قد مكنت ــ على نطاق واسع ــ من التغلب على العوائق والموانع الطبيعية التي يحفل بها القطب ، كالجليد المتراكم ، والانهيارات الجليدية ، والعواصف الباردة ، والليل الطويل ، وغير ذلك . وقـد برهنت الغواصة الذرية الامريكية « النوتيليس » التي قطعت المنطقة القطبية الشمالية ، منـذ بضعة سنين تحت الطبقة الجليدية الكثيفة ــ برهنت هذه الغواصة على ان استعمال القطب حربيا ، لم يعد امرا محتملا فقط من ناحية تقنية ، ولكنه اصبح امرا ممكنا جدا ، مـن الوجهة التقنية وذا اهمية حيوية كذلك من الناحيـة الستراتيجية والعملياتية .

* * *

فى اواسط شهر مارس من سنـة 1962 كشف السوفييت القنـاع عن سلاح ذي اهمية استثنائية ، يتوافر لهم ، دعي بـ « الصاروخ الاجمالي » وميزتـه انه يستطيع ان يصيب اي موقع يستهدفه من اراضي العدو ، دون ان تستطيع اجهزة الرادار كشفه وتحديد خطوط سيره ؛ وقد راجت حـول الامريكيين مـن جهتهم ، احاديث حول امكانية توصلهم الـى صنـع نماذج من « الجهاز المضاد للجهاز » وهي عبـارة عـن صواريخ مضادة للصواريخ تستطيع ان تتعقـب اي صاروخ معاد ، وهو لمـا يزال فى الجـو ، وتنتهي الى تحطيمه قبل ان يصل الى هدفه ؛ وقـد قيل حـول الروس انهم يملكون هم كذلك مثل هذا النـوع من الاسلحة ، اي الصواريخ المضادة للصواريخ ؛ والخطة الستراتيجية عند الطرفين ، تقـوم على الحصول على مناعة مطلقـة ، ضد قذائـف الخصم ، وقدرة كذلك مطلقة على كيل الضربات المدمرة للخصم ؛ وهذا منطق لايستقيم دائما مع النظر العقلي المدقق ، والا ، فكيف تحصل المناعة ، فى نفس الوقت للطرفين ، وتحصـل لهما ــ مع ذلك ــ نفس القدرة على اصابـة الطرف الاخر فى الصميم ! يضاف الـى ذلك ، ان الاسلحـة التكتيكية لاتنحصر فى نوع واحد ، كالصواريخ بعيـدة المدى ، او الصواريخ المنطلقة عبـر القارات او مـن المحيطات ، وانما ثمت انواع متعددة من الاسلحـة ، ووسائل مختلفة ، تعتمد عليها الستراتيجية الحديثة ، فيما تقيمه من استحكامات ، وما تصوبه من ضربات ؛ فاذا استطاعت الصواريخ المضادة للصواريخ ان تبطل مفعول الصواريخ المنطلقة من الارض ، فهل تستطيـع ــ بنفس الدقة ــ ان تشل كذلك حركة الصواريـخ المنطلقة من الغواصات الذرية كصواريخ « البولاريس » مثـلا ؟

ثم ان المناعة المطلقة ، تقتضي تعدد الصواريخ المضادة بقدر عدد الصواريخ المعادية ، التي يمكن ان تطلق من طرف بلد « معاد » لتصيب اهدافا فتدمرها في بلد آخر ؛ اي ان البلد الذي يمكن ان يكون مستهدفا للصواريخ الموجهة لضربه . هذا البلد المحتمل ان يكون ضحية يجب ان يكون له من الاستعداد ما يجعله قادرا على اسكات جميع مراكز الاطلاق الصاروخي عند الخصم بعيد الهجوم الاول الذي كان ضحيته من طرف هذا الخصم .

وهذا غير ممكن من ناحية عملية ، وان كان يبدو جائزا بعض الشيء من جانب نظري ؛ فالمستطاع — حقا — بالنسبة لبلد كامل التجهيز النووي والصاروخي ، ان يتمكن من شل الصواريخ المنطلقة ضده لتصيب اهدافا فيه او امكنة او جماعات بشرية، وذلك في اللحظات الاولى من نشوب الحرب ؛ لكن هل تعتبر هذه القدرة على شل الصواريخ المنطلقة هكذا .. هل تعتبر كافية لتامين الصناعة المطلقة لصالح البلد الذي يشل هذه الصواريخ المنطلقة ضده ؟ لا يبدو ان المناعة المطلقة ستحصل هكذا بمثل هذه الصورة الجزئية ؛ لان مجرد تحطيم الصواريخ المنطلقة لايحصل منه شل قدرة « العدو » على متابعة الضرب الا اذا تم للبلد المستهدف تدمير جميع قواعد الاطلاق عند هذا « العدو » المحتمل ، وتصفية المذخرات المتوافرة لديه بما تشمله من صواريخ بعيدة المدى ، والتي يمكن ان يستعملها على الفور في حالة فشل مقذوفاته الاولى ؛ هذا من حيث البلد المستهدف للضرب ، والذي لايتصور ان تحصل له المناعة المتوخاة بمجرد نجاحه في شل قدرة الصواريخ المنطلقة ضده ؛ اما البلد الضارب فهو نفسه لايستطيع الاطمئنان الى احرازه على مناعة مطلقة ، بمجرد انه هو البادىء بالهجوم ، وانه قد يكون تمكن مثلا من كيل الضربات للخصم فجاة ، وقبل ان يستفيق هذا الخصم من هول المفاجاة ، ليستطيع الاجابة على الهجوم بمثله ، لماذا ؟ لان التسليم بهذه الامكانية يكون معناه ان البلد الضارب يجب ان ينجح في تدمير مجموع الطاقة النووية والصاروخية عند خصمه في نفس ذلك الهجوم المفاجىء الاول الذي شنه على هذا الخصم ؛ فهل يمكن ان يحصل هذا عمليا كذلك ؟ فاذا لم يحدث الامر على هذا النحو ، بحيث لم يتمكن البلد الضارب من شل كامل قوة الخصم في اول هجوم مباغت ، فان هذا الخصم الذي وقع الهجوم عليه قد يصبح في استطاعته — بعد ان يستعيد رشده من شدة الضربات التي انهالت عليه بغتة — قد يصبح في استطاعته — بعد ذلك — ان يسدد ضربات انتقامية ضد الدولة المهاجمة قد تكون اقسى واشد وقعا مستعينا في ذلك بما يكون تبقى له من مذخرات نووية وصاروخية لم تصب في الهجوم الاول الذي وقع عليه .

* * *

ترتكز السياسة الذرية او بتعبير ادق ، الستراتيجية الذرية — في جوهرها — على فكرة رئيسية ترتبط بالاعتبار السيكولوجي ، بقدر ما ترتبط بالاعتبارات الاخرى ، ذات الصبغة الحربية الصرفة ؛ والفكرة هذه ، هي فكرة الردع : ردع العدو عن القيام بهجوم ما ؛ وعند الاقتضاء ، او عند الامكان: ردعه حتى عن التفكير في محاولة القيام بهذا الهجوم؛ وكل طرف من الاطراف المتقابلة على الصعيد النووي اليوم ، يعتمد فكرة الردع هذه ، في حماية نفسه من هجوم « عدو » محتمل ، وهذا ما يدعى بتوازن الخوف ، استنادا في هذا التعبير ، الى العامل السيكولوجي ، الذي يقوم بدور حيوي في هذا المقام ؛ الا ان توازن الخوف هذا ، ولو انه يعتبر في الظروف الستراتيجية الحاضرة ، كعامل مهم ، في استبعاد الحرب ، وتقليل احتمالات التفكير في الاقدام عليها عند كل من الطرفين المتقابلين ؛ غير ان الوضعية السلمية الهشة ، التي يخلقها هذا النوع من التوازن ، توجد هي نفسها معرضة للتقلب في حالتين اثنتين : الحالة الاولى : حالة خطأ في الحساب عند احد الجانبين ، قد يحمله على الشعور بتفوق وهمي على الخصم عدة او عددا ، او ظروفا مواتية ، او ممكنات اقتصادية قوية ، او غير هذا وذاك .

ان القوة الحربية في عالم اليوم ، لاتتعلق بالشجاعة الفردية الا بقدر يسير جدا ؛ انها — قبل ان تتعلق بشجاعة او ببطولة — تتعلق اولا بمدى الامكانيات الاقتصادية المتوافرة عند الجانب المحارب بما يشمله ذلك من وجود اساس صناعي قوي ، يمكن ان يحول في حالة حرب الى اشباع الحاجيات العسكرية الواسعة ؛ ثم توافر خامات ومصادر طاقة ، ولابد عاملة نشيطة وغير ذلك . ثم التماسك الاجتماعي هو كذلك له اهميته : هل المجتمع له قدرة تماسك ، تؤهله لمواجهة حرب ، ام انه تتمزقه عوامل الانحلال السياسي او الاخلاقي او الاجتماعي او غير ذلك ؛ ثم هل الظروف الدولية ملائمة وبالتالي مضادة للخصم : هل يوجد اكبر قطاع من الراي العام العالمي لجانب هذه الدولة،

او الاخرى ، وهل تستطيع احدى الدول المتحاربة ان تجد سندا ماديا من دول اخرى يفوق القدر من المساندة الذي قد يجده الخصم ؛ ثم ما يتعلق بالاستعداد الحربي : كم تستطيع كل دولة من الدول المتحاربة ان تجند ، لان قدرة دولة على تجنيد عدد ما ، لايدل عليه عدد سكانها ، بقدر ما يدل عليها مدى قدرتها المالية والتنظيمية ، استعدادا لمواجهة اعباء الازفاق على عدد معين من الفرق وتسليحها ومواجهة الخسائر التي تنتج حتميا عن الحرب ثم هناك الحالة السيكولوجية عند هذه الدولة او الاخرى : اي الجانبين اقوى نفسية ، وبالتالي اكثر قابلية للصمود من الجانب الآخر : كل هذه الجوانب الواسعة المعقدة، يقيم لها اي جانب من الجانبين ، المفروض انهما سيتحاربان ــ يقيم لها اعتبارا كبيرا ؛ لان على قدر ما ينجح فيه من دقة فى تقدير نقط القوة والضعف عنده وعند خصمه ، يتوقف نجاح هذا الجانب او امكانية اخفاقه فى العراك المحتمل قيامه ؛ لكن هل تستطيع هذه الدولة او الاخرى من دول المعسكرين ان تحصل على الامكانيات ، التي توفر لها الدقة الكافية فى التقدير ؟ ان الدول الكبرى اليوم تعمل فى هذا الميدان على واجهتين : فهي تبذل قصارى جهدها في اخفاء اسرارها العسكرية الاساسية على الخصم ، بينما تحاول بكل الوسائل ــ بما فيها الاقمار الصناعية ــ استطلاع حقيقة الاوضاع العسكرية عند هذا العدو نفسه ، وآخر ما يكون توصل اليه من استعداد ؛ لكن هل يكفي هذا لتوفير الدقة فى التقدير عند الجانبين ؟ لا احد يعتقد بذلك على وجه القطع والثبوت عند هذا الجانب او الآخر ؛ وحتى اذا ما ظن جانب ، انه توصل يوما ما الى تكوين نظرة مفصلة ودقيقة ، عن مدى قوة خصمه ، فهل تسمح التطورات الحديثة فى الميدان التقني ، وفى الميدان الاقتصادي ايضا ــ هل تسمح هذه التطورات باستمرار التقديرات الدقيقة المتوصل اليها ، محتفظة بكامل قيمتها الموضوعية الاولى ، وانطباقها ــ كما كانت في البداية ــ على مقتضى الحال ؟ كل هذه الامور تاخذ كثيرا باهتمامات الستراتيجيين السياسيين والعسكريين ، سواء فى هذا المعسكر او الآخر وتفرض نفسها حتى على التخطيطات الستراتيجية والمبتدعات التقنية التي يتوصل اليها هؤلاء او اولئك ؛ ومن هنا نشأت فكرة الهجوم المباغت ، التي يحذرها الروس والامريكيون شديد الحذر ؛ ومبنى الهجوم المباغت هذا ، يقوم على احتمال الخطا فى التقدير عند الخصم، فيدفعه ذلك ــ ربما ــ الى الاعتقاد بانه ما دام اكثر تفوقا ــ كما يظن ــ من الدولة « العدو » فلماذا لايعتمد اذن على عنصر المباغتة المذهلة ، التي تشل طاقة خصمه فى البداية ويتكفل التفوق فى العدد والعدد بتتميم المهمة فيما بعد ؛ وقد تكون الدولة التي تهاجم مباغتة هكذا ــ قد تكون مخطئة فى تقديراتها ، حتى اذا ما احتد الصراع واستعر لهيبه ، وتشعبت جوانبه ، فحينذاك فقط قد ينكشف للدولة المباغتة خطؤها فى الحساب ، ولكن بعد فوات الاوان ؛ اي بعد ان تكون سوق الحرب قد قامت على قدم وساق وتكون افدح الخسائر قد حلت بالدولة التي كانت ضحية المباغتة ، وهي على غير استعداد للرد التلقائي السريع؛ ومن ثم يوجد فى التخطيطات الستراتيجية المعتمدة عند المعسكرين المتواجهين اليوم ــ يوجد فصل يعنى خاصة بتطوير التقنيات المتعلقة بمواجهة الهجوم المباغت عند احتمال وقوعه ، وتوجد لهذا السبب تجهيزات خاصة ذات حساسية متناهية للاشعار بالمباغتة من هذا النوع ، قبل وقوعها ، فضلا عن مجموعات الاساطيل الجوية دائمة التحليق فى الاجواء العالمية ، والتي هي مكلفة بمهام فى هذا المعنى ، تتعلق بالاشعار وبالرد التلقائي كذلك ؛ وينتظر للاقمار الصناعية ان تؤدي دورا مهما فى هذا الميدان .. اذا لم يقع احترام المبدا الدولي ، المتعاقد عليه ضمنيا ، والقائل بضرورة تجنيب الفضاء كل ملابسات الستراتيجية العسكرية فى العالم سواء مباشرة او غير مباشرة . لكنه على الرغم من كل الاحتياطات التقنية المتخذة عند هؤلاء او اولئك ، فان الخوف من امكانية وقوع الخصم فى خطا حسابي ــ هذا الخوف ــ يقوم كعامل مهم فى الاستعدادات العسكرية عند الطرفين ، ولعل له صلة بهذا الوجه من التناقض في التكتيك الذي يظهر فى عدة احيان عند الدول الكبرى، فيجعلها تعلن بكل قدرتها على الاعلان ، عن بعض اسرارها العسكرية ، كتوصلها الى صنع كذا او كذا من الاسلحة الحديثة ، او نجاحها فى ابتداع طرق مبتكرة ، لابطال مفعول اسلحة الخصم هذا فى نفس الوقت الذي تحرص فيه هذه الدول نفسها على ملازمة اقصى حدود التكتم فى مجمل ستراتيجيتها العسكرية العامة . باعتبار ان ذلك يتعلق بصميم سلامتها الدفاعية الحيوية .

الحالة الثانية من حالات الخطا ، والتي يمكن ان تصيب ــ كما اسلفنا ــ الوضعية السلمية الهشة

الناتجة عن توازن الخوف بين الدول .. هذه الحالة من الخطأ ، هي عكس الخطأ السابق ، انها حالة الخطأ عن طريق الصدفة فقط ، لا عن طريق ضلال في الحساب والتقدير ؛ وهذا الخطأ عن طريق الصدفة ، يتمثل في صورة ما اذا اخترقت طائرة او طائرات دولة ما ، النطاق الجوي لدولة اخرى ، قد تكون دولة عضوا في المعسكر الآخر ، المعتبر معسكرا معاديا ؛ والاختراق هذا ، قد يكون غير متعمد ، وقد يفضي الى نتائج بسيطة نسبيا اذا ثبت ان الربان كان ضالا ، او مجبرا على النزول في غير الارض المقررة له ، نظرا لوجود عطب ، او نفاذ وقود ، او غير ذلك ؛ ولكن هذا النوع من الخطأ ، من الجائز ان ينطوي على خطورة قصوى في احوال اخرى ، مثلا في حالة ما اذا كانت الطائرة الضالة ، عبارة عن مقنبلة محملة بالمقذوفات الذرية والهيدروجينية ، ثم انقذفت من هذه المقنبلة — وهي ضالة طريقها في ارض الدولة الخصم — انقذفت منها بغير ارادتها ، قنبلة ذرية او هيدروجينية ، محدثة حالة من الخسائر في الارواح والامكنة والمواد ، فضلا عن الاشعاعات التي لابد ان يخلفها ذلك ؛ ماذا يحدث عند حصول حالة من هذا القبيل ؟ لابد انه سيكون من الضروري ستراتيجيا وحربيا ان يجاب حينئذ عن السلاح الساقط ، باسلحة اخرى على نفس المستوى : اي اسلحة ذرية او هيدروجينية لا توجه غالبا فقط ، الى الطائرة ، او الطائرات الضالة التي كانت سبب الحادثة ، بل يتعدى الامر هذا النطاق — كما هو محتمل جدا — الى درجة ان توجه المقذوفات الى اراضي الدولة التي تنتسب اليها الطائرة ، صاحبة القنبلة الساقطة وقبل ان يقع استدراك الخطأ الواقع، تكون الحرب حينئذ قد اصبحت امرا فعليا ، وهذا ما تخشاه الدول النووية الكبرى الى حد كبير : ان تستدرج الى حرب حرارية نووية عن طريق خطأ ، قد يكون مرتكبه غبيا أو معتوها او مجرد مغفل ، ولكن النتائج على اي حال لابد ان تكون مروعة وقاضية .

ان فكرة الردع عن طريق توفير ترسانة نووية ضخمة ، سواء عند هذا المعسكر او الآخر ، هذه الفكرة لاتوفر دائما — كما راينا — وسيلة مامونة ودائمة ، يمكن الاعتماد عليها بصورة مطلقة لاتوجب تحفظا . وحتى اذا تجاوزنا عن قضية الاستعداد المتوازي عند الجانبين ، فان مجرد احتمال الخطا على صورة او اخرى ، من شانه ان يؤكد هذه الحقيقة ، تاكيدا لايقبل النقض ؛ والخطا بهذا الصدد ليس امرا بسيطا في نتائجه كما تقدم ؛ ولا جرم ان الدول الكبرى تدرك هذه الحقيقة بكل ابعادها ومنطوياتها ؛ ولهذا ، فهي تحاول دائما ان توفق بين هذين المتناقضين ، وذلك بتخزينها المزيد من الاسلحة ، لتحقيق الغرض من الردع ودابها على زيادة البحث والتوسع فيه توسعا لا حد له ، ليمكنها مجاراة التقدم الذي قد يحصله الخصم ، والا فيمكن ان تعتبر — بين يوم وليلة — متخلفة في الميدان بكل ما يمكن ان يؤدي اليه ذلك من تهديد مباشر لسلامتها الذاتية كما تعتقد ، وفي نفس الوقت تتخذ — كما قدمنا — كامل الاستعداد الستراتيجي لمواجهة احتمالات الخطأ عن طريق الصدفة ، ومع ذلك ، فان القلق من احتمالات الخطأ ، لاينفك قائما ، وقد اشرنا الى بعض الوسائل التي تتخذها الدول لتلافيه ، لكن هل تجدي هذه الوسائل نفعا في جميع الاحوال .

* * *

ونخرج من مسالة الخطأ وعلاقتها بامكانيات الردع ، لندخل في صميم قضية الردع نفسه ، والوسائل التي تتوافر معها لدولة من الدول قوة نووية ضاربة او رادعة ، وما هي الحقيقة النهائية ، التي تنكشف حتميا عن سياسات القوة الضاربة في العالم الراهن؟ وندرك — اولا — ان الحصول على هذه القوة الضاربة او الرادعة ، ليس في متناول كل دولة دولة ، باعتبار ما يتطلبه توفير هذه القوة من امكانيات تقنية ضخمة، وتكاليف مالية باهظة ، ومصابرة على البحث والانفاق لا حد لها ؛ لماذا ؟ لان توفير قوة رادعة لايعتمد على عامل واحد ، يمكن الاحاطة به ، وتحديد مقتضياته، وانما تعتمد على عدة عوامل متشعبة جدا يمكن حصرها — على تشعبها في ثلاث نقط اساسية ؛ وهذه النقط الرئيسية هي (اولا) وجود قدر كبير من الاسلحة الحرارية النووية ، ذات طاقة كافية لاحداث الدمار الشامل (ثانيا) وجود الوسائل التقنية ، التي تكفل اصابة الاهداف المطلوبة بالدقة المتناهية التي يتطلبها الوصول الى الهدف ، واصابته في الصميم . (ثالثا) وجود آلات القذف الجبارة ، العابرة للقارات، والتي يعتمد عليها في التسرب الى اية نقطة تستهدف من نقط الكوكب الارضي ، وكل واحدة من هذه النقط — المحاور — تتعلق بجملة من القضايا الستراتيجية والتقنية ذات شأن كبير في التسابق العسكري الموجود الآن بين الدول النووية ! ولنعرض — بايجاز — لهذه

القضايا التقنية والستراتيجية متبينين من خلال ذلك، سعة المجال الذي تعرض فيه هذه القضايا نفسها ، فارضة — على هذا الاساس — مراجعات مستمرة للسياسة العسكرية التي تنهجها الدول الكبرى في مجال استعدادها الدائم للحرب .

ففيما يتعلق بالنقطة الاولى ، التي تتصل بموضوع توفير الطاقة النووية الكافية ، فان الذي يلحظ بهذا الصدد ، ان مجرد وجود الاسلحة النووية، لايكفي في حد ذاته ، وانما يكون دائما على الدولة المتسابقة في مضمار التسلح النووي ان تواصل مراقبة التقدم الذي قد يحصل عليه الجانب الآخر ، الجانب المعادي — كما قدمنا — وذلك باحتمال توصله الى الى تركيبات جديدة في ميدان الاستعمال العسكري للطاقة الحرارية النووية ، الامر الذي يؤدي — حينما يحصل — الى حدوث الخلل في التوازن الحربي بين الدول المتسابقة لامراء في ذلك ؛ والدول الكبرى حينما قبلت توقيف تجاربها النووية سنة 1963 ، لاسباب عديدة ، منها شعور هذه الدول بان استمرار التسابق على نحو ما جرى سنة 1945 ؛ ليس له من نتيجة تذكر ، الا الاستمرار في التخزين : تخزين المتفجرات النووية والهيدروجينية في شكل مذخرات هائلة ، يتزايد حجمها باستمرار ؛ ويجب النظر في هذا الباب الى ان التخزين في حد ذاته ، لا عبرة به ، اذا روعي فيه جانب الكم فقط ؛ فليس المهم ان تمتلك دولة ما ، عددا من القنابل ، يفوق ما عند الدولة الخصيمة لها وكفى . وانما تتركز الاهمية اكثر من ذلك ، في نوعية القنابل المذخرة ومدى طاقتها التدميرية الشاملة، وتجاوزها كل حدود التدابير الوقائية ، التي يتخذها الخصم ؛ وقد وصلت القنابل المجربة اخيرا الى درجة المائة ميكاطون قبل ان يتوصل الى توقيف التجارب النووية ؛ على أن بعض النظريات الستراتيجية ، لا ترى في تضخيم طاقة القنبلة الى هذا الحد ، شيئا ضروريا ، بل يمكن ان ترى فيه بعض النقائص المحتملة، وتذهب النظرية من هذا النوع ، الى القول ، بانه عوض تركيز طاقة نووية ضخمة ، هكذا ، في قنبلة واحدة — مهما عظم اثرها — فانها ستصيب موقعا واحدا فقط ، ولا تصيب عدة مواقع ، عوض ذلك ، يكون من الاولى أن توزع هذه الطاقة الضخمة على عدة قنابل توجه الى مواقع متعددة ، لتصيب اهدافا متعددة ، وتحدث خسائر متنوعة ، وفي قطاع واسع جدا ، يمتد على مساحة شاسعة ، نظرا لتوزع القنابل وانتشارها في امكنة متباعدة كثيرا عن بعضها البعض. ومن ثم ، نجد الدول النووية الكبرى ، تحاول الجمع بين الصيغتين ، لكي لا يتفوق واحد منها ، في صيغة من هاتين الصيغتين على الآخر ؛ فالمذخرات عند هذه الدول ، تضم الى جانب القنابل ، ذات الطاقة الضخمة شديدة التركز ، تضم قنابل اخرى ، ذات طاقات مختلفة ، بحيث يمكن استعمال هذا النوع أو الآخر، بحسب المقتضيات الستراتيجية ، التي لاتلزم بالطبع حالة واحدة ، وانما تتنوع ، وتاخذ هذا الشكل أو الآخر ، تبعا للظروف والاحوال التي تخلقها الحرب. او باعتبار ما يقوم به « العدو »من مبادرات طارئة ، يتعين الرد عليها من نوعها ؛ لكن الى أي مدى يصل اليه الامر في ذلك ؟

ان هناك حرصا من الجانبين على الا يبقي احدهما للآخر « هامش » تفوق عليه ، كيفما كانت درجة هذا التفوق كما وكيفا ؛ وذلك يقود بالضرورة الى جعل نسب التخزين عند هؤلاء او اولئك متوازية لاترجح نسبة ما عند هذا على ما عند الآخر ؛ وحالة من هذا القبيل — يجب ان تؤول عند استمرارها الى عبث لا طائل من ورائه ما دام ان البحثعن التفوق عند احد الطرفين المتسابقين ، لابد ان يقود الطرف الآخر ، الى مجاراة السباق حتما . ومنتهى ما يصل اليه الامر في ذلك ، هو فقط احداث التوازن ، والى اي شيء يؤدي في العادة هذا السباق نحو تحقيق التوازن؟ انه يؤدي بطبيعة الحال الى خلق حالة توازنية جديدة، مع فارق واحد ، هو ازدياد تضخم الترسانات النووية، الموجودة عند المعسكرين ، واستهلاك مواد تقنية هائلة في سبيل هذا التضخم الذي يدور في حلقة مفرغة لامخرج عقلانيا منها .

اما النقطة الثانية المتعلقة بالقدرة على التصويب الدقيق لاصابة الاهداف المراد اصابتها في ارض « العدو » فهذه قضية تثير — من جهتها — تعقيدات ستراتيجية مهمة ، يقام لها اعتبار مهم في حسابات المخططين الستراتيجيين ؛ ففي حالة قيام حرب مباغتة . فان التصويب الدقيق نحو الاهداف ، يجب ان يتم في اطار خطة محكمة . تمنع الجانب المعادي من القيام برد فعل انتقامي ؛ (وقد راينا في فقرة سابقة : بعض الحقائق الستراتيجية المتعلقة بهذه المسألة) والحيلولة دون وقوع رد الفعل الانتقامي ، يكتسي اهمية جد حيوية ، لانه في حرب نووية ، فان تضييع

الدقائق الاولى ، ابتداء من نشوب الحرب ، قد يؤدي الى خسارة الحرب برمتها ؛ والكل يتوقف على مقدار النجاح الذي يحصل عليه المهاجم الاول في شل قدرة الخصم على القيام برد فعل بعد ذلك ؛ لكن ما هي احسن الطرق الواجب اتباعها ، لضمان نجاح هدف من هذا القبيل ، اي : الهدف الرامي الى شل مقدرة الخصم على ممارسة رد الفعل ؟ ان ذلك يقتضي اصابة مصادر القوة والحيوية عنده ، لان اصابتها تؤدي بطبيعة الحال الى تعطيل نشاطه ، اي الى اصابته بنوع من الشلل ، كما هو المراد ؛ وهنا يفرض السؤال نفسه : ما هي مصادر القوة والحيوية هذه ، التي ــ اذا ما اصيبت ــ فانها قد تؤدي الى تعطيل حركة الخصم الانتقامية ، وتمنعه من القيام برد فعل ، يعادل او يفوق مستوى الهجوم الذي تعرض له هذا الخصم ؟

تختلف آراء الستراتيجيين حول هذه المسالة ، تبعا لاختلافهم في تقدير اهمية الملابسات المتعلقة بالموضوع ! فمنهم من يرى ان اصابة المدن الكبرى ، من شانها ان تؤثر على الخصم ، بما يكفي لشله عن القيام برد الفعل (وعلى هذا تقوم ستراتيجية المدن) ؛ ويذهب آخرون الى ان اصابة الموارد الاقتصادية ، ومراكز الانتاج الصناعي ، هو الكفيل بالتوصل الى نتائج عسكرية من هذا القبيل ؛ وكما نرى فان اصحاب النظرية الاولى ، ينظرون الى الموضوع من زاوية اجتماعية ، بينما الآخذون بالنظرية الثانية ، يبنون حكمهم على اساس مراعاة الاعتبارات الاقتصادية بالدرجة الاولى

وهناك راي ثالث ، يبدو منه ان القائلين به ، يوثرون النظر الى الموضوع من ناحية حربية خالصة وعلى اساس ذلك يقولون ــ ومنهم عدد من اصحاب النظريات الستراتيجية في امريكا ــ ان الاهداف الحيوية التي تتعين اصابتها ــ لتدمير امكانيات الخصم على القيام برد فعل ــ هي ما يملكه هذا الخصم من اسلحة حرارية ــ نووية ؛ والمنطق ــ بحسب هذه النظرية الاخيرة ــ بسيط بقدر ملحوظ (ذلك ان الخصم ــ اذا ما فقد اسلحته النووية ــ وهي عماده في اية حرب مقبلة ، لانها لايمكن الا ان تكون حربا نووية ــ اذا ما فقد مذخراته النووية ، فاية طاقة ستصبح له حينذاك على القيام ببادرة انتقام جدي ، له فاعلية تذكر ؟ وماذا يجديه حينذاك عمرانه ، اذا ما بقي له عمران ؟ ثم ماذا تنفعه طاقته الاقتصادية ، من ناحية عسكرية ، اذا كان واقعا باستمرار ، تحت رحمة القذائف النووية ، التي يمكن ان توجه اليه في اي وقت وباية صورة ؟ بينما هو عاجز عن الرد ، لان المفروض انه يكون قد فقد طاقته النووية الحربية في الهجوم الاول الذي وقع عليه ؟) وهذا ما يدعى في اللغة الحديثة بـ « ستراتيجية القوة »

لكن المصاعب التي تعترض تطبيق النظرية الاخيرة ، اي القائلة بتدمير قوة الخصم النووية ، هذه المصاعب هي من الاهمية بدرجة كبيرة ؛ واهم هذه المصاعب ان هناك تقنيات واسعة تتحسن عند الجانبين باطراد . وهذه التقنيات ، لاتبيح للخصم دائما ان يحدد مواقع المذخرات النووية ، ولا مصادر الطاقة الحربية عند خصمه ، ليستطيع التصويب اليها بدقة واصابتها بنجاح دائما ؛ وهنا تقوم بين الجانبين ، حرب التجسس ، بصورتها الكلاسيكية ، ثم التجسس بشكله الحديث ؛ المعتمد على الطائرات الاستكشافية ؛ غير ان انكشاف امر طائرة « اليوتو » من قبل الروس منذ بضع سنوات دل ــ من جهة ــ على ان تقنية التكتم العسكري ، لاتتوافر لها مناعة مطلقة ، كما لا تتوافر المناعة المطلقة ، ضد هجوم العدو مباشرة ، ودل امر الطائرة « اليوتو » كذلك ، على ان اجهزة استطلاع دقيقة ومتقنة ، كهذه الطائرة ، لاتتوافر لها ، هي نفسها كذلك المناعة المطلقة ، التي تكفل لها الا ينكشف امرها ، كما انكشف فعلا . وقد تطورت التقنيات بهذا الشان ، تطورا كبيرا منذ قضية طائرة « اليوتو » الا ان الذي لم يتطور ، ولم يتغير ، هو الواقع الذي يظهر منه ان اي جانب ، لايستطيع ان يطمئن الى انه قد حصل على قدر من الحصانة في العمل الاستطلاعي ، تكفل له تحديد المواقع التي يبتغي في ارض الخصم ، دون ان يكون هو نفسه معرضا لنفس الحالة .

ويبقى بعد كل هذا ، النظر في النقطة الثالثة ، المتعلقة بوجود اجهزة القذف الجبارة ، التي تستطيع ان توصل الاسلحة المقذوفة ، الى اي موقع يستهدف في اية نقطة من نقط كوكبنا الارضي ؛ والمسالة التي تثار هنا هي : هل يكفي امتلاك اجهزة قذف من هذا القبيل ، لجعل اراضي الخصم عمليا تحت الرؤوس النووية المرسلة ، وتعريض هذه الاراضي للتدمير في اي وقت ؟ بغض النظر عن قضية التساوي هنا ، وان كلا الجانبين يملكان نفس القدرة الصاروخية ــ بغض النظر عن ذلك ــ فان وجود اجهزة قذف قوية جدا ، ليس هو

العامل الحاسم في الامر ، لان التقنية الستراتيجية — كما تقدم — تعتمد اليوم فيما تعتمد عليه — على اجهزة مضادة ، تعترض القذائف المرسلة — وهي لما تزل في الجو ، وتحولها عن اهدافها ، وفي عدة احيان ، تدمرها كليا ، فلا تصل الى هدفها بالمرة ! ولهذا ، فان العمل على جعل اراضي « العدو » مكشوفة الاهداف ، وواقعة تحت طائلة الصواريخ الموجهة اليها — يتوقف اول ما يتوقف — على النجاح في مراوغة الصواريخ المضادة ، التي تعترض الرؤوس النووية المرسلة ، او القضاء على هذه الصواريخ المضادة ، وابطال مفعولها تماما او اللجوء الى اساليب اخرى في استهداف اراضي « العدو » ؛ وواضح ان اساليب الاستهداف هذه ، لاتزداد الا تكاثرا وتنوعا ! وبالتبعية لذلك ، تتزايد التعقيدات التقنية والستراتيجية ، التي تتصل بها على نحو ، لاتظهر له نهاية حاسمة ، ما دام التسابق الستراتيجي ، قائما بهذه الصورة التي هو موجود عليها في عالمنا الراهن .

* * *

الحلقة المفرغة التي يدور فيها السباق الستراتيجي هذا ، لا يمكن ان تؤدي الى شيء ؛ فهناك سلسلة من التناقضات ، يبطل بعضها مفعول بعض، ويبقى المتسابقون بعد وصولهم الى آخر حلقة من هذه السلسلة وكأنهم متوقفون عند نقطة الصفر ؛ انه نوع من العبث ، او اللامعقول تؤدي اليه الاوضاع الستراتيجية العالمية الحاضرة ؛ وليس للحلول العسكرية بطبيعة الحال ، اية طاقة على جعل اللامعقول هذا اقل مما هو عليه الآن ، وانما هناك الحل العقلي فقط ، هو الذي يمكن ان يؤدي الى آفاق ايجابية في هذا المضمار . لكن القضية الكبرى التي ستبقى قائمة لامد طويل هي : كيف يتصور وجود هذا الحل العقلي، بالنظر لمشاكل العالم النفسية ، والاقتصادية ، والسياسية وغيرها ؟ والى اي مدى ، يستطيع ان يكون ذا جدوى حقيقية وذات فاعلية في تحديد امتداد حالة العبث واللامعقول ؟ وماذا يصير اليه الامر في الاجل البعيد ، اذا استمر العقل قاصرا عن استدراك هذه الاحوال العشوائية في العالم ، والسيطرة عليها بنسب تقل او تكثر ؟

تلك اسئلة مهمة ، لكن اهم منها ، ان تتكشف اجابة الانسان عليها ، عن حقائق ايجابية وعملية .

سلا — المهدي البرجالي

مقالة السوء

ومن دعا الناس الى ذمه
ذموه بالحق وبالباطل

مقالة السوء الى اهلها
اسرع من منحدر سائل

قصة العدد



لم يكن للفتيان ما يفعلونه بعد خروجهم من المدارس في المساء ، سوى ان يتعشوا ، ويخرجوا الى الشوارع يذرعونها ، ذهابا وايابا ، هذا اذا كان الفصل ليس فصل شتاء ، اما اذا كان شتاء كهذه الايام ، فانهم يقصدون المسجد الاعظم توا ، لاداء صلاة المغرب وتلاوة ما تيسر من القران ، وقبل ذلك وبعده ، يتفرغون للاحاديث في احد جوانب المسجد القصية ، حرصا على طمأنينة المتعبدين وتواصل خشوعهم بين يدي ربهم .

كانت احاديث الفتيان تدور حول شؤون المدارس او شؤون العائلات ، وفي اكثر الاحيان كانت احاديثهم تتجه نحو اخبار الحرب واهوالها، اخبار انتصار الالمان على الفرنسيين منذ المعارك الاولى ، ثم انتصارات امريكا بعد ذلك ، امريكا التي جاءت من اقصى الارض بعددها الكبير وسلاحها الوفير ...

وهكذا يروحون بمعلوماتهم البسيطة يتجادلون في السياسة ، وهم وان كانوا مجمعين على التشفي من فرنسا التي تستعمر بلادهم ، فهم يختلفون فيما بينهم على الاعجاب بالمانيا العظيمة وبامريكا موطن الحرية ...
كانوا تلامذة بالاقسام الثانوية لذلك فهم يدركون الفرق بين الامتين من حيث اصالة الحضارة وعراقة المجد ، او من حيث اتساع الرقعة ووفرة الثراء . انهم تلقوا معلومات ضافية حول هاتين الامتين على ايدي اساتذتهم الفرنسيين ، هؤلاء الاساتذة الذين يثيرون عجبهم دائما بانهم يتغافلون عن مزايا الامم ، ولكنهم في نفس الوقت يلحون على عيوب معروفة عنها ، وما ذلك الا لتبقى فرنسا امة ممتازة وفوق الجميع .

حاولوا بافكارهم الناشئة ان يحللوا هذه العقلية في الفرنسيين ، فمع ان الاساتذة الفرنسيين مثقفون ، وعارفون باقدار الامم واعرف بانفسهم ، فهم يغلطون او يغالطون ... وعلل ذلك بعض الفتيان بحب الفرنسيين الخارق لوطنهم ، وعلله بعضهم بتعصبهم لكل ما هو فرنسي ، وقال اخر : ان الفرنسي معجب بنفسه الى درجة الغرور ، وهو كمواطن يقبل العيب في ذاته ، لكنه لا يتحمل العيب في الامة الفرنسية مطلقا ... وبعد هذه المقارنة تشابك الحديث في الاستشهاد بتصرفات واقوال الاساتذة ...

وانتفض من بينهم الفتى (احمد بنعبود) قائلا بلهجة مشوبة بلكنة وبصوت عامر بالحدة :

ــ وانتم ايها الصعاليك بمن تراكم معجبين ؟ بماذا يمكنكم ان تفخروا ؟ باستعمار بلادكم ؟ بتأخر صناعتكم وركود آدابكم ... ؟ قولوا لي ؟ .

علق احد الاصدقاء في سذاجة :

ــ لقد استعمرونا وظلمونا ! لقد كادت المانيا تحررنا ، ولكن الحظ لم يكن معنا . وها هي امة الحرية (امريكا) قد جاءت ، فلا بد انها ستحررنا ...

استوى احمد جالسا ، ورفع غطاء الراس عن جبهته ثم اخرج كفه من شق جلبابه الايمن ، ووضع سبابته على صدغه ، وحركها ليقول لهذا المتحدث :

ــ ان من يفكر هكذا واهم ، لن تحررنا المانيا ولن تحررنا حتى امريكا ... لن تحررنا الا السواعد

المغربية والدماء المغربية ، لا بد من الشهداء ولا بد من السجون ... والا (قوموا لتناموا) !

سكت احمد المتحمس ، فنهض ثالث واقفا وقال :

— ابي اوصاني الا اتكلم في السياسة !
عندئذ رفع احمد راسه مشيرا بذراعه :

— رح الى جهنم انت وابوك ، عليكما اللعنة . قل لابيك اننا سنستقل رغم انفه ، ورغم انوف اسياده المستعمرين ، فليحذر ان يجيئنا يوما مستغفرا نادما متملقا سنقتله ، سنقتله (يلعن بوه) !

واعاد احمد غطاء راسه الى محله ، ودس راحتيه في شقي جلبابه الجانبيين ، اتكماشا واستدفاء من برد شهر يناير القارس ، هذا البرد الذي كانت تزيد في شدته افنية المسجد الواسعة القليلة الضوء ، والتي تسمع منها رغم البعد اصداء اصطخاب الامواج على ساحل المحيط الاطلسي ، الذي لا يبعد عن المسجد الا ببضع مئات الامتار .

واستأنف الفتيان احاديثهم في مواضيع مختلفة لا رابط بينها ، واستسلم احمد متكئا لبعض الراحة في انتظار ان يثير احد المتحدثين موضوعا وطنيا يعجبه فيتدخل ، لقد كانت نفس الفتى اكبر من سنه ، ان لدروس اخيه الفقيه المحدث بهذا المسجد اثرا بليغا في ايقاد عاطفته الاسلامية وتقوية حماسه الوطني ، كما ان لاحاديث المجالس التي يعقدها اخوه الطالب بفرنسا اثرا بليغا كذلك في توجيه معتقداته الوطنية ورسوخها ، هذا بالاضافة الى انه يستوعب دروس التاريخ استيعابا ويستخرج منها العبرة ... !

في مدرسته الثانوية كان شعلة ، اذ يتصدى في ذكاء ووعي لمناقشة الاساتذة الاجانب ومحاسبتهم ، لقد كان البعض من هؤلاء الاساتذة يحاول المساس مباشرة او من طرف خفي بتاريخ العرب وماضيهم ، او بتاريخ المغرب وامجاده ، فيتصدى له احمد بشجاعة فيبهره ، ويلزمه الاعتذار على ما صدر منه ، والا فان احمد يعود فيتزعم عملية مقاطعة الاستاذ المتهجم ومقاومته ، في تضامن تام شامل مع اخوانه

انه لولا هذا الجو المدرسي السعيد المليء بالوعي والغيرة على الوطن العزيز وامجاده لما اطاق الحياة في هذا المغرب المنكوب ، الذي يقدر ان مصيبة الاستعمار فيه قد تطول ، وستترتب عنها اهوال والام ... فليس من المتوقع ان يخرج هؤلاء الذين يبنون العمارات الشاهقة والدارات الانيقة ، وياتون باولادهم وزوجاتهم كل عام مئات والافا ، الى المغرب بلاد الخصب والرخاء والشمس الدافئة ، والشواطيء الفسيحة والجبال المثلوجة ... ليس من المتوقع ان يخرجوا من جنة النعيم ، ويعودوا الى مناطق الزمهرير ! ما ذا يمنع هؤلاء من ان يبقوا وهم يحكمون البلاد حكما مباشرا تاملا ، ويضربون عليها نطاقا خانقا محكما ، فالمدن والقرى والمداشر كلها معروفة لديهم ، والدروب مراقبة ، والافراد النابهون معروفون ايضا ومتتبعون حيثما تحركوا ، وهكذا ، فكل غيور وطني يوجد في حصار ، وادنى انتفاضة منه تؤدي به الى الهلاك ...

دوما تردد هذه الافكار في ذهن الفتى البطل ، فلا يسعه الا ان يتنهد ويسكت متحسرا ، ومن اجل هذا قامت في نفسه عقيدة جازمة ، وهي ان كل من يتحدث في غير الشؤون الوطنية حديثه عبث ولا اهمية له .

وما درى احمد انه في هذا المساء البارد العابس سيحقق اعظم امنيات حياته ، وانه ابتداء منه سينظر الى الدنيا نظرة جديدة ...

ها قد وقف على راس الفتيان شاب متعجل من امره ، واثق مما يقول :

« لقد حقق المغاربة بفضل الله امال الشباب الغيورين على مستقبل وطنهم ، اليوم اجتمعت طائفة من رجالنا الوطنيين وكتبوا عريضة يطالبون فيها باستقلال الوطن ، ووقعوا عليها هم الستة والستون ، وبعثوا بالعرائض الى جلالة الملك والحاكم الفرنسي (المقيم العام) الان استعدوا للاستقلال ، او للموت في سبيل الاستقـــلال !

تفحص احمد الشاب المتكلم جيدا فلمس الصدق فيما يقول ، ان الموضوع مقدس لا يحتمل الهزل ، فهيا الى العمل ... وقام احمد للعمل من فوره مستعدا ، من حيث رفع الغطاء عن رأسه كله ، وكشف عن رجله المقرورة ، واخذ يثني اكمامه ثم وقف وقال للشاب ما العمل الان ؟

ـــ الاجتماع بعد العشاء بمنزل السيد ...

وقبل ان يولي الشاب الداعية ظهره لعلع صوت المؤذن مكبرا مهللا داعيا الى الفلاح ... وكانت مقاطع الآذان المرددة فى اعالي السماء بذلك الصوت العميق الرنان تملأ جوانح الشاب فتهز قلبه هزا ، ولذا لم يتمالك من بعد وضوئه في النافورة العظمى التي تتوسط باحة المسجد والتي تتدفق منها مياه غزيرة دفاقة ... لم يتمالك من ان يرفع طرفه الى السماء التي يخفف من ظلماتها قمر لامع ونجوم براقة ساطعة النور

ثم كانت الصلاة من الفتى غاية في الخشوع والابتهال الى الله الملهم الى الخير والصواب .

واقبل احمد وزملاؤه على مكان الاجتماع ، فاذا به عامر بالشباب ، وتتردد في جنباته الهتافات الحماسية، بينما خيرة الكهول والشيوخ جالسون في استبشار وشدة عزم ... وانبرى من بين الكهول شخصية يعرفها احمد ويثق بها كثيرا فاعطت لأحمد وللحاضرين معه بيانات ضافية عن مراحل الحركة الوطنية والجهود التي بذلت من اجل ايقاظ الوعي ، ثم بين الظروف الوطنية والدولية التي اوجبت اتخاذ هذه الخطوة التاريخية الكبرى ... واكد الرجل ان الهدف الان مهما طال الزمن هو الاستقلال !

وابتهج احمد ابتهاجا لم يبتهج مثله قط ، واسر في نفسه حمدا صادقا لله .. ثم اخذ يحادث نفسه :

« المغاربة اليوم عرفوا الطريق الاصوب ، المشكلة الان اصبحت موجودة ، وهي ككل المشاكل لا بد لها من حل في الزمن القريب او البعيد ... المهم ان الميدان لم يبق فارغا ، لقد عرف الاعداء ان الميدان اصبح مليئا من حولهم ، حقا انها لخطوة جبارة وعظيمة وبعيدة الاثر ، وسيكون لها ما بعدها ...

رجع احمد الى بيته وبات ليلة من اسعد الليالي ، وكان الفراش ـ كما يريد ـ دائما بسيطا ، لكنه الليلة بمثابة بساط نوراني محمول على اكتاف الملائكة تطوف به انحاء السماء ، من حيث تسمع انغام سامية قدسية ليس لها نظير من بين انغام الارض ، اثرها في النفس عميق بدرجة يخشع معها القلب وتسيل الدموع ... ووعى احمد اكثر مما رأى ومما سمع ، اثناء احلامه السعيدة هذه ، الا انه عند الصباح استيقظ وتطلع الى السماء الغائمة واذا به يحس ضيقا خفيفا يعمر قلبه ، فلكأنه يتوقع اشياء لا تخلو من عسر ومشقة ... وبما انه تعود الا يستسلم للأوهام فقد قام الى واجبه المدرسي المعتاد .

وفي جو المدرسة الفني كل شيء غير عادي ، فالاساتذة الاجانب باجمعهم يتوارون في الزوايا حانقين ومدير المدرسة الثانوية الجبار يذرع الاروقة بخطواته العسكرية ، وبوده لو يشد على بعض الرقاب ويخنقها وتوارى الحراس والمنظفون بدورهم ليعقدوا اجتماعات مصغرة يتبادلون فيها الحديث ويقيد بعضهم بعضا ... اما التلاميذ ـ وخصوصا الكبار منهم ـ فقد سرت بينهم موجة من الاغتباط والارتياح ، عبروا عنها بضحكاتهم الرنانة القوية ، وبمجرد ما اقبل عليهم احمد اخذوه بالاحضان مهنئين، لكأنه احد الذين اخرجوا الفكرة الى الوجود! ومرت بعض الايام عادية ، فالناس يمارسون اعمالهم في اطمئنان ، والطلبة يتابعون دراستهم ، والمتعبدون يترددون على مساجدهم ، واهل السمر ولاعبو الورق يمضون اوقاتا طيبة ممتعة كل ليلة قبل الذهاب الى الفراش وفي نفس الوقت كانت تعقد اجتماعات وطنية صاخبة ، يتردد فيها الهتاف والانشاد، وتلقى المحاضرات والبيانات كما يتوافد عليها بعض الرجال الذين حرروا مطالب الاستقلال ووقعوها بشجاعة .

الا انه ذات صباح تغير كل شيء ! اذ تعرقلت الاعمال ، وتوقفت الدروس ، وسرى هياج بين الناس ، واتجه الكثيرون الى المساجد واخذوا يتلون القرآن ويطلبون اللطيف الخبير ان يرفع الغمة عن المخلصين الذين ادخلهم الفرنسيون السجون ...

وفي هذا الوقت كان احمد بنعبود يتجول في وسط المسجد مختالا تياها بين الجموع الجالسة على الارض في ازدحام ، يحسبه الناظر في ليلة عمره يستعجل الساعات ليزف الى عروسه التي طال شوقه اليها وحنينه ، لقد كان يبش في الوجوه ، ويوسع للناس في المجلس، ويناولهم المصاحف او يتناولها منهم ، ويسرع لارواء عطشهم اذا عطشوا ... ويؤكد بعض الناس انهم راوه في جلال والده الصوفي رحمه الله ونورانيته ، وانهم لم يكونوا يستطيعون التحديق في وجهه الاسمر النحيل .. لقد كان مهيب الطلعة !

ومن باب المسجد المواجه للناحية الشرقية خرجت الجموع دفعة بعد اخرى ، نازلة من العقبة المعروفة بـ (عقبة المدرسة) ، وسارت في تزاحم عظيم تقطع الدروب الضيقة في اتجاه ساحة المدينة الكبرى ، ساحة (سيدي بوحاجة) ، تتردد فوق رؤوسها زغاريد النساء القوية ، مباركة هذا العزم القوي وهذه الارادة الطيبة نحو الوطن وبنيه المخلصين ... في المقدمة كان الفتى احمد مرفوعا على الاكتاف ، يهتف بحياة الوطن فتردد الجموع من ورائه هتافات باصوات قوية ما اشبهها بهدير الرعود .

لم تكن المسافة طويلة بين المسجد والساحة المقصودة ، وكان الطريق امام السائرين بجد وعزم فارغة ، غير ان احد الشرطيين الفرنسيين - من الذين عرفوا عند اهل البلد بالحقد الشديد والكراهية التامة للمواطنين - جاء على دراجته مهددا متوعدا ، وحاول ان يصد الناس وحده ، ومد يمينه الى جنبه محاولا تناول السلاح ، غير انه للفور عدل عن ذلك ، لقد وجد القوم غير القوم ، والموقف ليس من نوع المواقف التي اعتاد ان يصول فيها ويجول ، ولذلك قفل راجعا بدراجته ، مفلتا من الجموع التي كادت تمحقه .

ورغم انه فر ، فقد تعقبته جماعة من المتظاهرين كان من بينهم الفتى احمد ... ان الشرطي (دافيد) كان مثالا للجبروت والتعسف والاعتداء على المواطنين ، وخصوصا الشبان منهم ، لطالما اضطهدهم بعنف وقسوة وهم واقفون صفوفا متراكمة في انتظار توزيع المؤن بالبطائق خلال ايام الحرب هذه ... على هذا ، كانت المناسبة مواتية ليؤدي هذا الحقود ثمن حقده ، وكان الجزاء ان تلقى طعنات من سكين حادة ، مزقت امعاءه ، ونهشت كبده ، وتركته جيفة على عرض الطريق .

ومن حوله - مع كامل الحسرة - سقط بعض الشهداء كاد ان يكون من بينهم الفتى الجريء احمد ، ولكنه افلت ورصاص الشرطة يلاحقه ، وعرفه احد رجال الشرطة وهو يفر من حول الجثة فبادر الى وضع اسمه في القائمة ...

ومن الساحة التي انقلبت الى مجزرة رجع احمد الى المسجد ، حيث كان تجهيز الشهداء الى مرقدهم الاخير ، وهنا كان يعمل مع العاملين ، ويتلو مع القارئين ، ويبكي مع الباكين ، ويرثي مع الراثين ، وبمجرد ما اودع الشهداء قبورهم ، قفل راجعا الى مسكنه ، متمهلا متثاقلا من شدة العياء ، يسود من حوله - وهو سائر - هدوء شامل ، ولا يؤنسه سوى قمر شاحب حزين ، متجهم في سمائه لما اصاب الامة من الاهوال العظيمة .

ولم يكن احمد يدري ان رقدته هذه على الفراش هي رقدة اخيرة ، وانه لن ينعم بعد بليونة الوسادة والفراش ، ولا بدفء الحجرة والغطاء ... لقد نام ملء جفنيه وما استيقظ الا على اثر ضجيج اطار النوم من عينيه وافزعه . ذلك ان قوة من رجال الشرطة جاءت تطوق المنزل تطويقا محكما من الارض والسطوح ، فتقدم عميدها (لورانجي) الجبار ليلقي القبض على الفتى البطل ، واضعا على معصمه النحيل قيودا ثقيلة من الحديد ، نهاية السلسلة منها في يده هو نفسه ، ثم ساروا بالفتى الى العذاب المهين ...

وهال المواطنين في (سلا) خبر القبض على الشريف بنعبود ، وتشاءموا من مصيره ، فالكيفية التي قبض عليه بها تختلف عن الكيفية التي قبض بها على الاخرين انه كان يكتفي بارسال مقدم الحي واحد اعوان (الباشا) حاكم البلد مع احد رجال الشرطة لياتوا بالمتهم ... اما بنعبود فقد كان القبض عليه عظيما عظمة محبته لوطنه .

وتسرب الياس الى القلوب ، وهاجت العواطف . وبكى الاهل والاصدقاء والمعارف لما رأوا البطل احمد بنعبود يساق من مسكنه ، بقصد التفتيش ، في حالة يرثى لها ، فقد كان منتفخ العينين مخدوش الخدين ، مورم الرأس ، محطم الاعضاء تكاد جروحه تتفجر دما وصديدا ، وكانت ثيابه ممزقة لا تكاد تستره ، ومن حوله لفيف من الجنود الغلاظ الشداد ، اثنان يضعان فوهتي رشاشيهما على ظهر الفتى ، وعميد الشرطة قابض على طرف السلسلة الغليظة بيد ، واليد الاخرى كانت تقبض على المسدس الأتوماتيكي الفتاك ، وعندئذ ادرك الجميع ان مصير الفتى ليس الى الخير !

وبقيت القلوب واجفة والاكباد متقطعة والاعين دامعة على شاب من خيرة الشباب يعيش تحت سياط

العذاب . فلما كان يوم عيد المولد النبوي الشريف ، والناس في عيد لا كالاعياد ، تسودهم كآبة وحسرة على الارواح الضائعة والاسر المنكوبة اذا بخبر هائل يتسرب الى المدينة فيزيد في آلامها وأحزانها ..

ان احدا لم يكن يعرف ان الشاب قد وقف امام محكمة عسكرية وخرج منها محكوما عليه بالاعدام ، متهما بقتل الشرطي (دافيد) ، ولم يبلغ الناس الموقف الرائع الذي وقفه الفتى الابي امام المحكمة العسكرية وهو في قفص الاتهام ، ويصوب نيران حماسته وشجاعته وايمانه بحق وطنه الى ضمائر القضاة العسكريين ، لقد افحمهم بقوة حجته وفصيح عباراته الفرنسية ، وقوة حججه التي كان يستمدها من تاريخ فرنسا المجيد بالذات .. لقد كاد ان يفحمهم ، اذ لا اشد على الفرنسي المثقف من ان تقرع حجته بالحجة ، وان يقذف باللفظ الانيق البليغ ، مع الذكاء والفطنة في التحاور والجدال . وكل ذلك كان يتوفر عليه الشاب النابغة وهو يواجه الموت ...

اعجبت هيأة القضاء بشخصية الشاب ، وبذكائه الوقاد ، وغيرته الوطنية الواعية .. ومن اجل ذلك قررت اقبار هذه الموهبة وهذه العبقرية الى الابد . ان فتى على هذا المستوى من الوعي لا بد وان يصبح في مستقبله القريب او البعيد شيئا محيرا لحكامه ، مقلقا لاستقرار فرنسا بالمغرب ، لا بد اذا من طمس هذه العبقرية الصغيرة قبل ان يستفحل امرها . ولم يكن في تقارير الملف الذي يدور حول نشاط الشاب بين زملائه وحول مكانة اخوي الشاب الغيورين ما يفتح اي مجال للتخفيف او التماس اي سبب من اسباب الرحمة والعطف ولذلك تقرر الحكم بالاعدام نهائيا وبلا تراجع .

لازم البطل الشاب محبسه الضيق وحيدا مع حسرات نفسه وهيجان خواطره وتمزقات قلبه ، انه لا يأسف من دنياه التي سيفارقها على شيء سوى وطنه الذي يعتقد ان احتلاله سيطول ، وان قومه سيبقون مستعمرين مقهورين لا ذكر لهم بين الامم، امجادهم مطمورة وصنائعهم بسيطة بائرة وآدابهم تكاد تكون غير مذكورة . و .. و .. و .. ويعود فيدفع ظلمات اليأس في هذا المكان المظلم بتلاوة ما تيسر من القران الكريم ، ولما يسكت عن التلاوة تقوم في نفسه هواجس اليأس - مرة اخرى - تخزه !

وتمضي ايام الزنزانة - بانهرها ولياليها وساعاتها ودقائقها بل وبثوانيها - ثقيلة على النفس ، فيكاد الشاب ان يتقطع من الحسرة ... الا ان اقداما ثقيلة بغيضه من وراء القضبان كانت تؤنسه بعض الشيء ، عندئذ يعود الى اليقين من ان وراء ركوده وتوقفه حياة بالخارج فيها حركة ولها استمرار ، فينتعش الفؤاد ببصيص من الامل .

ولكن هذا الامل تبخر ذات ليلة عند الفجر ، لقد تناهى الى سمعه والسكون من حوله شامل ، لا يسمع معه الا صدى اصطخاب امواج المحيط الجبار .. لقد تناهى الى سمعه صوت شاب يتهرب جزعا مضطربا وهو يقول : - حرام عليكم ، حرام عليكم ان تقتلونا في يوم العيد ، ستقطعون اكباد امهاتنا وآبائنا ، حرام عليكم ، اليس من حقنا ان نحب وطننا مثل ما تحبون انتم وطنكم

وسمع صراعا بين الشاب الصارخ واصحاب الاقدام الثقيلة ، انتهى بلطمات عنيفة تبعتها صلصلة السلاسل الثقيلة واختفى الضجيج شيئا فشيئا ثم هدأت الحركة .. هدأت الحركة بشكل رهيب !

وما هي الا هنيهة حتى اخذت الاقدام الثقيلة تقترب منه ، وكانت كثيرة وشديدة الوقع على الارض ، وشديدة الوقع - ايضا - على قلب الشاب الواهي ، ومرت على العينين غمامة سوداء جعلته لا يبصر الا الظلام ، وخار الجسد من الحيرة والحسرة على مغادرة حياة لم ير فيها ما يبهجه ، وكاد يبكي ..

لولا ان الباب فتح ، ودخل عليه جماعة من الجنود الاشداء الصناديد ، ولم يكن ليرضى بالاهانة فوقف ، وتقدم كبيرهم ووضع كفه على كتفه وطلب اليه ان يغادر الحجرة ، وفي ساحة السجن اعيد على سمعه الحكم بينما جنود مسلحون قبالته يتهيأون لقضاء مهمة خطيرة ، مهمة تنحصر في ازهاق الارواح البشرية ، ومن جملتها روح هذا الفتى الشهيد رحمه الله

الرباط - محمد بن احمد اشماعو

نشاط وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية

اتصل مندوب الاذاعة والتلفزيون بمناسبة شهر رمضان المعظم بمعالي وزير الاوقاف والشؤون الاسلامية الاستاذ الحاج احمد بركاش ، واجرى معه استجوابا هاما يتعلق بنشاط وزارته .

ويسرنا ان نثبت النص الكامل لهذا الاستجواب.

السؤال الاول :

معالي الوزير ، جرت عادة وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية ان تهيء برامج علمية ودينية بمناسبة شهر رمضان المعظم .

فما هي البرامج التي اعددتموها لهذا الشهر المبارك ؟

— غير خاف عنكم ان الله جلت حكمته خص شهر رمضان الكريم بروحانية كبرى وقدسية عليا يتأثر بها المؤمنون فيستعدوا لتلقي الهدى والرشاد والقيام باعمال الخير والبر والاحسان وبذلك يزدادون ايمانا مع ايمانهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله .

ووزارة الاوقاف تغتنم هذه الفرصة الكريمة فرصة حلول شهر رمضان المعظم من كل سنة فتنظم حملة واسعة النطاق للوعظ والارشاد والتوجيه الصحيح والتوعية الدينية وتعريف المواطنين بمزايا دينهم الحنيف وفضائله الجمة وتعاليمه الرشيدة التي من شانها ان طبقت احسن تطبيق فى مجتمعنا ان تجعل منه مجتمعا صالحا طاهرا نافعا يتألف من مواطنين صالحين نافعين عاملين لخير دينهم ودنياهم.

وفى هذه السنة اعددنا برنامجا محددا وموحدا للدروس والمحاضرات التي ستلقى بالمساجد طيلة ايام هذا الشهر المبارك واخترنا من بين المواضيع الدينية مواضيع تتناول العقائد التي اوجب الله على المسلم اعتمادها كعقيدة التوحيد وما يجب لله من صفات الكمال والجلال والعبادات التي فرض سبحانه عليهم القيام بها واداءها كالصلاة ومدى تأثيرها وتقويمها للاخلاق والصيام وفوائده الكثيرة من الوجهة الصحية والاخلاقية والتربوية كما راعينا فى وضع هذا البرنامج تقويم الاخلاق التي بعث النبي سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم لتتميمها فادرجنا فيه كثيرا من هذه الاخلاق لتذكير المواطنين بها كالصدق ووجوب المحافظة على الامانة وطاعة الوالدين وحسن المعاشرة بين الزوجين وضرورة السعي والعمل وما الى ذلك من الاخلاق الضرورية لتكوين مجتمع سليم .

وقد اكدنا للسادة العلماء الذين سيضطلعون بهذه المهمة السامية ان يصدروا فى جميع محاضراتهم هذه وتوجيهاتهم عن كتاب الله عز وجل وهدي نبيه الكريم الذي اوصى امته (ص) فى آخر عهده بالحياة بالتمسك بهما حتى لا تضل ولا تتشعب عليها الآراء .

كما ان الوزارة ستنتدب ثلة من الاساتذة الافاضل لالقاء محاضرات دينية على شاشة التلفزة والاذاعة لتعم الفائدة حتى اولئك الذين لا تسمح لهم ظروف عملهم بالحضور الى المساجد ساعة القاء الدروس الدينية بها .

السؤال الثاني :

معالي الوزير ، ان بلادنا تمتاز بمناسبة شهر رمضان المعظم بتلك الدروس القيمة التي تلقى امام حضرة صاحب الجلالة بالضريح الحسني .

فهل فكرتم معاليكم فى استقدام علماء اجلة من الشرق لهذه السنة ؟

— نعم ان بلادنا ولله المنة والحمد ، تمتاز كما قلتم بهذه الدروس القيمة التي تلقى بحضرة صاحب الجلالة والمهابة مولانا امير المؤمنين الحسن الثاني نصره الله ، ولا بدع فى ذلك ، فان هذا البلد الامين عرف منذ اشرقت عليه شمس الهداية الاسلامية بسبقه الى كل خير وكل مكرمة وتمسكه بكل فضيلة ، وهذا هو الطابع القوي الذي يطبع الشخصية المغربية التي يحرص سيدنا المعتز بالله ويسعى كل مخلص غيور لان يظل المغرب محافظا عليها مهما تقدم فى معارج التطور والرقي العلمي والمادي .

وامير المؤمنين نصره الله وايده بحرصه على هذه المحاضرات ، وتخصيصه حفظه الله لجزء كبير من وقته الثمين للانصات اليها ، فانما يحيي بذلك سنة حسنة من سنن اسلافه المنعمين ويعطي من نفسه خير مثال لما يجب ان يكون عليه ابناء هذا الوطن من تخصيص جزء من اوقاتهم لتزكية نفوسهم وتنمية معلوماتهم من كتاب الله وهدى نبيه صلى الله عليه وسلم .

وبذلك اصبحت هذه الدروس تستأثر باهتمام الناس سواء فى داخل البلاد او خارجها ويتطلعون بفارغ الصبر اليها ، وهذه حسنة من حسنات الملك الصالح مولانا الحسن الثاني نصره الله وايده .

وفى هذا الشهر المبارك ــ وكما جرت العادة بذلك ــ وقع اختيار مولانا الامام على علماء اجلة من المشرق والمغرب لالقاء هذه المحاضرات بحضرته العالية بالله ، نخص بالذكر منهم فضيلة الشيخ عبد الله غوشة قاضي القضاة من الاردن بالقدس الشريف ، وكذلك مفتي الديار التونسية الفاضل ابن عاشور ، وغير هؤلاء ممن سيعلن عن اسماء حضراتهم فى الوقت المناسب ، وكذلك عن عناوين المحاضرات التي سيقومون بالقائها .

السؤال الثالث :

هل يمكن لمعاليكم ان تحدثونا عن النشاط الثقافي الذي تضطلع به وزارتكم ، ولاسيما فيما يتعلق ببعث التراث الاسلامي ، ونشر مفاخر الاسلام ؟!

ــ قامت وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية ، بناء على اوامر صادرة اليها فى هذا الشأن من حضرة مولانا صاحب الجلالة امير المؤمنين الحسن الثاني نصره الله، وفى نطاق بعث التراث الاسلامي ونشر مفاخر الاسلام، بطبع كتب نفيسة وذات فائدة كبرى نذكر منها على سبيل المثال :

كتاب الاعلام بحدود قواعد الاسلام ، لمفخرة العلماء الاعلام القاضي عياض .

والجزء الاول من كتاب ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة اعلام مذهب مالك ، للقاضي عياض ايضا

وكتاب الاربعون حديثا فى اصطناع المعروف للمنذري ، وغير ذلك .

والوزارة الآن بصدد طبع الجزء الاول من كتاب التمهيد لابن عبد البر ، وكذلك الجزء الثاني من كتاب ترتيب المدارك ، السالف الذكر .

وبما ان اولى الكتب بالعناية والنشر والطبع هو كتاب الله عز وجل ، حتى يكون متيسرا وفى متناول الجميع ، فقدصح العزم ان شاء الله على طبعه بخط مغربي جميل فى حلة قشيبة ، تليق بما لكتاب الله من مكانة سامية وحب مكين فى نفوس جميع المسلمين .

وقد اتخذت الترتيبات النهائية فى هذا الصدد وعما قريب ستشرق هذه الارض الطيبة بنور هذه الطبعة الجديدة للمصحف الشريف .

وما دمنا نتحدث عن كتاب الله الكريم ، فلا باس ان نشير الى ان المغاربة عرفوا منذ القدم بحفظهم للقرآن وعنايتهم بالقراءات السبع .

وحفاظا على هذه الميزة التي خص الله بها المغاربة، تشرف هذه الوزارة على اثنين وثلاثين كتابا نموذجيا لتعليم كتاب الله عز وجل حفظا وتجويدا ، بالاضافةالى مبادىء العلوم الدينية والعربية ، كما خصصت مدرستين لتعليم القراءات السبعواحدة بطنجة واخرى بسيدي الزوين .

السؤال الرابع :

معالي الوزير نلاحظ بمزيد الغبطة والارتياح انكم تقومون بتدشين عدة مساجد فى مختلف انحاء البلاد، فهل لكم ان تتحدثوا لنا ولو بايجاز عن برنامج وزارتكم فى هذا الصدد ؟

ــ لا يخفى عنكم ان المساجد من الدعائم الكبرى التي يقوم عليها المجتمع المغربي المتمسك باهداب دينه الحنيف .

ولذلك فان ما تقوم به وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية فى هذا الميدان ، تنفيذا لمخطط دقيق وضعه لها صاحب الجلالة نصره الله انما هو فى الحقيقة ، استجابة لرغبة ملحة من طرف المواطنين فى الاستزادة من عدد المساجد حتى يجدوا فى متناولهم وقريبا منهم بيوتا لله يزكون فيها نفوسهم ، ويؤدون بها شعائرهم ، خصوصا بعد ان اتسع العمران بالمدن ، فاستحدثت احياء جديدة ، وكذلك فى الاحياء التي كانت فيما سبق خاصة بسكنى الاوربيين واصبحت اليوم آهلة بالسكان المسلمين ، فتعين تشييد المساجد بها ، وكذلك بالقرى الصغيرة التي كانت لا تتوفر على مساجد لسكانها المسلمين .

يضاف الى هذا اننا غداة الاستقلال وجدنا انفسنا امام خطة كانت مدبرة الا وهي حرمان المناطق التي كانت تعرف عندهم بمناطق العرف من المساجد ، فشمرت هذه الوزارة على ساق الجد لتلافي هذا النقص ، وشيدت عدة مساجد فى هذه المناطق التي كانت محرومة منها فيما قبل ، نخص بالذكر منها بايفران وولماس والخميسات وتيفلت وتيداس ، وستفتح قريبا ان شاء الله مساجد اخرى شيدتها هذه الوزارة بكل من خنيفرة والحاجب وآزرو ، وسنواصل بحول الله وقوته عملنا هذا حتى تزدهر جميع انحاء البلاد بالمساجد ، لا فرق بين حواضرها وبواديها مدنها وقراها سهولها وجبالها حتى ينعم المواطنون اينما وجدوا بالبيوت التي يجدون فيها راحتهم ويعبدون بها ربهم فى ظل مولانا الامام الذي يحرص حفظه الله على ان يوفر لابناء شعبه متطلباتهم المادية والروحية وما يحقق سعادتهم دينا ودنيا .



* انعقد يوم 27 نونبر 1966 بفرع الكلية بفاس ، اجتماع شعبة الاداب العربية تحت رئاسة الاستاذ العميد

وبعد دراسة ما يتصل بشؤون فرع الكلية بفاس ، بدأت عملية انتخابات رئيس الشعبة .

وباقتراح من السيد العميد ، انتخب الاستاذ الدكتور أمجد الطرابلسي كرئيس للشعبة والاستاذ محمد بن تاويت كمقرر لها .

* صدر للاستاذ عبد الكريم غلاب ، كتابان بعنوان : « دفنا الماضي » و « الديمقراطية » .

* نشطت الحركة الفكرية في المغرب في شهر رمضان المعظم ، حيث القيت فيه ما يقرب من مائتي محاضرة في مختلف المدن المغربية ، وجلها في الميدان الاسلامي .

* اقامت جمعية الرابطة الفكرية بمراكش معرضا خاصا بصحافتنا الوطنية .

* وفد على المغرب من مختلف الاقطار الاسلامية علماء كبار بدعوة من وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية للمشاركة في الاحاديث الدينية التي تقام كل سنة في شهر رمضان بضريح مولاي الحسن برعاية صاحب الجلالة الحسن الثاني ، وهكذا شارك في هذه الاحاديث العلماء : عبد الرحيم عبد البر ، عبد الله غوشة ، محمد طه الساكت ، الفاضل بن عاشور ، ومن علماء المغرب السادة : الفاروقي الرحالي ، عبد الرحمان الدكالي ، الشيخ المكي الناصري ، علال الفاسي ، الورزازي ، عبد الوهاب بن المنصور .

* عين صاحب الجلالة الملك المعظم الاستاذ السيد عبد الوهاب بن منصور مشرفا على ضريح المغفور له محمد الخامس .

* يصدر للاستاذ الكبير السيد علال الفاسي كتاب يضم تدخلاته في مجلس البرلمان، وذلك في سلسلة « الجهاد الاكبر » .

* يشتغل الدكتور عبد الكريم الخطيبي ، والاستاذان محمد زنيبر والتويمي بن جلون في ترجمة مختارات من الادب المغربي المعاصر الى اللغة الفرنسية لاصدارها في كتاب في احدى دور النشر بفرنسا .

* القى الدكتور عبد العزيز سعيد ، رئيس ادارة العلاقات الدولية والاستاذ في الجامعة الاميركية بواشنطن محاضرة بمدرج كلية العلوم بالرباط بعنوان : « السياسة الاميركية تجاه الدول النامية » .

* تحل بالمغرب في منتصف شهر مايو القادم ، بعثة بولونية تضم عشرة أعضاء من اطباء وجغرافيين في احوال الطقس للقيام بدراسة انفصالات الجسم في الجبال الشامخة .

* وصل الدكتور ايميروف نائب المدير العام لمنظمة الصحة العالمية الى الرباط ، برفقة السيد لانوا رئيس فرع السكنى والمنظمة العالمية للصحة وتحادث السيد ايميروف مع المسؤولين المغاربة حول انشاء فرع الدراسات العليا الصحية وذلك بالمدرسة المحمدية للمهندسين .

* وشح صاحب الجلالة صدر الاستاذ عبد الله غوشة بوسام الكفاءة الفكرية .

* احيت دار الفكر عدة ندوات شعرية تخللتها قراءات شعرية ، ومسرحية نذكر منها القراءات الشعرية التي قام بها الاستاذ علي الصقلي ، والاستاذ عمر بهاء الدين الاميري .

❊ انعقد اجتماع عام « لجمعية تاريخ المغـرب » فى اوائل الشهر الماضي بالمركز الجامعي للبحث العلمي. وناقـش المجتمعون النقط الاتيـة :

— عـرض نشاط سـنـة 1966 .

— نشـاط سـنـة 1967 .

— القضايا المختلفة التي تهم حياة الجمعية .

❊ وزارة الخارجية تقيـم معرضـا فى كنـدا .

❊ « صفحات مغربيـة » كتاب عـن المـغرب ، اصدره فى بيروت الدكتور نقـولا زيـادة .

❊ افتتح بالرباط فى اوائل الشهر الماضي المؤتـمر الاقليمي لمكافحة حمى المستنقعات اشترك فيه مندوبون عن المغرب ، والجزائر ، وتونـس ، واسبـانيـا ، وعمل هذا المؤتمر على اعداد تقرير حول مقاومة هذا الداء فى هذه البلدان .

❊ قدم الاستاذ محمد بنحمودة مجموعـة هامـة من المخطوطات للخزانة الوطنية بالجزائر . تتكون من 50 مخطط و800 كتابا مطبوعا ، وجميعها تلقـي اضواء على حقبة جديدة من تاريخ الاسلام فى افريقيـا الـسـوداء ، ومـن بين المخطوطات كتب سعد حبيب بابا التنبكتي وعنوانـه : « تاريخ السودان » وهـو يتحدث عن تاريخ افريقيا الـسـوداء ، حتـى سنـة 1066 للهجرة ، الموافقة لسنة 1656 م كما يوجد من بين هذه المخطوطات « مدونـة » للقاضـي سحنون ، كتبت قبل تسعة قرون على الرق ، وبينها كذلك مؤلفات للاستاذ بن حمود احدها حول مرور الف سـنـة على ابن سيناء ، ودراسـة باللغة العربيـة عـن الشاعـر « دحو الرومه » السينغالي وكتابـا موجـزا حـول النمو العربي ، وقد توفي الاستاذ حمودة فى ابريـل الماضي . وكان استاذا للادب فى كلية الاداب بـاريس وفى تومبكتو ، وفى تونس ، وسـان لويس ، بالسينغـال واخيـرا بالجزائر .

❊ توفي بالقاهرة العالم الاثري الاستاذ محـرم كمـال وكيـل عـام مصلحـة الاثار .

❊ صدر ديـوان شعر للدكتور ملك عبد العزيز بعنوان (قال المسـاء) جمعت فيه قصائدها التي نظمت فيما بين 53 و 63 الديوان معرض جميل لكل معانـي الانسـانيـة ، والحب ، والجمـال .

❊ عثر فؤاد مسلم ، امين مكتبة المجمع العلمي المصـري اثناء جـرد محتويـات المكتبة علـى 40 الف كتاب على مراجع هامة يعود تاريخهـا الى سـنـة 1500م . اي بعد عصر الطباعة ب 100 سـنة .

من اهم المراجع التي عثر عليهـا كتاب عمـره 450 سـنـة ، يصف تاريخ حياة الولاة والملوك الذين حكموا مصر . وفيه وصف كامل للمملكة الحبشيـة والتركيـة ، ورحلات قام بها رحالة الى اواسـط افريقيـا ، وعن الملاحـة عند العـرب عثـر علـى اكثـر من 500 مجلـد .

❊ « الذيـن لا يبكـون » مجموعـة قصصيـة صدرت اخيـرا لعايدة مطرجي ادريس .

❊ صدر كتاب (ادب القصة فى سورية) للناقـد ابـن ذريـل .

❊ صدرت مجموعة شعريـة لسليمان العيسـي بعنـوان « اغنيـات صغيـرة » .

❊ ستصدر وزارة الثقافة كتاب (الطبقات) للمؤرخ العباسي خليفة بن خياط وكتاب (تاريخ خليفة بـن خياط) وقد حققه سهيل زكار المعيد فى قسم التاريخ فى جامعة دمشق ، وقد تمت طباعة (التاريخ) والجزء الاول من (الطبقـات) تحت الطبع .

❊ قرر المجلس الاعلى لرعاية الفنون والاداب والعلوم الاجتماعية فى سوريا توزيع 12 جائـزة تشجيعية على الشباب الموهوبيـن فى مجالات الفكر والفـن . ومن المقرر منح جائزة الدولة التقديرية فى هذا العام لاحد الاعلام كما منحها فى العام الماضي للعلامـة مصطفى الشهابي رئيس مجمع اللغـة العربيـة .

❊ تأسست فى الاردن اول دار للنشر والتوزيـع ومركزها فى القدس . وستكون باكورة انتاج الـدار مجموعة من المؤلفات لعدد من الادباء الاردنيين البارزين امثال : عيسى الناعوري ، محمـود سيف الديـن الايراني ، راضي صدوق ، احمد العنانـي ، فايـز صباغ . ومجموعة من الادباء الطالعين امـثال ليلـى كرنيـك ، ومحمد نمـر سرحان .

❊ الشاعر العراقي احمد الصافي النجفي يعـد للطبع ديوانه الجديد « شباب السبعيـن » .

* وافق المجمع العلمي العراقي على مساعدة طبع كتاب « الامثال البغدادية المقارنة » تأليف العميد عبد الرحمن التكريلي ويقع فى 200 صفحة تقريبا . ويبحث عن أصول الامثال البغدادية مع مقارنتها بأمثال شعبية فى 11 قطرا عربيا .

* صدر مؤخرا (ديوان ابي الحب) للشاعر العراقي الشيخ محسن ابو الحب .

* صدر مؤخرا عن (دار الثقافة) فى بيروت ديوان (ديك الجن) الذي حققه واعد تكملته الاستاذان الدكتور احمد مطلوب وعبد الله الجبوري . وقد سبق ان صدر فى سورية ديوان (ديك الجن الحمصي) جمعه وشرحه الاستاذان عبد المعين الملوحي ومحي الدين .

* صدر عن مطبعة الضاد فى حلب ديوان « حصاد الذكريات » لعبد الله يوركي حلاق ، تقديم محمد عبد الغني حسن .

* « اخبار العالم الاسلامي » جريدة اسبوعية جامعة صدرت عن ادارة الصحافة والنشر برابطة العالم الاسلامي بمكة ورئيس تحريرها فؤاد شاكر .

* «اسبوع العلم» مظاهرة ثقافية عاشتها دمشق والقيت خلالها اربعون محاضرة .

* صدرت عن منشورات ببيروت دراما شعرية فى 4 فصول عنوانها « غادة اتاليا » للشاعر السوري عدنان مردم بك .

* الاديب اللبناني يوسف محمد رضا ترجم مجموعة روائع الادب الفرنسي الكلاسيكي وهي 23 كتابا لكورنيي ، وراسين ، وموليير . وستظهر خلال ايام ، اول هذه المجموعة تمثيلية (السيد) لكورنيي عن دار الكتاب اللبناني ببيروت .

* عاد ميخائيل نعيمة الى لبنان من زيارة الاتحاد السوفياتي التي كانت بدعوة رسمية للاشتراك فى الاحتفال بذكرى اكبر شاعر أعطته روسيا منذ 800 هوشوتا روستافلي مؤلف ملحمة « الفارس فى جلدنمر » .

* مرت فى الشهر الماضي 25 سنة على وفاة الاديبة اللبنانية الشاعرة الآنسة (مي) .

* صدرت عن المعهد الثقافي الالماني فى طرابلس بلبنان كراس فى 16 صفحة عنوانه « نبذة عن تاريخ تاثير الطب العربي على اروبا » تاليف بيتر باخمان .

* صدر فى بيروت « غرام المتنبي » تاليف توفيق مفرج .

* صدر عن دار الكتاب الجديد فى بيروت « الزوجة الغنية » تاليف السيدة دنيا مروة . وهي مسرحية ذات ثلاثة فصول من صميم المجتمع سبكت فى حوار كله سخرية ونقد لاذع .

* « ايوب » مسرحية جديدة اصدرها الاستاذ ميخائيل نعيمة .

* « ريح الامس » ديوان الشاعرة السورية سلمى الحفاري الكزبري الذي صدر مؤخرا فى باريس نقله الى العربية الاديب السوري سعد صائب. ومما يذكر أن لسعد صائب عشر كتب تنتظر الدار التي تنشرها وهي : « شاعر معاصر » تقديم الدكتور شكري فيصل . « أضواء وظلال » تقديم الدكتور شكيب الجابري « ذوب الروح » تقديم شفيق جبري ؛ « قصائد من هولندا » تقديم أورخان ميسر ، « قصة الادب المعاصر » تقديم فؤاد الشايب ، « اجنحة الصمت » ، « سهاد فى الامس تفر » ، و « عباقرة الفن » .

* يصدر للمؤرخ العربي العراقي جعفر الخليلي كتابه الموسوعي « العقبات الاسلامية المقدسة » .

* منعت العراق دخول كتاب « الغرب والشرق الاوسط » الذي الفه برنار لويس مع مصادرة الاعداد الموجودة منه بعد أن تبين احتواؤه على دعاية اسرائيلية مسمومة .

* انتهى الاستاذ الدكتور مراد كامل من وضع كتاب سيقدمه للنشر عن اول اكاديمية للعلوم انشئت فى الاسلام ، وهي التي عرفت فى العصر العباسي باسم « بيت الحكمة » ببغداد ، وينسب انشاؤها الى

الخليفة العباسي هارون الرشيد ، ولكن ازدهارها تم في عهد ابنه المأمون .

* تقدم العميد عبد الرحمن التكريتي الجزء الاول من كتابه « الامثال البغدادية المقارنة » الى المطبعة ، وقد سبق للمجمع العلمي العراقي ان وافق على مساعدته المالية . ومن الجدير بالذكر ان المقارنة اجريت مع احد عشر قطرا عربيا هي : تونس ، والجزائر ، والسودان ، وسورية ، وفلسطين ، والكويت ، ولبنان ، وليبيا ، ومصر ، والمغرب ، ونجد.

* جوائز لينين الشهيرة في الاتحاد السوفياتي تقرر ان تمنح مرة كل سنتين كما تقرر انشاء جوائز جديدة سنوية باسم جوائز الدولة ، تحدد موعد توزيع جوائز لينين في ذكرى ميلاده .. وجوائز الدولة في ذكرى ثورة اكتوبر .

* صدرت في موسكو ترجمة روسية لمجموعة مختارات من دراسات الكاتب اللبناني جورج حنا بعنوان « ضجة في صف الفلسفة » وهو عنوان احد الكتب التي اصدرها بالعربية في بيروت منذ حوالي عشر سنوات. اشرف على اصدار الترجمة الاكاديمي كونستنتيوف . وجورج حنا طبيب اتجه الى دراسة الفلسفة واعتنق المادية العلمية والنظرية الماركسية في تفسير التاريخ كان يهتم كثيرا بالهجوم على الافكار الاستعمارية التي تبالغ فيما تسميه « روحانية الشرق » وذلك بهدف السيطرة عليه واستنزافه ماديا .

* انتهى مؤخرا المهرجان الدولي الرابع الخاص بالتربية بواسطة التلفزيون ، وقد جرى هذا المهرجان بمدينة (بادن) في سويسرة ، ولاول مرة اختص بتربية الكهول . وقد شارك فيه 14 بلدا من اوربا زيادة على كندا واليابان وساحل العاج والكونغو .

وقد نظمت هذا المهرجان هيئة الاذاعة السويسرية بطلب من الاتحاد الاوربي للاذاعات .

* ابلغ السيد عبد الرزاق رئيس وزراء ماليزيا الصحفيين في كوالالمبور ان بلاده ستنشىء قريبا مراكز لتعليم لغة الملايو اللغة الرسمية الوحيدة في معظم انحاء ماليزيا في شتنبر القادم وستحل محل اللغة الانجليزية .

* اصدرت جامعة متشجان بالولايات المتحدة الكراسة الخامسة من سلسلة « قراءات من العربية المعاصرة » وهي تضم جزأين : الاول ، ويجمع نصوصا منتقاة لثلاثين شاعرا عربيا . ويضم الجزء الثاني بعض الشروح والتعليقات ومقابلة الوزن العربي بالوزن اللاتيني .

* تقوم اليونسكو الان باعداد الجزء الثاني من الدليل للوثائق التربوية وهو موجه للمتخصصين اذ يقدم اليهم كافة المعلومات عن النظم التعليمية في كل انحاء العالم ، على اساس ما نشر من وثائق رسمية ، فيما بين عام 1960 وعام 1965 ، في جميع الدول الاعضاء .

ولقد ظهر الجزء الاول من هذا الدليل ، باللغة الانكليزية واللغة الفرنسية عام 1964 .

* تولت الشعبة الوطنية الفنلندية لليونسكو القيام بحملة اعلامية في مشاكل محو الامية من العالم. وشكلت لهذا الغرض لجنة خاصة قوامها مندوبون عن منظمات الشباب يقومون بتنسيق الجهود وجمع الاموال اللازمة ، في نطاق نظام بطاقات اليونسكو المعاونة . المتبادلة .

* سرقت ثمان لوحات يبلغ ثمنها مليونا ونصف مليون جنيه من متحف للفنون بحي داليتش في جنوب لندن ، ومن بين اللوحات الثماني ثلاث لوحات ، لرامبرانت . وقد استولى اللصوص على اللوحات بعد ان اقتحموا المتحف اثناء الليل ، ومجموعة متحف داليتش ، التي اكتشفت في القرن السابع عشر تشتهر بلوحاتها الهولندية .

* يقوم البروفسور ارثر آبري استاذ اللغة العربية في جامعة كمبردج ، واحد كبار المثقفين الاوربيين في مجال الدراسات الاسلامية ، باعداد دراسة تاريخية شاملة عن الخط والزخرفة في القرآن الكريم .

* نال عبد الرحمان الحاجي شهادة الدكتوراة في الادب العربي من جامعة كمبردج في انجلترا على اطروحته وموضوعها « العلاقات الدبلوماسية في

الاندلس مع اروبا الغربيـــة » ويعتبر الدكتور الحاجي لطول انصرافه الى دراسة الفترة الاموية فى الاندلس مرجعا فى تاريخها . وقد حقق ونشر مؤخرا اجزاء من كتـاب « المقتبس فى تاريخ الاندلس » لابي حيـــان القرطبـي .

※ سيصدر ديـوان جديد لنازك الملائكـة فى بيروت .

※ الامير رئيف ابى اللمع ، انتهى من وضـــع مذكراته باللغـة العربيـــة ، ويجمـــع فيها الفتــرة التي قضاها أمين سـر الجامعة ، ووزيـــر التربيـــة فى لبنـــان ، وسفيـــرا فى الخارج .

※ اصدر ميخائيل صوايا مجموعـة شعريـــة نشرتها له دار الريحاني ، وعنوانها « فوق الدروب » ومسرحيـــة « مجنـــون الاثار » .

اتحـــاد كتـاب المغـرب العربـــي

ينظـم مـوسمـا ثقـافيـا وفنيـا حـافـــلا

« اربعاء دار الفكر » يضـم فى مـواده المحاضرات والندوات والمعارض

نشـر اتحاد كتاب المغرب العربي برنامج نشاطه الثقافي للسنة الجديدة خـلال الاشهر الثلاثة الاولى . ويتضمن البرنامج ما يلـي :

25 ينايـر 1967 : محاضـرة الدكتور البير نصري نادر : الفلسفة الاسلاميـة تقديـم الاستاذ مصطفى القبـاج

1 برايـر 1967 : ندوة حول « وزير غرناطة » للاستاذ عبد الهادي بوطالب يشارك فيها الاساتذة : عبد الوهاب بنمنصور ، وعبد القادر الصحراوي ، وعبد الله الكامل الكتانـي . تقديـم العميد الاستاذ محمد عزيـز الحبابـي .

8 برايـر 1967 : ندوة عن : « آفـــاق » العدد الخاص بالمسرح بمشاركـة الاساتذة : محمد التازي ، وعبد الله شقرون ، وعزيز السفروشني ، والطيب العلـج تقديـم الاستـــاذ حسن المنيعـي

25 برايـر : افتتاح معرض للوحات الفنانين الآنسة بلخياط ومحمد المؤذن .

22 برايـر 1967 : محاضـرة الدكتور المهدي بنعبـود « الانسـان والكـون » تقديـم الاستـــاذ عبد القادر تميـم .

1 مـارس 1967 : ندوة حول : « دفنـا الماضـــي » للاستاذ عبد الكريم غلاب بمشاركة الاستاذين : عبد المجيد بنجلون ومحمد التازي . تقديم الاستاذ ربيع مبارك .

8 مـارس 1967 افتتـاح معـــرض : للوحـات الاستـــاذ محمـد الفاسـي رئيس جامعـة محمـد الخـامس .

15 مـارس 1967 : محاضـرة الاستاذ محمد التازي سعود : « المغرب ما قبل التاريـخ » تقديـم الاستاذ حسن السائح .

22 مـارس 1967 : حفلـة موسيقيـة .

كل الندوات والمحاضرات بدار الفكر 42 شارع عـلال بن عبـد الله ـ الرباط على السـاعـة الـسادسة والنصف مسـاء .